بقية أيام

دار النبلاء

بقية الله

خير لكم ان كنتم مؤمنين

مقالات لعدد من الفضلاء حول الإمام المهدي (عج)

ترجمة

حسن الهاشمي

دار النبلاء

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م

دار النبلاء

بيروت ـ لبنان ص ـ ب ١١/٨٦٠١

هاتف: ٨٣٧٨٢٦/مقسم ١١٤

فاكس: ٦٠١٠٠٥ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١

بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين.

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ أهل بيته الطاهرين ثم الصلاة والسلام عليك يا بقية الله في أرضهِ، المعدّ لقطع دابر الظلمة، والمنتظر لإقامة الأمت والعوج، والمرتجىٰ لإزالة الجور والعدوان، والمدخر لتجديد الفرائض والسنن.

في هذه الساحة العالمية المضطربة، وفي هذا الميدان الدنيوي الكثير الفتنة، لا ملجأ للإنسان سوىٰ ذخيرة الله في الأرض، ولا تطمئنّ القلوب إلاّ بذكر الله وأوليائهِ **﴿بقية الله خير لكم﴾**[1] لكن الشرط لحصول الأمان في هذا الملجأ الإلهي وحصول الراحة والإطمئنان بذكر «الله» و«أوليائه» هو الإيمان والعقيدة الثابتة **﴿إن كنتم مؤمنين﴾**.

بقية الله في هذا العصر هو وجود المهدي الموعود (عج) الذي تطمئنُّ به القلوب، ويُسرُّ الحزين ويسكن به ألم المصائب والمشاكل، كيف لا وفي هذه الأيام التي تمرُّ علينا، أيام الثورة الدمويّة، وشبابنا الأعزاء في جبهات خوزستان يحاربون العدوّ الظالم بذكر الله وباسم **﴿بقية الله﴾** ويروي هؤلاء الشباب بدمائهم الحارّة المتدفّقة شجرة الإسلام[2]. ولكن أيها الحارس المحمدي، وأيها المهدي العزيز، متىٰ وكيف يرتوي هذا البستان وهذه

---

(١) سورة هود آية ٨٦.

(٢) بدأت الحرب المفروضة علىٰ إيران، أول مهر عام ١٣٦٠ للهجرة الشمسية ولا زالت لحدّ الآن وقد مضى عليها عشرون شهراً.

الحديقة، ألا يكفي مجرىٰ الدم الذي يسيل من قلوب الشباب العاشقين لك لإرواء هذه الحديقة، أيُّها المنتقم: إلىٰ متىٰ يسقي هؤلاء الشباب بدمائهم والأمهات بدموعهنّ هذا البستان؟ أيها الإمام المنتظر أخشىٰ أن تحرق آهات الآباء التي تخرج من صدورهم كشعلة من نار تصعد إلىٰ السماء، تحرقُ صبرنا، ونخشىٰ أنك لو ظهرت لن تجد لعشاقكَ أثراً، يا ناصر المظلومين ألا تسمع الجميع يصرخ وينادي:

«أينَ بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية، أين المعدّ لقطع دابر الظلمة»[1].

إننا نقيم حفلاً عظيماً بمناسبة مولد النور في النصف من شعبان، وبذلك نعظّم الشعائر الإسلامية، علىٰ أمل أن ترسل إلينا يدَ المحبة وتخلّص الأمة الشريفة والمظلومة من المشاكل. وآمنحنا نعمة الإستقلال والحرية، كي لا يمَنَّ العدوّ علينا، يا يدَ اللّهِ، مدَّ إلينا يدك الرحيمة، وادفع العدوّ بيدك الأخرىٰ؛ ليعلم الناس جميعاً أنّ: **﴿يد الله فوق أيديهم﴾**[2] وسنبقىٰ بانتظارك أيضاً، لعل انتظارك يُصلحنا ويؤهلنا للقائك.

إن مركز إقامة احتفالات مولد المهدي (عج) هذا العام يعلن خدمتهُ في إقامة حفل ميلاده (ع) كالأعوام السابقة، ويعرض صحيفة أسمها «بقية الله» وهي مجموعة من بحوث الكتّاب الإسلاميين حول بقية الله الأعظم (أرواحنا فداه)، ويقدّمها لأنصاره (ع) نأمل أن تكون مورد قبول الجميع وبالأخص (الشباب الأعزاء)، كما استقبلوا في السنين الماضية صحيفة «نور المهدي» و«الشمس المستورة والمحجوبة».

مع إهداء السلام والشكر للمؤلفين المحترمين، نتمنىٰ للجميع الموفقية في إعلاء كلمة الإسلام ونشر المعارف الحقّة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد مهدي الموسوي الخلخالي

منتصف شعبان عام ١٤٠٢ للهجرة.

---

(١) مقطع من دعاء الندبة.

(٢) سورة الفتح آية ١٠.

الفصل الأول

تجلّي التوحيد في نظام الإمامة

تأليف: لطف الله الصافي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الأئمة قوامه علىٰ خلقه، وحفظة لدينه وولاة لأمره والصلاة والسلام علىٰ سيد رُسله أبي القاسم محمد وآله الطاهرين سيما إمام العصر وناموس الدهر كاشف الضرّ والمحن، مولانا الحجة بن الحسن عليه وعلىٰ آبائه المعصومين من الصلوات أنماها، ومن التحيات أزكاها، اللهم آجعلنا من الفائزين بولايته وأكرمنا بظهورهِ، وشرفنا بلقائه، وآملأ به الأرض قسطاً وعدلاً، برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال الله تعالىٰ:

﴿وإذ آبتلىٰ إبراهيم ربه بكلماتٍ فاتمهنَّ قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾[1].

المقدمة:

بما أن سير الإنسان التوحيدي والمعنوي والكمالي يبدأ في الظاهر من معرفة الله وتوحيده وسائر صفاته الكمالية، فإن امتداد ذلك السير هو تكامل معرفة الله وعقيدة التوحيد.

إن العقائد الأخرىٰ كالنبوة والإمامة والمعاد بما أنها أصول مستقلة إلىٰ

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

جانب عقيدة التوحيد، فإنها متأخرة عن عقيدة التوحيد ومرتبطة بها في الوجود والحقيقة. وهي في الحقيقة مكملة لها وموضحة لمعرفة الله وصفاتِه الكمالية والذاتية والأفعالية.

إن الاعتقاد بالنبوة هو مرتبة من كمال الإعتقاد بالتوحيد، ومظهر من مظاهر معرفته وكذلك الإعتقاد بالمعاد والإمامة هو من شؤون وتجلّيات هذه العقيدة، فالذين يعرفون الله بأسمائِه الحسنىٰ وصفاته العليا، يؤمنون بإرسال الأنبياء، وإعطائهم المعجزة ونزول الكتاب والموازين والقواعد والأحكام التي يحتاجها البشر، من جانبِهِ تعالىٰ. كما يؤمنون أيضاً بتنصيب الإمام ووجود الحجة في كل عصر وزمان وبالولاية وسائر الأنظمة، وهكذا فإنهم عندما يعرفون الله بالعدل والحكمة والتنزّه عن كل لغوٍ وعبث، يؤمنون بالمعاد أيضاً. ومن ثمّ فإن أبعاد معرفة الله وفروع الاعتقاد بالتوحيد وصفات الله الجمالية والجلالية تجري في جميع الأسس والمعايير والأصول والفروع الشرعية كجريان الدم في العروق. وإن الإعتقادات الأخرىٰ هي من آثار ولوازم تلك العقيدة الأصيلة والأصليّة.

موضوع هذه الرسالة هو تجلي التوحيد في نظام الإمامة، وبما أنه يرتبط بتجلي التوحيد في كل رسالات الأنبياء ورسالة الإسلام، وتجليه في إمامة المهدي (ع)، فسوف نتمّه بحول الله وقوته في أربعة فصول وهي:

١ ـ تجلي التوحيد في كل رسالات الأنبياء والمعارف والشرائع السماوية.

٢ ـ تجلي التوحيد في الإسلام.

٣ ـ تجلي التوحيد في نظام الإمامة.

٤ ـ تجلي التوحيد في إمامة المهدي (ع).

البحث الأول

تجلي التوحيد في رسالات الأنبياء

يمكن بيان تجلي التوحيد في رسالات الأنبياء بثلاث حالات.

أولاً: من حيث أصالة وجذريّة الإيمان بالله والاعتقاد بالتوحيد، ومن البديهي أن الاعتقاد بالتوحيد هو الأساس للاعتقاد بالنبوّات والرسالات السماوية، وان الاعتقاد بالنبوة وكل عقيدة حقّة أخرىٰ، هي بالنسبة لعقيدة التوحيد بمثابة السطح القائم علىٰ الأساس، كما أن كلّ عقائد الإنسان الحقّة ونظراته ونظرياته عن المذاهب المختلفة، تعتبر أساساً بالنسبة للأخلاق والأعمال وأسلوب الحياة وشكل النظام الحاكم.

لذلك يستحيل الوصول إلىٰ الإيمان بالنبوة من دون العقيدة التوحيدية.

ثانياً: من حيث رسالة الأنبياء، وان الأساس والأصل فيها هو الدعوة إلىٰ التوحيد وعبودية الله الواحد وتربية الإنسان الموحّد.

يشرح القرآن المجيد رسالة الأنبياء وسعيهم للدعوة إلىٰ التوحيد وتربية الإنسان الموحّد وإيجاد المجتمع التوحيدي ومحاربة مظاهر الشرك وعبودية الطاغوت، ويبيّن أن الأنبياء علىٰ طول التاريخ هم الذين أيقظوا في البشرية فطرة التوحيد، وأبعدوهم عن عبودية الطواغيت، كما يقول تعالىٰ:

﴿ولقد بعثنا في كلّ أمةٍ رسولاً أن اُعبدوا الله واُجتنبوا الطاغوت﴾[1].

أحد الأنبياء العظام الذين مجّدهم القرآن الكريم هو إبراهيم (ع) أبو

---

(١) سورة النحل: الآية ٣٦.

الأنبياء الذي حارب الشرك وعبودية الأصنام وحارب النمرود وأتباعه بشكل لا نظير له. ووجه الأفكار ضد النمرود الطاغوت وضد الشرك وعبودية الأصنام وهزّ القلوب بصوت ﴿**إني بريءٌ مما تشركون**﴾[1] و﴿**وجهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض**﴾[2]. وأعاد الناس إلىٰ فطرتهم.

كان الأنبياء إلىٰ جانب المحرومين والمستضعفين، وحاربوا الاستبداد والاستعباد، وكانوا يعاملون الفقير المؤمن كالغني المؤمن، وبالتالي فإن لسانهم ودعوتهم وعملهم كلها مستلهمة من التوحيد، وكانوا يعلّمون الناس حياة الموحّدين، وكان التوحيد أساس أعمالهم في الخوف وفي التوكل والعبادة والرجاء والمحبة.

لا يقال كيف تكون دعوة الأنبياء إلىٰ التوحيد منطقية، مع أن الاعتقاد بالنبوة فرع الاعتقاد بالتوحيد، ولا يناسب مقولة: أن الأنبياء إثبات لوجود الله وتوحيده.

لأنه يأتي الجواب:

إنّ دعوة الأنبياء لها جانبان، فجانب منها يرتبط بالتوحيد ومعرفة الله وأصل النبوة العامة والدعوة إلىٰ العناوين الكلية كالاستقامة والصدق والأمانة والعدل والرحمة وترك الظلم والخيانة وغيرها من الأمور التي يدرك العقل حسنها أو قبحها، ففي هذا الجانب يكون دور الأنبياء هو التذكير، وآستخراج الفطريات واستخدام القوىٰ العقلية والفكرية البشرية كما قال أمير المؤمنين (ع):

«فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرتهِ، ويذكروهم منسّي نعمته، ويحتجوا إليهم بالتبليغ، ويثيروا فيهم دفائن العقول»[3].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٨.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٧٩.
(٣) نهج البلاغة: الخطبة الأولىٰ.

وتعتمد دعوة الأنبياء في هذا الجانب على العقل والفطرة، ولا يريدون من أحد قبول دعوتهم «تعبّداً».

والجانب الآخر لدعوة الأنبياء يرتبط بالدعوة إلى رسالتهم والوحي الذي نزل عليهم وتعيين مصاديق الظلم والخيانة والعدل والأمانة والأحكام والأنظمة، وتتوجه الدعوة في هذا الجانب للذين آمنوا بالله وعالم الغيب، ولذا يقول في مثال فرض الصوم: **﴿يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام﴾** وكذا في غيره من الموارد التي تصل إلى ثمانين مورداً.

وهنا يجب أن يكون للنبيّ دليل على صدقه وبيّنة أي (المعجزة). لذلك يرتفع الإشكال على أن دعوة الأنبياء للتوحيد هي على نحوين وغير قابلة للتوجيه.

ثالثاً: يتجلى التوحيد في رسالة الأنبياء في أن الدين من حيث أنه يتضمن القوانين والأحكام والأنظمة المرتبطة بجوانب الحياة الإنسانية المختلفة فإنه يحقق توحيد النظام وتوحيد القوانين، والأصل في هذا التوحيد هو أن البشر من حيث أنه اجتماعي ومدني بالطبع يحتاج إلى قوانين وأحكام تؤمّن له السعادة الدنيوية والأخروية والكمال المادّي والمعنوي، وليس لأحد صلاحية وضع القانون والأحكام سوى الله تعالى، لأنّ له الولاية وحدهُ على كل البشر والانس والجنّ والملائكة والأنبياء والأولياء.

وبعبارة أخرى يشترط في صلاحية تشريع الأحكام ووضع القوانين أمران، أحدهما: أن يكون واضع القانون عالماً بكل المصالح والمفاسد، وجوانب الجسم والروح، والقوى والغرائز ومتطلبات الناس الفردية والإجتماعية، وليس هناك فائدة من العمل بتلك القوانين تعود إلى المنزّه وليس له غرض في جعل تلك القوانين.

من البديهي أنه ليس لأحد في هذه الصلاحية غير الله تعالى؛ لأنه عالم بكل المصالح والمفاسد، وهو الذي خلق هذا الإنسان المجهول، ويعلم بسرّه وعلنهِ، وإنه منزّه عن كل نقص وغرض لأنّه غني وكامل بالذّات.

والثاني: أن تكون لواضع القانون ولاية علىٰ كل البشر بالذّات، ويكون اختيار الإنسان تكويناً وتشريعاً بتكوينهِ وتشريعه هو، ومن الواضح لا يوجد هكذا شخص غير الله المتعال المالك والخالق والرازق لكل المخلوقات، والجميع تحت ظل ولايته المطلقة[1]. ويجب أن تكون الأحكام والتكاليف بوحيه ومستندة إليه، وإن التدخل في هذه الأمور هو في الشؤون الربوبيّة، وإن الإستكبار والإستعلاء عليها خلاف التوحيد، ولذلك يجب أن نؤمن بنبوة كل الأنبياء بحكم الآية الكريمة.

---

(١) لا يقال كيف يكون الجميع تحت ظل ولايته مع أن الآية الكريمة ﴿**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت**﴾ تدلُّ علىٰ أن الله ولي المؤمنين فقط. وأن ولي الكافرين هو الطاغوت؛ لأنه يقال في جواب عن هذا الإشكال إن الولاية الثابتة لله علىٰ كل شيء وكل فرد هي عبارة عن قدرتِه الذاتية اللاّمتناهية. التي تخضع لها كل الممكنات وتنقاد إليها وتطيعها، وكما يقول القرآن المجيد: ﴿**وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً**﴾ ﴿**وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾. فتشمل هذه الولاية الجميع، ولا يتمكن شيء من أن يمتنع عنها ومن موارد ظهور هذه الولاية اختيار العباد، فلا يمكن للإنسان أن لا يكون مختاراً لأنّ الاختيار من الأمور التكوينية التي لا أختيار للإنسان فيها، وانهُ مختار شاء أم أبىٰ. وقولنا: إن الجميع تحت ولايته المطلقة، المقصود به هو هذه الولاية، وأما الولاية المقصودة في الآية ﴿**الله ولي الذين آمنوا. . .**﴾ فهي ظاهراً الولاية والتصرف في أمور العبد الاختيارية، وتتحقق بعنوان الهداية والتوفيق والوحي ودعوة الأنبياء والأوامر والنواهي والتكاليف الإلهية والعنايات الغيبية بالنسبة للمؤمنين ومن لهم أرضية القبول بهذه الولاية، كولاية الموالي على العبيد، وبقبوله تتحقق أوامرهم ونواهيهم ويعمل العبد بأوامرهم في عين اختياره.
وقد تؤثر الولاية علىٰ العبد كثيراً بحيث يكون العبد مطيعاً بكل وجودهِ ومجسداً لمراد المولىٰ، ويكون مصداقاً للحديث القدسي المعروف «كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها» ويكون قلبه مصداق «قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمٰن يقلبه كيف يشاء»، وتكون دواعيه إلهية ويكون عاملاً بمشيئة الله.
وفي مقابل هذه الولاية تكون ولاية الشيطان والطاغوت وولاية ابليس، وهذه أيضاً تتحقق باختياره، ولها مراتب مختلفة وتصدق عليها الآية ﴿**أفرأيت من اتخذ الهه هواه ـ و ـ ختم الله علىٰ قلوبهم وعلىٰ سمعهم وعلىٰ أبصارهم غشاوة ـ و ـ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ**﴾ وحتىٰ يقول الشيطان: إنّي بريءٌ منك وتحمىٰ من نفسه أرضية الخير وقبول الحق، فيحمل إرادة الطاغوت ويقع تحت ولاية الشيطان التامة عليه.

﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلىٰ ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسىٰ وعيسىٰ وما أوتي النبيّون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾[1]. ونؤمن بأن دعوة كل الأنبياء هي دعوة الله تعالىٰ، وكل واحدة في الجوهر والحقيقة هي الإسلام والتسليم لله وقانونه وحكمهِ وأوامرهِ تعالىٰ، وبهذا تعتبر أمة الأنبياء أمة واحدة ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾[2]، تصدق هذه الآية على جميعهم وإن ألفاظ اليهودية والنصرانية ليست عناوين دعوة الأنبياء ولا معرّفة لها، كما لا يكون الإيمان بعيسىٰ وموسىٰ وبالوحي النازل عليهما، وتنزّه التوراة والإنجيل عن الأمور الباطلة واللامعقولة لا يكون دون الإيمان برسالة خاتم الأنبياء، أي الإسلام، بل هو مرتبط به.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥٢.

البحث الثاني

تجلي التوحيد في الإسلام

إن تجلي التوحيد في الإسلام واضح ومتلألىء جداً، بحيث أن الإسلام والتوحيد، والموحد والمسلم اعتبرا لفظين مترادفين ذوي مفهوم واحد، وكما يقول الأجانب أمثال جوستاف لوبون: إن عقيدة التوحيد هي تاج فخر توّج به الإسلام من بين سائر الأديان.

الإسلام دين الله ودين التوحيد ودين كل الأنبياء وأتباعهم المخلصين، ودين خاتم الأنبياء (ص) فلا أسم لدين الحق أفضل من هذا، ولا حقيقة وأصالة للبشر أفضل من مفهوم هذا الإسم. وهذا من القضايا التي يقال عنها (قياساتها معها). لا يكون دين الحق غير الإسلام حقاً، وأي تعبير آخر لدين الحق إن لم يكن مفهومه بمعنىٰ (الإسلام) أو الكلمات المرادفة له في اللغات الأخرىٰ فليس بدين الحق، الله واحد، ودين الحق واحد، وهو الإسلام الذي لا يوجد في مفهومه شرك ولا ازدواجية في العبودية، بل هو التسليم لله، وإطاعته بلا قيد ولا شرط في العقيدة وفي العمل، ولا مقام للإنسان أفضل من هذا المقام والمرتبة والكمال، لذا سمّىٰ اللّهُ تعالىٰ نبيه الخليل (ع) في القرآن المجيد مسلماً. ويتحدث عن أولاد يعقوب الذين قال لهم عند وفاته **﴿ما تعبدون من بعدي﴾** قالوا: **﴿نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾**[1].

إن الإسلام هو عنوان ورسالة خاتم الأنبياء (ص)، ولا يصح علىٰ غير

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٣.

رسالته إلاّ أنّ هذه التسمية وقصر عنوان الإسلام بهذا الدين هو لأن الإسلام خالص، ولا يتحقق إسلام أي فرد إلاّ بالتسليم لهذا الدين وقبول أحكامه ومحرّماته وواجباتهِ وأحد الشواهد علىٰ خلود وخاتمية هذه الدعوة حتىٰ يوم القيامة هو أن الإسلام عُرض في زمان كان اسمه مجهولاً لدىٰ الناس وكانت الدعايات لأديان أخرىٰ مغايرة لدين الإسلام ومنافية له. وأعلن (بصراحة) أن الإسلام هو طريق النجاة كما في الآية التالية: ﴿**ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**﴾[1] والآية: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾[2]. وأوضح في آيات أخرىٰ أمثال: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيتَ ويسلموا تسليماً**﴾[3] والآية الكريمة: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسولهُ أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾[4]. والآية الأخرىٰ: ﴿**ومن يسلم وجههُ إلىٰ الله وهو محسنٌ فقد أستمسك بالعروة الوثقىٰ**﴾[5]، والآية الشريفة: ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلىٰ الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾[6] وغيرها من الآيات، أوضح خصائص وآثار ومظاهر الإسلام، وحقيقة الدين، بنحوٍ يجعله غير متعلق ولا مرتبط بأية طائفة أو مجموعة أو منطقة خاصة، وإن أُصوله وفروعه فطرية وعقلائية، وتوجد وحدة الدين في كل العصور. وأوضح أن البيان الكامل والجامع الذي لا بديل له بعد أربعة عشر قرناً هو دين الحق وسيبقىٰ بلا بديل إلىٰ الأبد، فعلىٰ الجميع أن يتّبعوهُ، ويردّدوا نداء الوحدة، ويرتضوا الإسلام وهو أكمل وأفضل أطروحات الوحدة، ويردّدوا شعار الوحدة «إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ولا فضل لعربي علىٰ عجمي ولا لعجمي علىٰ عربي إلاّ بالتقوىٰ والناس كلهم من آدم وآدم من تراب» ويكون لسان حال كل البشر في كل العالم هو:

أضحىٰ الإسلام لنا ديناً ... وجميع الكون لنا وطنا
توحيد الله لنا نور ... أعددنا الروح له سكنا

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.
(٣) سورة النساء: الآية ٦٥.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.
(٥) سورة لقمان: الآية ٢٢.
(٦) سورة فصلت: الآية ٣٣.

البحث الثالث

تجلي التوحيد في نظام الإمامة

الإمامة بأبعادها المتعددة هي شعبة من عقيدة التوحيد، وتستند عليها، ويُستفاد من الآية ﴿**إني جاعلك للناس إماماً**﴾[1] والآية ﴿**إنا جعلناك خليفة في الأرض**﴾[2] إن الإمامة بأبعادها العميقة والقيّمة ومن جملتها الخلافة في الأرض والحكومة وإرادة الأمور العامة بين الناس لا تكون إلاّ بتعيين الله وتنصيبه ولا يشارك الله أحدٌ فيها[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٢) سورة صٓ: الآية ٢٦ .

(٣) نقول في بيان هذا الأمر: لا شك أن تنصيب الإمام والخليفة والحاكم هو لرتق الأمور وفتقها، وحفظ مصالح العموم بحكم هاتين الآيتين، والآية ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات**﴾ سورة الانبياء آية ٧٣، ولا شك أن تعيين الإمام والخليفة من قبل الله هو لطف. ومؤثر في هداية الناس وتنظيمهم كما أن إحالتهُ إلىٰ الناس أو سكوت الشرع عنه نقض للغرض ويؤدي إلىٰ مفاسد كثيرة وتعطيل للبرامج الإلهية ونظام الحق والعدالة. لذلك علىٰ الله تعالىٰ بحسب حكمته وربوبيته ورحمتهِ أن يعينّ شخصاً صالحاً، وبالإلتفات إلىٰ الآيات المذكورة يمكن القول: إن الإمامة والخلافة ليست كالنبوّة إذا حصلت في عصرٍ فلا ضرورةً لتجديدها في عصر آخر، بل تكون الحاجة إليها في كل العصور، خصوصاً من جهة الولاية علىٰ أمور الحكومة من قبل الله، ولا تنحصر حاجة الناس إليها بزمن وعصر معين، وبعبارة أخرىٰ: النبوة لطف خاص، والولاية والإمامة والخلافة لطف عام. فإذا أستفدنا من آيات القرآن أن هذا اللطف حصل في عصرٍ معينّ، والتفتنا إلىٰ كون مصلحته عامة، نفهم أنه لا بد من وجوده في كل عصر، ولا يختص بزمن أو مجتمع خاص، بل يجب أن يستمر ويتواتر كما هو كذلك، يقول القرآن الكريم ﴿**ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون**﴾ سورة القصص آية ٥٣، ﴿**النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ سورة الأحزاب آية ٦، ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...**﴾ المائدة آية ٥٥، وبملاحظة أن ظاهر الآيات هو إنشاء ولاية النبي (ص) =

ومن هنا تتضح أصالة الإمامة التوحيدية، وأنه بحسب عقيدة التوحيد، تختص الحكومة والولاية والمالكية المطلقة والحقيقية بالله وحده، إن حقيقة هذه الصفات ثابتة لهُ «وهو الولي وهو الحاكم، وهو السلطان وهو المالك» و﴿**الا له الخلق والأمر**﴾[1] و﴿**يفعل ما يشاء**﴾[2] و﴿**يحكم ما يريد**﴾[3]، ولا يمكن لأحد حتىٰ التسلط علىٰ نفسه في عرض سلطة الله، لا سلطة تكوينية ولا تشريعية، فكيف بالولاية أو الحكومة علىٰ الآخرين، أو أن يكون مالكاً لأمورهم؟ لذا فكل حكومة ليست من قبل الله ولا بإذنهِ طاغوتية، وتدخّل في أفعال الله وحكومته. وقبولها وإطاعتها هي طاعة للطاغوت، ومخالفة لخطّ دعوة الأنبياء. وقد بيّن القرآن ذلك في مثل قوله: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن آعبدوا الله وآجتنبوا الطاغوت**﴾ وبما أن مفهوم الطاغوت عام، فإنه يشمل الحاكم المستبدّ، والحكومات غير الشرعية والطاغوتية أيضاً.

= وأولويته علىٰ الأنفس، والآية ﴿**إنما وليكم الله...**﴾ ظاهرة في إنشاء ولاية علي (ع) ـ يستفاد من ذلك أن إنشاء وإعطاء هذه الولاية بما أنها تعطىٰ في المحل الصالح لأصحاب مقام العصمة(النبي والإمام) لكن جعل وإعطاء الولاية هذه لرعاية حال العباد وإصلاح أمور دنياهم وآخرتهم هي كولاية الجد من الأب والأب علىٰ الصغير، وإنّ إعطائهم الولاية هي لنسبتهم إليهم وحبّهم لحفظ مصالح ولدهم، لكن الأصل في هذا الإعطاء هو حفظ مصالح الصغير ودفع الضرر عنهُ، لذا فالولاية التي تثبت للرسول يجب أن تثبت للأئمة (ع) من بعدهِ وتستمر حتىٰ يوم القيامة. والمقصود من قولنا: يجب في كل عصر وزمان وجود حجة وإمام هو أن المجتمع البشري لن يبقىٰ بدون صاحب ولاية وصاحب أمرٍ سواء كان صاحبها نبيّاً أو إماماً، وهذا المعنىٰ يختلف عن آرتباط العالم بوجود الإمام (ع). وقد أوضحنا ذلك في رسالة أخرىٰ، وآخر مسألة نذكرها هنا هي أن ظاهر الآيات ﴿**إني جاعلك للناس إماماً**﴾ و﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ و﴿**إنا جعلناك خليفة في الأرض**﴾ و﴿**وآجعلنا للمتقين إماماً**﴾ بية ٧٤ سورة الفرقان هو أن جعل الإمام والخليفة الذي أقل آثاره هو وجوب طاعة أوامره ونواهيه هذا الجعل هو فعل الله وصادر عنه، لذا لو صحّ جعلهُ من قبل غير الله لكان ذلك مشاركة لله في أفعاله، وينافي التوحيد الأفعالي؛ لأنه يلزم ذلك صدور الفعل الصادر من قبل الله من جانب العبد أيضاً.

(١) سورة الاعراف: آية ٥٤.

(٢) سورة آل عمران: آية ٤٠.

(٣) سورة المائدة آية ١.

وعليه، فكل ولاية يجب أن تكون من قبل الله ومستندة إليه حتىٰ ولاية الأب علىٰ ابنه الصغير. وولاية الشخص علىٰ نفسه ومالهِ. وولاية الفقيه في عصر الغيبة[1]. ويجب أن تكون ولاية النبيّ والإمام (ع) من قبل الله تعالىٰ. ولا أصالة واعتبار لكل ولاية لا تكون من قبلهِ. وإن لم يجعل الله للأب ولاية علىٰ ابنه الصغير، لم تكن له تلك الولاية، وإن لم يجعل الإنسان وليّ مالهِ ونفسه ولم يمنحهُ مالكيه الأشياء التي في حيازته لكان أدعاؤه المالكية أدعاءً لتملك ملك الله دون إذنه[2]. وطبيعي فإن هذه

---

(١) ولاية الفقيه في عصر الغيبة بالنسبة للفقيه ليست كولاية الأب علىٰ ابنه الصغير التي جُعلت بالأصالة ولا تختلف في عصر الحضور والغيبة بل إن ولاية الفقيه وطبقاً لأصول القائلين بها في عصر الغيبة هي نظير الإذن والولاية التي كان الإمام (ع) في عصر الحضور يمنحها لأشخاص معينين، مع فارق أنها أعطيت في عصر الغيبة بشكل عام لأشخاص متصفين بعنوان الفقيه العارف بالحلال والحرام، لذلك فإن ولاية الأب والجد علىٰ الصغير لا تقبل العزل والتغيير خلافاً للولاية والنيابة الخاصة، فمتى شاء الإمام عزل الشخص المنصوب ونصّبَ آخر بدلاً عنهُ. وخلافاً لولاية الفقهاء العامة التي تنتفي لاإرادياً عند الظهور والحضور.

(٢) من الألفاظ التي شاعت أخيراً واستفاد منها البعض لمآربهم: الإلتقاطية والاشتراكية، لتهديد الأنظمة الماليّة والاقتصادية في الإسلام، وبأسم الله المقدس والدين والإسلام يروّجون المذاهب الغربية بين المسلمين (الله المالك) وبهذا اللفظ يروجون الأنظمة الإشتراكية أو ملكية الدولة، وينكرون الملكية الشرعية الخاصة في كل الأشياء، أو لخصوص الأرض ووسائل الإنتاج والعمل ويعدّون الأرضية لسلطة الاستكبار الروسي والشيوعي تحت ستار إظهار المواساة للمستضعفين والمحرومين والعمال والفلاحين، وانتقاد أصحاب الأعمال القساة ونظام الرأسماليّة الغربي الاستعماري؛ لأنهم أدركوا بالتجربة أن شعار حماية العامل المحروم الذي كان منذ البداية حرية النظام الاشتراكي والشيوعي قد أنتهىٰ مفعوله، ولا يصلح إن لم تفرضه قدرةٌ عسكرية. وان أوضاع دول المعسكر الشرقي والاشتراكي التي لا تعترف بأيّة قيمة لحقوق الإنسان وكرامته وحرّياتهِ، قد اطلع الجميع علىٰ حقيقتها المضادة للتحرر والإنسانية، بواسطة بقية الدول خارج الستار الحديدي، التي أشاعت التنفّر منها وباءت إعلاناتهم وتبليغاتهم بالفشل حتىٰ في الدول الرأسمالية، حتىٰ ان المجتمعات التي تعيش تحت سلطة الإمبريالية الغربية والتي تحاول التحرر من القيود التي قيدها بها الاستعمار الأمريكي وسائر الحكومات الغربية، أصبحت تحاذر أيضاً من الوقوع تحت تسلّط الشيوعية والاعتداء القاسي والوحشي لروسيا، لذا غير الشيوعيون الخطة أخيراً، ولأجل إعداد الأرضية لتسلّط روسيا يفضلون أن لا يتحدثوا عن الإلحاد وإنكار الله وشرائع الأنبياء منذ البداية؛ بل يتحدّثون مع =

الولايات الشرعيّة بأي نوع كانت، لا تخلو من المصلحة ولها جذور فطرية، وقد جعل التشريع مطابقاً للفطرة، وإنّ هذا الأصل الفطري لا يعتبر في عالم التشريع دون إمضاء الله تعالىٰ، بناءً علىٰ هذا فلأن الحكومة والولاية تختصُّ

= المسلمين عن شعارات الحماية والدفاع عن العمال والفلاّحين والمحرومين والمستضعفين ثم يقودونهم نحو أهداف الإشتراكية، ومن خلال ذلك يسعون لتقليل مستوىٰ الإنتاج، ويوجدون لدىٰ الأفراد البسطاء آمالاً يستحيل تحقيقها بواسطة الوعود الواهية، التي لا تنفّذ أبداً، ويعطّلون المصانع والزراعة، ويشجّعون العمال والفلاحين علىٰ قلة العمل والإضراب ليزداد الفقر لدىٰ الطبقة المحرومة، وعند ذلك وبدون علم هؤلاء بأسباب وعوامل هذه الإضطرابات والنقائص، يتأثرون بسوء الأوضاع الاقتصادية ويظنّون أن الأجانب وعملاء الغرب يريدون خيرهم وصلاحهم، فيلقون بأنفسهم في مصيدة العدو السفّاك أمثال أمراء الكرملين الظالمين ومن ثمّ يصعب عليهم الخروج منها.

أجل لقد علم هؤلاء أن إعلاناتهم ودعاياتهم للاشتراكية ونفوذ الاستعمار الروسي ودعوته للإلحاد في الدول الإسلامية سيواجه ردّ فعل المسلمين الشديد، وبالأخص بعد يقظة المسلمين الأخيرة والتفاتهم إلىٰ القيم والإمكانات المادية والمعنوية، فإنهم يعلمون أن المسلمين عرفوا أن الإسلام يمكنه أن يكون القوة الثالثة في مقابل قوّتي الشرق والغرب اللتين يأس الناس منهما وعرفوا ماهيتهما الاستكباريّة والاستضعافيّة، وأصبح الإسلام خطراً جدياً علىٰ هاتين القدرتين الطاغوتية والشيطانية، لذا يلتجأون إلىٰ الحيلة والمكر ويصبّون الشعارات المقبولة لدىٰ المسلمين في قوالب روسية وأمريكية ليحرفوا المسلمين عن طريقهم المستقيم، وأحد هذه الشعارات هو شعار ضد الاشتراكية وضد الصهيونية، وليست لهذه الشعارات أصالة في الدول المرتبطة بالروس وأمريكا، ويرفعون شعار ضد الاشتراكية في دول كالأردن والسعوديّة، وشعار ضد الصهيونية والامبريالية في دول أمثال اليمن الجنوبية، والأنظمة التي تمتنع حتىٰ عن إدانة الاعتداء الروسي علىٰ أفغانستان، بل يؤيّدون ذلك، هو شعار روسي ضد الامبريالية والصهيونية مع وجود فروق بين هاتين الجبهتين. وعلىٰ أية حال يجب أن يكون التمسك بأيّ من هذين الشعارين إسلامياً ويجب التمسك بكليهما، ويكون الملاك هو التمسك بالإسلام، وإلاّ فإن أمريكا هي ضد الاشتراكية، وروسيا ضد الصهيونية، فالمخالف للاشتراكية الذي لا يكون مخالفاً للصهيونية وأمريكا ليس مسلماً، والمخالف للصهيونية الذي لا يكون مخالفاً للاشتراكية وروسيا ليس إسلامياً أيضاً، ولا يجوز اتحاد المسلم مع كليهما، والمقصود هو أنّ مخططي السياسة الغربية والأجنبية يعرفون كيف يغلّفون سلعهم؛ فإن أمريكا تضع شعار (ضد الاشتراكية) في العالم الإسلامي ترساً أمام روسيا والاشتراكية، وتحرّض الأنظمة التابعة لها بهذه السياسة التي تبدو وكأنّ لها هدفاً مشتركاً مع السياسة الإسلامية تحرضها لحفظ مصالحها الاستعمارية، وتنهب معادنها وخيراتها وتجعلها متخلفة وتابعة لها دائماً. وإن روسيا تجعل شعار (ضد الصهيونية) الإسلامية وسيلة لثورة المسلمين علىٰ أمريكا والصهيونية، وحماية الأنظمة المقابلة لهما، ولكن الضابطة الصحيحة لمعرفة الأصالة الإسلامية لهذين الشعارين =

بالله، لا يمكن لغيره التدخل فيها إلاّ بإذنه، وفي حدود تشريعه وأمرهِ، وبالطبع إن هذه الولاية والحكومة والمالكية التي تعطىٰ لبعض العباد بإذن الله هي اعتبارية وليست حقيقية، لذا تنتقل بالعزل والأسباب الأخرىٰ، وتزول،

= المرفوعين ضد الصهيونية والامبريالية وضد الاشتراكية، هي مطالعة رأي واعتراض رافع الشعار قبال الشعار الآخر، فإن كان قاطعاً وثابتاً علىٰ ذلك الشعار أيضاً نعرف أن الشعار إسلامي. ولكن لو لم يبالِ بالجهة الأخرىٰ نعرف أنه إمّا أن يكون أمريكياً أو روسياً، وعلينا اجتنابه. لقد أوضحنا بهذا المثال كيف يُلعبُ بالشعارات، ويجب أن يكون الإنسان ذكياً وواعياً ليدرك الحقائق، وإلاّ فبأقلّ غفلة وجهل يميل نحو الصيهونية أو الإشتراكية ويكون تابعاً لأحدهما وانّ ألفاظ المحروم والفلاح والعامل والمستضعف والاستثمار والرأسمال وأمثالها بوصفها مضادة للصهيونية والاشتراكية هي ألعوبة بيد الحكام السياسيين والمستعمرين، يغوون بها كثيراً من الناس، ويوجدون متاهة لا خلاص منها إلاّ بالمعرفة الإسلامية.

ويستفيدون في هذا المجال من الملكية وهي أصل إسلامي من شعار (الله المالك) وهو شعار مقبول وتوحيدي، ويقولون كل شيء مِلْك لله، وإنّ الله مالك الأرض، لذا لا يحق لأحد تملك الأرض، ولا يمكن نقلها لأنها ملك اللّهِ، وانهُ لم يبعها لأحدٍ، ولن يبيعها، والروايات التي تقول مِلْك الإمام فالمقصود منها الحكومة الإسلامية، لذلك فهي ليست ملكاً لأحدٍ و ـ من أحيا أرضاً ميتة فهي له ـ لا تخبر عن سببية الإحياء للملكية أو إمضاء السببية كما كانت عليه قبل الإسلام. وليست إنشاء الملكية للمحيي أيضاً، بل هي إذنٌ بالإحياء وإنشاء حق الإنتفاع فقط بحيث لا يزاحم أحداً ويكون هو أولىٰ من غيره بالإنتفاع والإحياء، ويمكن للحكومة إلغاء ذلك، ولا فرق في المالك محيياً كان أو وارثه أو من أشتراها منهُ، وبهذه النظرية: يقيّدون ويخصّصون الآيات المطلقة والأحاديث الشريفة التي تدل علىٰ الملكية، ويؤولون القواعد الفقهية في أبواب الفقه المختلفة. ولا نريد هنا البحث عن المسائل والقواعد الفقهية المختلفة، والأنظمة الماليّة والإقتصادية التي ترتبط بأبواب الفقه المختلفة كالبيع والإجارة والمزارعة والإرث والوقف والغصب وإحياء الموات والحيازة والمباحات وأقسام الأراضي وغيرها. بل ذكرنا لمالكية الله المطلقة لكي لا يتوهم البعض أنه لا معنىٰ لمالكية الآخرين، وثانياً، لنوضّح معنىٰ (الله المالك) لكي لا تساء الإستفادة منهُ، وليتّضح أن الله المالك ومالكية الله لا تنافي مالكية العبد، لأنّ نوع ملكية الله تختلف عن ملكية العبد؛ لأنّ ملكية الله ملكية حقيقية لا تزول ولا تنتقل ولا يمكن إعطاؤها لأحد حتىٰ الأنبياء، في حين أن ملكية العبد أمرٌ إعتباري، كان في المجتمعات البشرية ويكون دائماً، ويمكن نقله كسائر الأمور الإعتبارية، وسواء اعتبرناها مجعولة بالأصالة وقد أمضاها الشارع، أو مجعولة بالتّبع ومنتزعة من الأحكام التكليفية بأي نوع كانت،فهذه الملكية الاعتبارية هي غير الملكية الحقيقية، ومن البديهي أن الملكية الإعتبارية لا تكون معتبرة ومشروعة إلاّ أن يكون الله المتعال الذي هو المالك الحقيقي قد أمضاها أو اعتبرت بالأصالة كملكية ورثة الميت لأمواله.

وليست هذه الولاية من نوع الولاية والحكومة الإلهية؛ لأن حكومة الله وولايته حقيقية وأبدية ودائمية، ومقتضىٰ ارتباط وتعلق المخلوق بالخالق هو الحكومة والولاية والمالكية الحقيقية للخالق. فأصل الإنسان وهويته هو العبودية والمملوكيّة والحاجة والطاعة وطلب العناية فلا يمكن سلب العبودية عن العبد وكونه تحت ولاية الله؛ لأنها ذاته وهويته وحقيقته، ولا يمكن سلب وانتزاع مالكية الله وحكومته وولايته علىٰ العباد.

وبناءً علىٰ ما ذكر يجب أن يكون نظام الإمامة والولاية والخلافة من قبل الله، وإجراءً وتنفيذاً لولاية وحكومة الله لتكون الحكومة الشرعيّة واجبة، وتجب إطاعة أوامرها، وبهذا كلّما صدر حكم من قبل وليّ الأمر (ع) أو أحد المجتهدين الجامع للشرائط في عصر الغيبة الذين لهم النيابة العامة، وخالفه الناس، اعتبر ذلك استخفافاً بحكم الله، ورداً علىٰ الإمام (ع)، مع وجود هذا الفرق وهو أن حكم الفقيه خاضع لقاعدة «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، فلو حكم بمعصية الله لا تجوز الطاعة له، أمّا حكم الإمام (ع) بملاحظة مقام عصمتهِ فإنه لا يصدر منه أمرٌ بالمعصية، وإن الحديث الشريف «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» لا يشمل طاعة النبي والإمام.

وهذا هو نظام الإمامة في بعده الحكومي والولاية، خلافاً للقائلين بأن نظام الحكومة يجب أن يكون من الأسفل إلىٰ الأعلىٰ، ويعتبرون أساسه وقاعدته هي الشورىٰ القروية، بل إن النظام هو من الأعلىٰ إلىٰ الأسفل، ولكن لا تعيّن الشورىٰ العليا تكاليف الشورىٰ السفلىٰ حتىٰ تكون السفلىٰ التابعة لقرارات العليا، فتكون شورىٰ الوزارة حاكمة علىٰ شورىٰ المحافظة، وهذهِ تكون حاكمة علىٰ شورىٰ المدنية، وهذه علىٰ المناطق والقرىٰ. أو أنْ يجلس شخصٌ ـ كالنظام الاستبدادي ـ بأسم الأمير والملك والزعيم والرئيس عالياً، ثم يأمر بما يحلو لهُ ويهواه ويفرض نفسه علىٰ الناس، فنظام الإمامة ليس واحداً من هذه الأنظمة، ونظام الإسلام هو نظام الإمامة والحكومة الشرعيّة، لا حكومةٌ من القاعدة إلىٰ القمة[1] ولا حكومةٌ من القمة إلىٰ

---

(١) ومما يجدر الإلتفات إليه أن الذين يطرحون أساليب الحكومة هذه لإغواء الناس لا يجيزون ⏚

القاعدة، بل هو نظام الله، ويكون الجميعُ فيه منفّذين لأحكام الله، وإنَّ حقيقة الحكومة والإمارة هي ما أجاب به أمير المؤمنين (ع) ابن عباس قائلاً: هي وسيلة لإقامة الحق ودفع الباطل، وإن خرجت عن إطار هذا الشعار أي إقامة الحق ودفع الباطل فليست حكومة شرعية ولا تجب طاعتها.

وفي هذا النظام يكون المتصدون للأمور مسؤولين عن تطبيق أحكام الله، ولا يجب علىٰ الرعية طاعة رئيسها في التخلّف عن القانون ومعصية الله، ولا يحق لأيّ شخصٍ حتىٰ الخليفة نفسه توقّع أمرٍ من الناس غير العمل بالأحكام الإلهية، وليس في هذا النظام سباق وتزاحم للحصول علىٰ المناصب كما في الأنظمة الأخرىٰ، ولو أراد شخص أو جماعة الحصول علىٰ منصب للعلوّ والرفعة، دلّ ذلك علىٰ أنه ليس بأهلٍ لهُ. وفي هذا النظام يكون المنصب تعهّداً والتزاماً وتكليفاً، وكلما كان منصب الإنسان أرفع وكان مجاله أوسع، تزداد مسؤوليته وتكليفه. وقيمة صاحب كل منصب بقدر خلوص نيته وحسن تعامله في العمل. فلعلَّ كنّاس الشوارع أفضل من الحاكم ووالي المدينة وأعزُّ عند الله، بسبب خلوص نيته وإخلاصه في العمل ومراقبته لله في أعمالهِ.

وفي هذا النظام كما قال عدي بن حاتم لمعاوية في وصف أمير

= أبداً للطبقة الفردية والمستضعفة تشكيل أيّة شورىٰ سوىٰ التمسك بالخط الذي عيّنهُ له قادة الحزب، ولا يجيزون أيضاً لهم إبداء الرأي بوصفهم بشراً أحراراً، وإنْ انتقلوا في الشكل الظاهر من شورىٰ القرية إلىٰ شورىٰ الناحية والمدينة والمحافظة والدولة فإن ذلك في الحقيقة صادر من الأعلىٰ إلىٰ الأسفل، وإن دكتاتورية البروليتاريا أسوأ من الدكتاتورية الاستبدادية في القرون الوسطىٰ، وأخطر من حيث سحق كرامة الإنسان وشرفه وحقوقه وحرّيتهِ وقد خدع أنصارها الناس أكثر من نصف قرن، وضللوا المحرومين والمستضعفين بألفاظ الديمقراطية وحكومة الناس علىٰ الناس، وحقوق البشر، والصلح والتعايش السلمي، ومحاربة الإستغلال، والعدالة الإجتماعية، وحرية العقيدة، ونظام الشورىٰ، وكل من القدرتين الشرقية والغربية نهبت العالم تحت عناوين الاستكبار والإستعمار، وقدّمت المحرومين قرابين، وضحّت بشرفهم وحقوقهم الإنسانية فداءً لمطامعها اللئيمة ومقاصدها السيئة، في أمثال فلسطين والقدس العزيزة، وأفغانستان والفلبين والعراق والسودان والأردن وأرتيريا، ولهستان.

المؤمنين (ع): ـ «لا يخاف القوي ظلمه ولا ييأس الضعيف من عدله» وكما قال علي (ع):

«الذليل عندي عزيز حتىٰ آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتىٰ آخذ الحق منه».

وبالتالي فإن نظام الإمامة تتجلىٰ فيه عقيدة التوحيد، وإن المجتمع التوحيدي هو الذي لا تمايز فيه[1]، والأمة الواحدة والدين الواحد والقانون

---

(١) المقصود من المجتمع التوحيدي الذي لا تمايز فيه هو المجتمع الذي يتساوىٰ فيه الأفراد أمام الحق والقانون، وينفَّذُ القانون فيه بالتساوي علىٰ الرجل والمرأة والصغير والكبير، والقوي والضعيف والعالم والجاهل والأبيض والأسود، ولا يؤدي التفاوت الطبقي إلىٰ تنفيذ القانون علىٰ بعض الطبقات وعدم تنفيذه في حق البعض الآخر، أو تكون هذه الفروق التي لا ترتبط بصلاحية الأفراد سبباً لمنحهم بعض الامتيازات واحترامهم من قبل بعض الأفراد، ومن البديهي أن لا يوجد ذلك في الإسلام، وقد جاء في الحديث: «من تواضع لغني لغناهُ ذهب ثلثا دينه».

أما النظام اللاطبقي التوحيدي الذي اتخذهُ بعض اليساريين والماركسيين شعاراً لهم يخدعون به البسطاء من المسلمين بكلمة النظام التوحيدي اللاطبقي، ويطرحون دعوتهم وشعارهم بمظهر إسلامي، فإنه لا يتناسب مع الإسلام وآيات القرآن المجيد والأحاديث الشريفة، ويستحيل تحققه في الواقع.

يوجد في عالم التكوين تفاوت وتفاضل ولا يتساوىٰ الجميع في التمتع بالنعم والمواهب المادّية والمعنوية، فالتفاضل موجود في عالم النبات والحيوان وكل مكان، وهذا من السنن الإلهية حتىٰ أنه يقال: لا يوجد تكرار في عالم التكوين، ومقدار استفادة الشجرة من الماء والهواء والأرض يختلف عن الشجرة الأخرىٰ، ومستوىٰ استيعاب الطلاب في الصف الواحد يختلف من واحد لآخر، وتختلف استعداداتهم. وإن لسكان المناطق المعتدلة استعداداً للترقي لا يُشاهد عند سكان المناطق الأخرىٰ، ووجود هذه الأمور في عالم التكوين لا ينافي التوحيد، ولا يمكن تغييره، وهكذا الحال في الأمور غير التكوينية فإن في المجتمع طبقات مختلفة، تستفيد من النعم والمواهب المختلفة بحسب استعدادها كما تختلف أعمالهم وآثارهم أيضاً، وبالتالي بما أنَّ إمكانات الجميع مختلفة فلا يمكن منع فعالية المستعدّين والذين لهم استعداد كبير في استخراج الثروات الطبيعية وتملكها أو الحصول علىٰ المناصب الاجتماعيّة، بسبب سعيهم الحثيث وجهدهم الكبير. فالدنيا محلُّ السعي والعمل، ويمكن إيجاد وسيلة للعمل والإنتفاع لكل فرد بقدر إمكاناتهِ، وتهيئة الإمكانات الإختبارية بنحو متكافىء للجميع مثلاً يمكن جعل فرصة التعلّم عامة للجميع ولكن لا يمكن جعل مستوىٰ الترقي والاستيعاب متساوياً لدىٰ الجميع.

ومن ثمّ يجب أن نقول: إن النظام اللاطبقي لا يلائم مدنية البشر إلىٰ حدّ ما؛ لأن نظام=

الواحد والحكومة والواحدة والعالمية المتجددة والمتطورة، كل ذلك تحقق في الإسلام.

ويستفاد من بعض الروايات التي تفسر الآية الكريمة ﴿**فمن كان يرجو**

= الحياة الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للبشر لا يمكن بدون وجود التفاوت في الأعمال التي يختلف إنتاجها ومقام أصحابها في المجتمع. فالمدنية قائمة على أساس الطبقات، فمنهم من ينتجُ مباشرة، ومنهم من يصنع وسائل الإنتاج، ومنهم من يتعهد صحة المنتجين، ومنهم من يبادل ويوزع الأشياء المنتجة بين الآخرين، ومنهم مَن يتعهّد بإيجاد العدالة والنظام والأمن، وآخرون يتعهدون بهداية الناس أخلاقيّاً وبالتعليم والتربية. فلو حصلت بين هذه الطبقات علاقات عادلة، ومنع الطغيان والتعالي بالتعاليم الدينية الصحيحة، أي الإسلام فإنّ كل الطبقات ستعيش في رفاه وراحة، فبقاء المجتمع وحضارتهِ يتوقفه على وجود الطبقات، فيه، وإن لم تتواجد هذه الطبقات بنفسها للزم إيجادها.

وهناك تصنيف آخر يقسم فيه المجتمع إلى قسمين، الطبقة المحرومة المظلومة القاطنة في جنوب المدينة، والطبقة الغنية الظالمة القاطنة في شمال المدينة، إن هذا التصنيف مضرٌّ جداً. يجب أن يكون التخطيط والنظام الأخلاقي والتربوي الإقتصادي والمعيشي والعمل بنحوٍ يحقق للجميع الوصول إلى دخل معتدل وإلى الصحة والمسكن المناسب، وإن لم يستطع الأفراد تحقيق ذلك وجب تأمينه من بيت المال، وأن تتوفر للجميع فرص العمل وإظهار الاستعداد والوصول إلى حياة فوق الحدّ المتوسط، ويمكن للجميع نيل حياة مرفهة طبقاً لقدرتهم وعملهم واستعدادهم وذكائهم. واختيارهم لأي عملٍ شاؤوا.

وبذلك يحصل تصنيف مشروع ومعقول سببهُ الإمكانات والعمل والجهد المشروع، وسعي الأفراد، ومن البديهي أن تتدخل في نظام الإسلام عوامل مهمة ترتبط بالتربية والوجدان والإيمان بالله والخير والفضيلة والقناعة والزهد وترك الإسراف والتبذير والكماليات، فتوضع الفعالية والعمل والكسب الناتج عنه في المسار الصحيح الذي تبعدهُ عن الإفراط والتفريط والكماليات والبذخ المضرّ.

لقد ذمَّ القرآن المجيد بشدّة مخططات المترفين وأعمالهم الفاسدة وإسرافهم ووصفها بأنها سبب هلاك المجتمع وبيَّنَ عواقب سوء أعمالهم: ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمَرْنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا**﴾سورة الاسراء آية ١٦.

يجب محاربة الفقر بكل مظاهره المادية والمعنوية، والذين لا يملكون المال ليعيشوا، ولا يقدرون على العمل، يجب أن يتكفلهم المجتمع أو الحكومة، ويجب أن يتواجد الحرمان، ويجب أن يُمنحوا فرصة التعلم في المدارس والصحة وفرص الرفاه، وتحل مشاكلهم باتباع تشريعات الإسلام ونظرياته وإرشاداته القويمة، وفي القرآن آيات عديدة في خصوص الإنفاق المالي، وتحدثت الروايات والأحاديث عن الإنفاق وحقوق المؤمنين على بعضهم، وجاء الإنذار من العواقب السيئة والآثار الوضعية لجمع المال =

. . . . . .

= والثروة، حتىٰ قال (الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة) و(في حلالها حساب وفي حرامها عقاب)؛ فكل ذلك مؤثر في الحيلولة دون وجود الحرمان، وفي هذا العصر الذي كثرت فيه وسائل الإعلان السمعية والبصرية، التي لها أثر كبير في التعليم والتربية وتغذية المجتمع فكرياً، إذا أوصلت تعاليم الإسلام وأفكاره للأغنياء والفقراء، وأدرك الجميع الإلتزامات التي تقع علىٰ عاتق المسلم في المجتمع بالنسبة للناس وأقربائهِ وجيرانه وأهل نحلتهِ ووطنهِ، وبالنسبة لكل البشر، بشكل عميق ومؤثر. فإنه سيبدأ بذلك البناء الإسلامي، فإنّ كل المشكلات ترتفع إلىٰ الحدُ الذي يمكن رفعها ولاستغنينا عن اللجوء إلىٰ القوة والشدة.

لذلك فأصل الفقر والحاجة لما يتمتع به الغير هو حكمة وعامل للمدنيّة والرقيّ، وهو موجود شئنا أمْ أبينا، وانَّ سرّ ترقي البشر وتكامله هو الفقر والحاجة ويجب معالجته بالسعي واستخدام قوة الفكر والعقل وقوة اليد.

كما أنّ الحاجة للعمل للغير وأخذ الأجرة، ووجود العلاقات الاقتصادية والماليّة بالآخرين علىٰ أساس الإجارة والمضاربة والمزارعة والجعالة ليس منافياً لكرامة الإنسان وشرفه، وقد مارسه الأنبياء والأولياء وهم أشرف وأفضل خلق الله. وإنْ لم تتواجد هذه الحاجة وهذه الأنظمة التي أقرّها الشرع للحدّ من الإستضعاف والظلم وإكراه الآخرين لأنشلّت نشاطات الحياة. لذا فبإمكان الجميع أن يعرض عملهُ أو نتيجته علىٰ الآخرين ويأخذ منهم أجرتهُ أو ثمن ما ينتجهُ، كما أنّ الذي يدفع الأجرة هو بحاجة لأن يمتلك عمل الآخر أو نتيجة عمله، في قبال دفع الأجرة أو الثمن إليه، وفي هذه المبادلات يتحسّنُ حال العامل والمستفيد من العمل.

وهذا التصنيف الحاصل بواسطة الإستعدادات المختلفة وامتلاك النفع الكافي وعدم الخروج في الإنفاق عن الحدّ المتعارف، ووجود الإرث بصورة بيت أو أرض أو مال فائض عن الحاجة الشخصية، أمر مشروع وصحيح في المجتمع، يؤدي عدمه إلىٰ نقائص كبيرة وخطيرة.

مع ذلك يوجد في الإسلام مخططات وبرامج منها التفاتة إلىٰ معايب الفرق الطبقي غير المتعارف، ومعالجته في نظامه المستند علىٰ الإيمان بالله، فالوجدان الإسلامي عالج هذه المسائل بشكل حقيقي، ولو أصبحت إرشادات الإسلام هادياً للنظام والمجتمع، فإن أوضاعه الإقتصادية تتحسن إلىٰ أقصىٰ حدّ.

وقد أخطأ الكثيرون في عدم تصديقهم بقدرة الإسلام علىٰ حل المشاكل الاقتصادية، وذلك لأنهم يريدون من الإسلام أن يعمل كالمذاهب التي تعتبر الاقتصاد قاعدة، وإن العقائد والأخلاق متفرعة عنه، وان يكون ذا بُعدٍ واحد، لذا يظنون أن في النظام الإسلامي نفس العيوب المتواجدة في الأنظمة الرأسمالية الغربيّة، ولم يفكروا بأنّه أولاً: ان سبب تلك العيوب، وطغيان سلطان الثروة والمال علىٰ كل شؤون الحياة الغربية، هو النظرة المادية التي تقوم عليها الرأسمالية التي يتواجد فيها كل شيء سوىٰ الإنسانية =

. . . . . .

= والشرف والرحمة والإنصاف، وقد انتقلت عدوىٰ فكرة عبودية المادة بسبب سلطة الاستعمار الغربي والأسباب الأخرىٰ إلى المجتمعات الإسلامية. في حين أن العلاج الإسلامي هجر بسبب عدم إسلامية الأنظمة المتسلطة علىٰ المسلمين، لذا فهؤلاء بدلاً من مطالبتهم بتطبيق كل الأنظمة الإسلامية، وسعيهم لإعادة الأذهان إلىٰ الإسلام والإستلهام من القرآن وسيرة النبي (ص) والأئمة (ع)، نجدهم يتقبلون خطط ماركس ولينين كالإشتراكية، وفي الحقيقة يعزلون الإسلام عن جانب مهم من حاكميته، وهو الأمور الإقتصادية، وثانياً: نجدهم غافلين عن الجوانب السلبية في الإقتصاد الإشتراكي، (المغلق علىٰ حدّ تعبير بعضهم) التي إن لم تكن أكثر من سلبيات الإقتصاد الحر، فهي ليست بأقلّ منه، لذا يجب أن لا يُلعب بالألفاظ والكلمات وخداع الناس وترويج المذاهب المستوردة بأسم الإسلام والدين، ولأنّ الإسلام هو دين التوحيد الحاوي لعوامل ترقي الإنسان وتعاليه، وسيره في مراتب التوحيد ومدارجهِ. إنهم بأسم النظام التوحيدي اللاطبقي يحاربون الإسلام والأنظمة المالية والسياسية والإجتماعية فيه، ويحاربون توحيد الإسلام. فالتفاوت والتفاضل الموجود بحال قدرة البشر وخارجه، والذي أيّدهُ القرآن أيضاً، لا يقبل التغيير والتبديل.

بعض الناس يفتقدون الإستعداد الكافي، ولبعضهم استعداد ونبوغ فوق الحد المتعارف، والبعض يتمتع بصفات وخصائص روحية خاصة، والبعض الآخر ضعيف في تلك الصفات، ووجود وعدم مثل هذه الشروط يوجد نوعاً من التصنيف الطبيعي، ويشكل عاملاً للتصنيف الإقتصادي. ويعيش البعض في مناطق رديئة الماء والهواء، أو قليلة المياه، وأراضٍ غير صالحة للسكن، وآخرون يعيشون في مناطق حسنة المناخ حافلة بالمصادر الطبيعية. وبعض الخلايا توجد الدماغ وأخرىٰ تكون الأعضاء الأخرىٰ، فالعالم بالنظام جعل هذا التفاوت فهذا النظام مسبب وموجد للنظام، ويوجب النمو والتكامل، ومظهر لوحدة النظام أو كما يقول هؤلاء توحيد النظام أو النظام التوحيدي، وفي الوقت ذاته يجب أن تكون هذه المسألة الطبيعية والقهرية كغرائز البشر تحت رعاية التشريعات الإلهية سبباً لتحسين أحوال الناس وحُسن روابطهم، ويجب المنع من سوء التصرف بها بأن لا يظلم القويُّ الضعيف، ولا يستكبر الفاضل علىٰ المفضول، ولا يُحرمُ فردٌ من حقوقهِ، ونجعل الإخوة الإسلامية والعواطف الإنسانية الجميعَ كالجسد الواحد، وكما أراد الرسول (ص) إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمىٰ.

إن نظام كسرىٰ وأنو شيروان الذي يحرم ولد الإسكاف من العلم والتعلّم هو نظام الشرك، إن تفاوت الاستعدادات وتفاوت الأفراد والأعضاء والطبقات، وحرية النمو وإبراز الاستعداد في كل مجال وناحية، هو نظام إلهي أو: هو تقدير إلهي.

طبعاً إن التصنيف القانوني، وإدانة كل فرقة من الناس بسبب كونها طبقة خاصة، كما هو حاصل في نظام أنو شيروان هو خطأ، لكن تصنيف المجتمع وكونه ذا طبقات، بمعنىٰ أن البعض يملك الأشياء والوسائل التي يحتاجها الآخرون، كأن يملك السفينة، الطائرة، =

لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾[1] بأن عدم الشرك بعبادة الله هو أن لا يقبل الإنسان نظاماً غير نظام الإمامة، وهو النظام الإلهيّ، ولا يجعل للأئمة (ع) الذين لهم هذه الولاية شريكاً.

ومن ذلك ما في تفسير العياشي، سُئل الإمام الصادق (ع) عن هذه الآية فقال: «العمل الصالح المعرفة بالأئمة، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً التسليم لعلي (ع)، لا يشرك معه في الخلافة من ليس ذلك له، ولا هو من أهلهِ».

وعن تفسير علي بن ابراهيم القمي عن الصادق (ع) أنه قال في تفسير **﴿ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾**:

«لا يتّخذ مع ولاية آل محمد صلوات الله عليهم غيرهم، وولايتهم العمل الصالح، من أشرك بعبادة ربه فقد أشرك بولايتنا، وكفر بها، وجحد أمير المؤمنين (ع) حقه وولايته».

اتّضح مما قلنا: إن الإمامة كالنبوّة من الأمور التي لا تكون إلاّ بجعل الله وتنصيبه، وهذ الحق مختص بالله، وهو لازم بحسب الحكمة، والدلائل العقلية المحكمة كقاعدة اللطف.

وخلاصة الكلام هي أن التصرف في الأمور العامة وحلّ الأعمال وفصلها وإعمال الولاية علىٰ خلق الله وإن كان فرداً واحداً هو تصرف في سلطان الله وملْكِهِ، ويجب أن يكون بإذنهِ تعالىٰ، كما جاء في آيات القرآن والأحاديث المتواترة عن طريق الشيعة والسنة.

وقد بلّغ الرسول (ص) نظام الإمامة للناس. وعرّف لهم أولي الأمر الذين يتعهدون هذا المنصب إلىٰ يوم القيامة.

= والأرض، والدكان، والبيت. ثم يفوّضها إلىٰ آخر بعقد الإجارة أو مزارعة فذلك أمر مشروع.
وقد ثبت تصنيف المجتمع هذا وطبقاته بشكل صريح في آيات القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، ونهج البلاغة كما نرىٰ في عهد الإمام علي (ع) لمالك الأشتر.

(١) سورة الكهف: آية ١١٠.

لذا فصحّة الأسلوب والطريقة التي يعتقدها الشيعة في نصب الإمام لا تحتاج إلىٰ دليل لمن يؤمن بالتوحيد؛ لأنّه لا شك في أن مشروعية الإمامة والولاية بإذن الله وتنصيبه، لكن السؤال المطروح هو **أولاً**: هل إذن الله موجود أم لا؟ **وثانياً**: مَنْ هم المقصودون بهذه العناية الإلهية؟

وقد اتضح جواب السؤال الأول من خلال البحث السابق، ومع الالتفات إلىٰ عدم وجود مجوّز شرعي للتدخل في أحكام الله تعالىٰ، وان مسألة النظام وإرادة الأمور والحكومة ليست أمراً يقبل التعطيل، وبالإلتفات إلىٰ وجود برنامج مشروع مستند إلىٰ الله تعالىٰ، له دخل في هدف خلق البشر، فقد عُيّنَ حتماً من قبل الله نظام أكمل وأتمّ، وفي دين كالإسلام الذي لم يترك حتىٰ المستحبات والمكروهات في الموارد الجزئية، لا يمكن أن يترك أمر مهم كهذا له أثر كبير في تطبيق الأحكام، وحفظ مصالح العباد، ورعاية المستضعفين والمحرومين، وسير الخلق نحو الله تعالىٰ، حاشا لصاحب الشريعة مع عنايته بتربية العباد وعدم بخله بهدايته التشريعية والتكوينية في كل مكان، حاشا له أن يحرم عبادُه من رحمانيته ورحمته وربانيته وفيضه في أمرٍ كهذا. فكيف نتصور النبي (ص) لم يراعِ متطلبات أمرٍ مهم له دخل في كل شؤون أمتهِ، ولم يضع برنامجاً وأمراً جامعاً، ويترك الأمة في حيرة ومع ذلك يقول: «قد تركتكم علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلاّ هالك»[1].

ونفهم من هذا الحديث أن إرشادات وتعاليم النبي (ص) قد أوضحت كل شيء، وأزالت الظلمة والحيرة عن الناس، ولو كان قد أهمل أمراً مهماً كأمر الخلافة والإمامة، لما كان هذا الحديث مفهوماً، ولو كان أمر الإمامة غير معيّن وغير مخطط له مع تأكيد النبي (ص) علىٰ تعيين الإمام، لم تكن لتنزل هذه الآية الكريمة:

﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾[2].

---

(١) المجازات النبوية ـ الحديث ٣٥٩ ـ ص ٤٤٢.

(٢) سورة المائدة: آية ٣.

وأما جواب السؤال الثاني، فالمستفاد من الأحاديث الكثيرة المتواترة أن هذا الموضوع بُلِّغَ منذ بداية بعثة النبي، وفي السنة الثالثة، عند نزول الآية الشريفة ﴿**وأنذر عشيرتكَ الأقربين**﴾[1] حتىٰ مرض الرسول (ص) وارتحاله إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، وفي مناسبات عديدة، وقد تعيّن نظام قيادة الناس بعد رسول الله (ص)، إضافةً إلىٰ ذلك فلو راجع كل فرد منصف كتب التاريخ والتفسير والحديث والكلام، وفرق المسلمين وسرّ افتراقهم يصدّق أن أيّاً من الأنظمة التي تولّت أمور المسلمين بعد رسول الله (ص) لم تكن لها تلك المزيّة، وهي استناد شرعيتها إلىٰ الوحي وتنصيص الرسول (ص)، ولكن بعد قيامها أراد الآخرون تلفيق أدلة لمشروعيتها، لكنها باءت بالفشل، وحتىٰ في عصرنا الراهن الذي عرف فيه عالم الإسلام أضرار فصل الدين عن السياسة، أصبح مهيئاً لتحكيم الإسلام في كل نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والأخلاقية والإقتصادية والثقافية وغيرها، يظهر أفراد أمثال (عبد الكريم الخطيب) وهو من كتّاب أهل السنة المعروفين وله مؤلفات عديدة، ينتهي من خلال تحقيقاته حول الخلافة والإمامة، والأنظمة المختلفة التي حكمتْ المسلمين بواسطة أفراد ومذاهب مختلفة لأهل بيت النبي (ص)، وتدقيقه في أدلّة شرعيتها، ويستنتج من ذلك كلّه أنه لا يوجد في الإسلام مخطط ورأي بشأن الإمامة والخلافة، وقد فوض أمر الناس إلىٰ أنفسهم، وفي هذا الموضوع فإن الدين يفصل عن السياسة، وفي الحقيقة إنه يعتقد بأنَّ الأنظمة التي استولت علىٰ أمور المسلمين طوال أربعة عشر قرناً، والتي ستأتي بعد ذلك، يجب أن تكون بآنتخاب الناس.

والرأي الآخر لأهل السنة هو أن كلُّ من تسلّط علىٰ المسلمين وقبض علىٰ زمام أمورهم، تجب طاعته، وفي الحقيقة لا يُقصد من ذلك شروط وصفات الحاكم وعدالته وفسقه، بل إنّ الأوامر التي وردت في كتب السُنّة حول طاعة الولي والحاكم يُراد بها مطلق الحكام، وهذا الرأي مطابق للطريقة التي حكمت المسلمين طوال أربعة عشر قرناً.

---

(١) سورة الشعراء: آية ٢١٤.

وفي هذه المقالة لسنا بصدد التحقيق عن الآراء وردّها، بل نذكر هذه النكتة فقط وهي أنّ فقدان الدليل المُقنع علىٰ صحة ومشروعية الأنظمة التي جاءت بعد رسول الله (ص)، جعلت أمثال عبد الكريم الخطيب يقولون: إنّه لا يوجد للإسلام رأي وتخطيط في موضوع النظام وقيادة وإمامة أمور المجتمع العامة والسياسة، وعلىٰ الناس أن يحلّوا هذا الأمر بأنفسهم. وبناءً علىٰ ذلك يوجّه إلىٰ عبد الكريم الخطيب سؤال وهو: من هم هؤلاء الناس الذين يجب عليهم حلّ هذه المشكلة، ومَن يعيّن نظام وبرنامج تدخل الناس في هذا الأمر، وكيف يكون ذلك؟ أو بما أن الحكومة واحدة في الإسلام وليس للحكومات المتعددة أساس إسلامي، فكيف يُعيَّن قائد هذا النظام مع وجود سكان يبلغون ألف مليون نسمة؟ وكيف يمكن توجيه الحكومات الحالية في عالم الإسلام؟ وكيف يمكن معرفة إمام العصر وهي واجب طبقاً لما ورد في الروايات الشيعية والسنّية؟ وأيٌّ من هؤلاء الحكام والأمراء والملوك ورؤساء الجمهورية هو الإمام؟ ومن الذي يسمىٰ إماماً ووليّاً للأمر في هذا العصر؟ وأيّ الذين حكموا المسلمين هو شعبي ومع الناس؟ ولو عيّن الخليفة خليفةً من بعدهِ فعلىٰ أيّ أساس يكون ذلك؟ وهل كانت الشورىٰ السداسيّة والوضع الذي كان حاكماً حتىٰ انقراض العثمانيين هل كان شعبياً؟ وأسئلة أخرىٰ من هذا القبيل، ليس لها جواب والنظام الوحيد الذي يمكنه الإجابة عن هذه الأسئلة وأمثالها هو نظام الإمامة.

ولو قال أحد: أنَّ المشروعية جزءٌ لجوهر وهوية نظام الإمامة، لكنَّ مَن لا يميل إلىٰ هذا الأصل يثبت جواز الحكومة علىٰ أساس الأنظمة المختلفة الأخرىٰ بأصالة الإباحة، ولو شككنا في جواز التدخل في أمور الولاية المرتبطة بالجهات والمصالح العامة، فيثبت ذلك بأصل الإباحة، وهكذا في سائر الولايات، لو شكَّ الفقيه أو ولي الصغير أو أي صاحب سلطة وقدرة في جواز بعض التصرفات والتدخلات تثبت إباحتها له بأصالة الإباحة.

والجواب عن ذلك: أن أصالة الإباحة في الموضوعات المرتبطة بالمكلف نفسه هي كاستعمال التدخين أو أكل لحم الحيوان الفلاني، إذا لم تحرز تذكيته، أو لبس اللباس الفلاني، ولا يثبت جواز الأمور المرتبطة

بالآخرين وأمرهم ونهيهم والتدخل في أعمالهم، وتتضمن إلزامهم بالقيام بعمل أو تركه، كل ذلك لا يثبت بأصالة الإباحة، بل تجري في هكذا موارد الأدلة المتعددة لأصالة الحظر، أي منع التدخل، وإضافة إلىٰ ذلك فإن الآثار الوضعيّة لهذا التدخل لا تترتب بمقتضىٰ هذا الأصل، وبهذا الكلام لا تثبت مشروعية النظام ووجوب طاعة الآخرين له.

وخلاصة الكلام هي أن النظام التوحيدي الفريد المستند إلىٰ الآيات والأحاديث المعتبرة، وإلىٰ الله تعالىٰ، هو نظام الإمامة المجعول من الله الباقي خالداً حتىٰ قيام القيامة.

البحث الرابع

تجلي التوحيد في إمامة المهدي (عج)

إن منظار عشاق رؤية هذا التجلي، ومنتظري الظهور الحقيقيين ومشتاقي إدراك الفيض وسيع جداً، وكلما ينظرون ويتفكرون، يزداد عشقهم وشوقهم ويطول نظرهم ويتّسع.

إضافة إلىٰ ذلك فإن مصدر الإمامة كما قلنا في الفصل الثالث هو مصدر توحيدي واصطفاء واختيار إلهي، وكل إمام في عصره يكون واحداً لا شريك له في التصرف في الأمور والاستقلال في رتقها وفتقها.

وعند ظهور حضرة بقية الله (أرواحنا فداهُ) تتهيّأ الشروط كي تكون الاستفادة أكبر من نعمة وجود الإمام (ع)، وترتفع موانع الظهور وفعليّة شؤون وأبعاد الإمامة الموجودة في عصر سائر الأئمة، وفي عصر غيبته (ع). وتتجلىٰ أسماء الله الحسنىٰ (كالوليّ) و(العادل) و(الحاكم) و(السلطان) و(المنتقم) و(المبير) و(القاهر) و(الظاهر) بشكل لا مثيل له، وبعبارة أخرىٰ يكون الإمام (ع) مُظهِراً لهذه الأسماء وعاملاً لله تعالىٰ، ويظهر مقام خلافته الإلهية بشكل عملي وفعلي، لكلِّ هذه الشؤون التي يجسّدها الإمام، ويحققها الله بحكمته البالغة، بواسطة ذلك الإمام (ع)، وإن أصالة توحيديّة وتتحقق بإذن الله الواحد وأمرهِ.

ومن الأمور التي تبيّن تجلي التوحيد في ظهور المهدي (عج) تحقّق أهداف الإسلام كوحدة الحكومة والنظام، ووحدة القانون، ووحدة الدين، ووحدة المجتمع، بواسطة الإمام (ع) وكما ورد في الأحاديث: أنَّ الله يفتح علىٰ يديه (ع) شرْق الأرض وغربها، كما جاء في رواية جابر المعروفة إن

رسول الله (ص) قال: «ذلك الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها».

وورد في القرآن المجيد أيضاً طبقاً لبعض التفاسير أن يوم الفتح هو يوم ظهور وفتح الإمام (عج) **﴿يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾**[1].

---

(١) راجع تفسير الصافي، ونور الثقلين تفسير الآية (٢١ ـ ٢٩) من سورة السجدة والآية ١٣ من سورة الصف. ولا يُخفى أنّ البعض قد يشكلون على تفسير هذه الآية **﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾** ويقولون: كيف لا يُقبل إيمانُ الكفار يوم الظهور ويوم الفتح، ويحكم مئات الملايين من البشر بالفناء مع أنّ كفرهم لم يكن بسبب العناد واللجاجة، ولم يكن بعد ظهور الحق لهم؟ وكيف يناسب ذلك العدل الإلهي؟ ونقول في الجواب: يتوجه هذا السؤال أيضاً على الآية الكريمة **﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل﴾** أيضاً، وجواب السؤالين هو، أولاً: قد يقال بالقرينة العقلية: أن المراد من الكفار الذين لا ينفع إيمانهم يوم الفتح ويوم تأتي آيات الله هم الكفار الذين كفروا عناداً وهم مصداق **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾** فإيمانهم عند الظهور كإيمان فرعون لن يُقبل منهم أما الذين يؤمنون بمجرد ظهور الحق لهم فلا تشملهم هذه الآيات. وثانياً: قد يكون الإيمان في هذه الآيات بمعنى الإسلام اللّساني والإقرار بالشهادتين، لذا يكون المعنى: إن لم يكن الإيمان اللّساني مرافقاً للإيمان والتسليم القلبي، فلن يُقبَل، وهذا لا ينافي عدم مجيء ذلك الإمام (ع) بدين جديد، وهو مأمور بالعمل بأحكام الإسلام، وهو تابع لرسالة خاتم الأنبياء (ص) كسائر الناس والأئمة (ع)، لأنّ الدين لا يتجدّد، وما يستفاد من هذه الآيات وما جاء في تفسيرها، والآيات التي تتحدث عن المنافقين وأحكامهم، يُفهم منها أن موضوع الأحكام التي ذكرت للمنافقين، وترتّب بعض الآثار الظاهرية كحقن الدماء على إسلامهم الظاهري، فهم منافقو قبل يوم الفتح وأما المنافقون قبلهُ فحكمهم حكم سائر الكفار، وليس ذلك بدين جديد، بل هو عين الإسلام. وثالثاً: إن للكفر مفاهيم مختلفة في اللغة وفي القرآن. ومنها الستر، فأحد أقسام الكفر هو الكفر بالنعمة، وبعض أقسامه ويؤدي إلى الكفر المصطلح، وموضوع الأحكام الخاصة التي عيّنتْ للكفّار في الشرع.
لذلك تبقى دعوى ظهور الكفر في الآيات المذكورة في الكفر المصطلح الذي تشمل الذين ليس في قلوبهم مرض إنكار الحق، تبقى بدون شاهد، ولا يستفاد من الآيات أكثر من الحدّ المتيقّن. ورابعاً: إن الكفر الذي مفهومه الستر ظاهري في الفعل العمدي، ويصدر من الشخص بقصد إخفاء الحق أو شيء آخر، وأما الذي لا يعرف الحق بسبب القصور لا عناداً، فإطلاق الكفر عليه مجاز أو مسامحة في اللغة، لذا يمكن القول: إن الكفار الذين يؤمنون دون عناد سابق يُقبل إيمانهم، ولا يقال: إن الكفار حالاً الذين ليس لهم كفر عنادي وجحودي ليسوا بكفار، لم يُحكم عليهم بالكفر لأنهم لا يختلفون عن =

وكما ورد في الأحاديث لا تبقىٰ قرية لا يرتفع فيها نداء «لا إله إلاّ الله» ويعمُّ الإسلام العالَم كلّه، وتلغىٰ كل الازدواجيّات، التي حصلت بسبب اختلاف الأنظمة والحكومات، وباسم العنصر والوطن، وتُرفع الحدود التي قسَّمَ أصحاب النفوذ بها الدنيا، وفصلوا أفراد البشر عن بعضهم، وتظهر في ذلك العصر البركات وآثار العقيدة والإيمان بالله، طبقاً للآية: **﴿ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾**[1].

تُفتح أبواب بركات الأرض والسماء للناس ودنيا المؤمنين، وبدلاً من الأنظمة المشركة والحروب والنزاع يحكم، يعمُّ نظام الإسلام الإلهي والأخوّة والصفاء والسلام الحقيقي والعام.

ومن الأحاديث التي تدلُّ علىٰ هذا الأمر روايةٌ جاءت في كتاب (المحجة فيما نزل في القائم الحجة) رواها العياشي بإسنادِه إلىٰ ابن بكير.

قال ابن بكير: سألت أبا الحسن موسىٰ بن جعفر (ع) عن قوله تعالىٰ: **﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً﴾**[2].

فأجاب الإمام (ع): نزلت في القائم (ع) الذي عندما يظهر يعرض الإسلام علىٰ طوائف الكفار في الشرق والغرب فكل مَنْ أسلم طواعية يأمرهُ بالصلاة والزكاة، وكلّ ما أمرَ به المسلمُ، ومَن لم يسلم يقتلهُ كي لا يبقىٰ في المشرق والمغرب أحدٌ إلاّ وكان موحّداً.

= كفار يوم الفتح غير المعاندين بالنسبة لحكم قبول إيمانهم، ولو آمنوا مع سابقة عنادهم، فإنّ إيمانهم مقبول وتترتب عليهم أحكام الكافر؛ لأن موضوع تلك الأحكام هو عدم الإقرار بالشهادتين، والحكم بالإسلام (وموضوعه ترتب أحكام المسلم علىٰ شخص) يتوقف علىٰ الإقرار بالشهادتين، ومن البديهي أن مصلحة ومنشأ هذا الحكم ليس الكفر الجحودي فقط. بل فيه مصالح مهمة أخرىٰ. والخلاصة أنه بالنظر إلىٰ بعض أقسام الكفر يُدعىٰ الجميع كافراً، وبالنظر إلى بعض آخر تعتبر بعض الأقسام فقط في حكم الكافر، وبما أنه ليس هنا مجال للتفصيل والتحقيق الكثير علىٰ صعيد البحوث الفقهية والكلامية في هذا الموضوع، لذا أكتفي بهذا القدر، والله الهادي إلىٰ الحق المبين.

(١) سورة الاعراف: آية ٩٦.

(٢) سورة آل عمران: آية ٨٣

يقول ابن بكير: قلت: فداك نفسي، إنّ الخلق أكثر من ذلك (أي انهم كثيرون جداً لا يمكن عرض الإسلام علىٰ جميعهم أو دعوتهم للإسلام أو قتلهم).

قال: «إن الله إذا أراد أمراً قلل الكثير وكثر القليل»[1].

وهناك رواية عن الباقر (ع) في تفسير الآية: **﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾**[2].

قال: هذه لآل محمد (ص)، المهدي وأصحابه، يُملّكُهُ الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الدين، ويميتُ اللّهُ به وبأصحابه البدع والباطل ـ كما كان السفهاء يطردون الحقَّ ـ كي لا يبقىٰ أثرٌ للظلم، ويأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ولله عاقبة الأمور[3].

ومن هذه الروايات رواية رفاعة بن موسىٰ، قال: سمعتُ الصادق (ع) يقول في الآية: **﴿وله أسلمَ من في السماوات والأرض﴾**:

«إذا قام القائم المهدي لا تبقىٰ أرض إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»[4].

ومن هذه الأحاديث، حديث جاء في (مجمع البيان) في تفسير الآية: **﴿ليظهره علىٰ الدين كله﴾** من سورة الصف عن العياشي بسنده عن عبابة روى: إني سمعتُ أمير المؤمنين (ع) قرأ هذه الآية: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله﴾**[5]. ثم سأل الجالسين: هل أظهر الدين لحدّ الآن؟ قالوا: نعم، قال: كلا، والذي نفسي بيده، لا يصير حتىٰ لا تبقىٰ قرية إلاّ وينادي فيها ليلاً ونهاراً بشهادة (لا إله إلاّ الله)[6].

---

(١) المحجة ومنتخب الأثر ص ٤٧١.
(٢) سورة الحج: آية ٤١.
(٣) المحجة ومنتخب الأثر ص ٤٧٠ وينابيع المودة ص ٤٢٥.
(٤) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٤٢١.
(٥) سورة الفتح: بية ٢٨.*
(٦) مجمع البيان/ تفسير سورة الصف، وفي ينابيع المودة ص ٤٢٣ نظير هذا الحديث.

ومن روايات هذا الباب الحديث الذي رواه السيد الرضي عن النبي (ص) قال: «ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل»[1].

وهذا الحديث يبشّر بأنتشار دين الإسلام في كل المعمورة، ولعلّ ذلك بمعنى أن الكفر وعدم الإيمان والإنحراف عن الله هو كالليل المظلم، والإسلامُ كالشمس التي تزيل كل الظلمات، وتضيءُ كل مكان مُظلم.

إن الأحاديث المتضمنة لبيان هذا الهدف كثيرة ومتواترة، وهذه الأهداف هي الأهداف الفطرية لكل أفراد البشر، فإن البشر يميل إليها بفطرتهِ، ولذا يقامُ مركز هيئة الأمم بأسم الوحدة، مع أن مقاصد الذين أقاموهُ مقاصد سياسية واستعمارية، وإعطاء حق الإلغاء والاعتراض للدول العظمى الخمس، واستضعاف الدول الأخرى، دليل على مقاصدهم الخبيثة، وإرادتهم الإستمرار بأستكبارهم بشكل قانوني، إن الظالمين يتحدثون عن العدل والعدالة، وإن المعتدين على الأمم الضعيفة والناهبين لكل الدنيا وأعداء الأمن والحرية يقترحون السلم وخلع السلاح، وإنّ ساحقي حقوق البشر يذكرون العدالة وحرّية البشر جميعاً وما ذلك إلاّ لأن فطرة البشر تريد إقامة الحكومة الواحدة والعدالة والسلام والأمن واحترام حقوق البشر، وهذا هو مقتضى دين الفطرة الواحد، وسينعمُ العالم بقيادة ذلك الموعود العزيز ومحبوب الأنبياء والأولياء وكل رجال الله، وتسير الدنيا نحو قبول هذا الدين وأهدافه الطاهرة والإنسانية، وتستعدُّ لتلبية نداء قرّة عين المصطفى وثمرة عليّ والزّهراء.

ونأمل أن تقرّ عيوننا وعيون كل المنتظرين والمحرومين والمستضعفين بطلعة كهف الأمان، وغوث الزمان عجّل الله فرجه الشريف، وليتحول هذا العالم المضطرب المليء بالفتن والفساد، ببركة ظهورهِ، مكاناً آمناً، ملؤه العدل والعرفان والعلم، وما ذلك على الله بعزيز، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٥/٥/١٤٠٢هـ.ق

لطف الله الصافي

---

(١) المجازات النبوية، الحديث ٣٣٧ ص ٤١٩.

الفصل الثاني

أثر الإنتظار في بناء المجتمع الإسلامي

تأليف: جعفر السبحاني

في هذه المقالة نتحدث عن فوائد الإنتظار في بناء المجتمع الإسلامي من جهات مختلفة، ونجيب عن أسئلة الذين لا يعتبرون لوجود الإمام في عصر الغيبة فائدة وثمرة، وأنّهُ وجود شخصيّ.

علىٰ أملِ أن نتعرف بمطالعة هذه المقالة فوائد وجود الإمام خلف ستار الغيبة.

١ ـ ماضي البحث وتاريخهُ:

منذ غياب الإمام القائم (ع) عن الأعين وبدء حياته خلف ستار الغيبة، كانت أسئلة كثيرة تدور بين المتطلّعين إلىٰ مسائل الغيبة. وكثير من هذه الأسئلة ذكرتْ في المؤلفات المرتبطة بإمام العصر في القرن الرابع والخامس، وأجاب عنها العلماء أجوبة مناسبة.

الصدوق أحد محدّثي الشيعة العظام الذي توفي عام ٣٠٥ للهجرة، تحدث في كتابه (كمال الدين) عن المسائل المرتبطة بالغيبة. وهناك محدّث آخر هو (النعماني) الذي عاش في القرن الخامس الهجري تحدّث أيضاً عن غيبة الإمام (عج)، وهكذا أستاذ الشيعة المرحوم (الشيخ الطوسي) المتولد عام ٣٨٥ للهجرة والمتوفى عام ٤٦٠ حقّق بشأن هذه المسائل في كتبهِ. فليس هذه الأسئلة حول المهدي (ع) جديدة ومستحدثة بل مرّ عليها ألف عام أو أكثر، وطبعاً ليست الأجوبة جديدة أيضاً، بل لها عمر طويل كتلك الأسئلة، وكلّ ما في الأمر هو أن الأجوبة اتخذت شكلاً خاصاً على طول الزمن وواكبت مقتضيات كل عصر.

شرح السؤال:

من الأسئلة الشائعة حول إمام العصر (عج) السؤال عن فائدة وجود الإمام الغائب.

وكلُّنا نعلم أن الأثر البارز لوجود الإمام هو الهداية والإمامة، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن للإمام الغائب عن الأنظار أن يهدي، وبعبارة أخرىٰ بالنظر إلىٰ أن القرآن يعتبر الهداية من خصوصيات الإمام ويقول: **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾** (سورة الأنبياء: الآية ٧٣) كيف ننتظر أداء هكذا تكليف ثقيل من الإمام الغائب. إن الإمام (عج) هو القائد والزعيم والإمام. ووجود القائد لا يكون مفيداً إلاّ أن يكون متصلاً بشكل مستمر بأصحابه. فكيف يمكن للإمام الغائب عن الأنظار أن يؤدي دورهُ القيادي؟

وبعبارة أخرىٰ: إن حياة الإمام (عج) في زمن الغيبة هي حياة خاصة وليس حياة اجتماعية وفي موقع الزعيم والقائد، ومع هذا يجوز لنا أن نسأل ما هو الأثر العام لهذا الإمام المدّخر للناس؟ وما هي الفائدة التي يجنيها الناس من وجوده؟

فهو كنبع ماء الحياة الزلال الموجود في الأعماق حيث لا أحد يصل إليه.

إضافةً إلىٰ ذلك هل مفهوم غيبة الإمام (عج) هو أن وجوده تبدّل إلىٰ روح لا مرئية أو أمواج خفيّة أو أشعة وأمثالها، وهل هذا يوافق العلم؟

إن هذا السؤال سؤال مهم بلا شكّ، ومن الخطأ أن نظنّ أنه بقي بلا جواب، ولكن دَعُونا نجيب أولاً عن الجملة الأولىٰ التي أصبحت سبباً في سوء فهم بعض الجماعات، وبعد اتّضاحها نجيب عن سائر الأسئلة.

يجب القول بصراحة: ليس مفهوم غيبة الإمام (عج) كما ذكرنا هو وجوده في الغيبة بشكل لامرئي يشبه الوجود الخيالي ويخالف الوجود العيني، بل إنّ له حياة طبيعية وعينية ووجوداً خارجياً، إلاّ أنّه يعيش مع

الناس وفي المجتمعات، وفي مناطق مختلفة، وإن كان في حياته استثناء فهو عمرهُ طويل فقط.

إنه يعيش في المجتمع البشري بشكل خفيّ، ولم يدّعِ أحد بشأن غيبته غير هذا وفرق كبير بين «المجهول واللّامرئي».

والآن وبعد أن أرتفع هذا الإشكال، نقول: إن حياة كهذه يمكن ثبوتها للفرد العادي، ولكن هل يمكن ثبوتها لقائد إلهي عظيم؟

سوف نبحث هذا الأمر من جهاته المذكورة آنفاً، ضمن النقاط التالية.

١ ـ فائدة الاعتقاد بوجود الإمام المجهول على المستوى الإجتماعي.

٢ ـ فوائد إمام العصر للأمّة الإسلامية.

٣ ـ حجج الله الخفية من وجهة نظر القرآن ونهج البلاغة.

* * *

١ ـ وجود الإمام والقائد سبب في بقاء المذهب:

أثبتت التحليلات العقلية والإجتماعية أنّ للاعتقاد بوجود إمام كهذا لطول مدّة غيبته أثرٌ عميق في المجتمع الشيعي، وذلك أنّ لكلّ مجتمع مؤسسات، يحتاج في بقائها وأستمرارها وتحقيق هدفها إلى رئيس وقائد.

وكلما كان هذا الرئيس في قلب المجتمع، كان تدخّله في قيادة الأمة وإدارة شؤونها لازمٌ وضروري. ولكن لو كان هذا القائد لأسبابٍ محبوساً أو مبعداً أو مريضاً، فإنّ وجودهُ كافٍ لمواصلة اتباعه طريقهم، لأنهم بأمل وجود ذلك القائد يتعاونون ويتّحدون ويواصلون نشاطهم.

على طول التاريخ، وبين الأمم الحيّة التي كان لها نهضات وثورات، نجد مصاديق كثيرة لهذا الأمر، تبيّن أنّ القائد ما دام حيّاً، فإنّه وإن لم يوفّق للقيادة مباشرة، لكنّ أتباعهُ والمنظمات التابعة له كانت تواصل أعمالها. وما إنْ تنتهي حياتهُ، حتى تشيع التفرقة بين الناس وتتشتت القوى وأفضل مصداق لكون وجود القائد حافظاً للمذهب وسبباً لتشكيل الأتباع والأصحاب

هو معركة أُحد، فقد أشيع في تلك المعركة بين الجند نداء (ألا قد قُتل محمد) اشتباهاً أو عن عمد.

شاع هذا الخبر بين المسلمين في الوقت الذي كانوا يردّون هجوم العدو، وعندما تيقّن المسلمون من قتل القائد، فرَّ كل منهم إلىٰ جهة وتركوا القتال. وفكر البعضُ بالإلتحاق بالعدوّ.

لكن عندما كُذِّبَ خبرُ قتل الرسول (ص) وعلم المسلمون ببقائه حيّاً، ورآهُ البعض بعينهِ، اجتمع الجيش المتفرّق مرّة أُخرىٰ، من أطراف جبل أُحد ومن خلف الصخور حول النبي (ص)، وشرعوا بالحرب والدفاع مرّة أخرىٰ، وقد بين الله تعالىٰ هذه الحقيقة في القرآن بقوله:

﴿وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإنْ مات أو قُتلَ انقلبتم علىٰ أعقابكم ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلنْ يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾. (آل عمران: الآية ١٤٤).

وإن الجيش يسعىٰ دائماً لأن تكون رايته مرفوعة في ساحة الحرب أمام العدو، بينما يسعىٰ العدو دائماً للإطاحة براية أعدائهِ؛ لأنّ ثبات الراية وارتفاع العلم سبب في أمل الجنود وسعيهم الحثيث وقتالهم المستمر.

وهكذا وجود القائد للجيش في مقرّ القيادة، مهما يكون صامتاً في الظاهر، فإنّهُ يحرّك في عروق الجند الدم الملتهب ويحرضهم علىٰ مواصلة القتال، لشعورهم بأن قائدهم حيٌّ ورايتهم خفّاقة، وما إنْ يشيع خبر قتل القائد بين الجيش حتىٰ يتلاشىٰ الجيش العظيم فجأة، وكأنَّ ماءً بارداً أُصبَّ علىٰ رؤوسهم أو غادرت الروح أجسادهم.

وما دام رئيس جمعية أو دولة حيّاً فإنه يكون مبعثاً لحياتها ونظامها وحركتها، وإن كان في السفر أو علىٰ فراش المرض، لكن سماع خبر موته ينشر علىٰ رؤوس الجميع غبار اليأس وفقدان الأمل.

وإن مجتمع الشيعة طبقاً لاعتقادهم بوجود الإمام الحيّ (رغم أنهم لا يرونهُ) يجعلهم لا يحسّون بالوحدة.

إن المجتمع الشيعي ينتظر دائماً عودة ذلك المسافر الذي يحمل معه قوافل القلوب، وإنّ انتظارهُ البنّاء المؤثر يزيد من احتمال ظهوره كلَّ يوم.

وإنَّ أثر هذا التفكير الروحي في إحياء الأمل في القلوب وتحريض الأفراد على التزكية والإصلاح والاستعداد لتلك الثورة الكبيرة، يمكن إدراكه جيداً.

وإنْ لم يكن لهذا القائد وجود خارجيّ، لم ينتظرُ محبّو مذهبهِ ورسالته ولادتهُ في المستقبل، فإن الأمر يختلف كثيراً.

ولو أضفنا لهذا الموضوع أمراً آخر سيتخذ الجواب شكلاً جديداً، وهو:

طبقاً لاعتقاد الشيعة العام الذي جاء في روايات كثيرة تضمنتها المصادر الدينية فإنّ الإمام يراقب أحوال وأوضاع شيعته بشكل مستمر في زمن الغيبة، ويطلع على أعمالهم بإلهام من الله تعالىٰ، وتعبير الروايات تُقدَّمُ له كل أسبوع صحيفة أعمالهم فيطّلع على أعمالهم وأقوالهم[1].

إنّ هذا التفكير يكون سبباً في أن يراقب كلُّ المعتقدين به أعمالهم دائماً، ويذكرونه عند قيامهم بأي عمل، ولا ينكر الأثر التربوي لهذا التفكير.

لنوسع البحث:

والآن لنطرح هذا السؤال حول إمام العصر: ألا يؤثّر الاعتقاد بوجود الإمام الحيّ والحاضر والناظر والمستعدّ للنهضة متىٰ شاء، والقائد الحقيقي للأمة الإسلامية، في حفظ وحدة الأمة ومنظّماتها، وبالأخص إعداد الأفراد للثورة علىٰ الظلم والجور، والاستبداد والتفرقة والإنحرافات؟

كلما اعتقدت أمّة بحياة قائدها وانتظاره لأمر الله بالظهور، فإنها لن يصيبها اليأس، ولن تفقد وحدة كلمتها، بل تسعىٰ لحفظ مذهبها ودينها وتربّي القوىٰ لتحقيق هدفها.

---

(١) تفسير البرهان، سورة التوبة ـ تفسير الآية ﴿وسيرىٰ الله عملكم ورسوله﴾ ص ١٠٥.

ولكن لو قيل لهذه الأمّة: لا قائد لكم، وان قائدكم سيولد مستقبلاً، ولا يُعلم وقت ولادته، بل إنّ أجدادهُ لم يولدوا بَعْد، فهل توجد في أمّة كهذه روح الانتظار البنّاءة والمحرّكة، وهل توجد فيها القوة اللازمة لذلك؟ وهل تتأثر أنظمتهم المادّية والمعنوية بهذه العقيدة، أم أنّ هذا الأمر ينتهي بتشتت الأفراد وتفرقتهم وهلاك الدّين؟ ونقول لنوضح جيّداً موقع الإمام (ع) الغائب وأثره في المجتمع وفي أذهان أتباعهِ والمعتقدين به: إنّ الإيمان بالنصر النهائي وانتظار المُصلح العالمي، لو وصل إلىٰ مرحلة المعرفة والعلم البنّاء سيكون مصدراً للحركات والثورات والنهضات.

إن قائد حركة العدالة حتىٰ وإن لم يكن بين أصحابهِ، فإنه مصدر لتلاحم صفوف أتباعهِ والمعتقدين بنهضته، كما نرىٰ في نهضة الاستقلال الهنديّة مع أن (غاندي) وضع في السجن من قبل الدولة المستعمِرَة، لكن حركة (عدم التعاون) مع الدولة الاستعمارية تستمرُّ بنشاطها، وإنّ أفراد شعب الهند مع أنهم لم يروا غاندي بينهم، لكنهم واصلوا النهضة وتابعوها؛ لأنّ غاندي كان لا يزال حيّاً، وكانت قدرته المعنوية توحّد شعب الهند.

وكانت حرب إسبانيا الداخلية (قبل الحرب العالمية الثانية)، تتواصل في كلّ الجبهات ما دام قوّادُ مريدي الجمهورية في سجن (فرانكو) ولكن عندما أُعدِمَ عدد منهم ظهر الإنكسار في جيش روّاد الجمهورية.

وفي الحرب العالمية الثانية، عند محاصرة مدينة (لينغراد) بواسطة الجيش النازي، اشتدَّ البرد والقحطُ حتىٰ كان الآلاف من الناس يموتون كل يوم، واشتدَّ الجوع كذلك، لكنَّ شعب لينغراد بقي يقاوم، واستمرَّ الحصار أربعة أعوام تماماً، وفي هذه الفترة كان راديو لينغراد يذيع دائماً أخباراً وأوامر من قيادة المقاومة، ويدعو الناس إلىٰ الثبات، في حين كان ثلثا أعضاء المنظمة وقد ماتوا في الأيام الأخيرة من الجوع، لكن الراديو لم يوصل موتهم إلىٰ الناس، وكان يذكر أسماءهم في نهاية البلاغات. والملفت للنظر هو أنّ راديو لينغراد لم يعمل لمدة يومين بسب انقطاع الطاقة الكهربائية، فاجتمع جمع غفير حول دائرة الراديو، وقالوا: إننا لا نريد

طعاماً، ولكن افتحوا الراديو مرّة أخرىٰ لنستمع إلىٰ إعلانات منظمة المقاومة.

وهذه الشواهد والمستندات تبيّن أن قائد الثورة، وإن لم يكن بين الناس، إلاّ أن وجوده الحقيقي يكون سبباً للأمل والحركة والمعنوية.

وأما عن الإمام (عج)، ولماذا لا يخلقهُ الله وقت الظهور، فنقول: لو كان الأمر كذلك لم يكن لعنوان انتظار ظهور المصلح، واقع خارجي، لأنّ الناس يمكنهم أن ينتظروا الفرد الذي يعتقدون بحياتِه ولا يأمل الإنسان ولا يفرح بإنسان لعله سيولد بعد سنين، ليؤدي وظيفة المنقذ للناس.

في العالم المتلاطم والمضطرب، عندما يصل الإنسان إلىٰ اليأس المطلق، ويعرف فلسفة الجهل بوصفها سبيل حياته، كيف يمكن تبشير الناس بوجود منقذ سيولد بعد سنين؟ وهل إن الاعتقاد بالقائد الذي سيولد بعد سنين يمكنه أن يسبب خلق روح الانتظار البنّاءة لدىٰ الناس؟ إن الإنسان لكي يعرف دقائق وجزئيات الحياة، ولأجل أن يواصل مسيره التكاملي يلزمه أن يستلهم من وجود قائدٍ حيّ، وإنْ كان غائباً.

* * *

٢ ـ فوائد الإمام المنتظر للأمة الإسلامية:

حان الوقت لنتعرف فوائد الإمام للأمة عن قريب، ونذكر هذه الفوائد تحت عنوان كلّي، أي: «هو كالشمس خلف الغيوم» وهذه الفوائد تبيّن حقيقة هذا التشبيه.

ففي الأحاديث المتعددة الواردة بشأن فلسفة وفائدة وجود الإمام (ع) في زمن الغيبة هناك تعبير لطيف وبليغ في عبارة قصيرة، قد يكون مفتاحاً لحلّ هذا السرّ العظيم، وهو صادر عن النبي (ص)؛ إذ قال في جواب عن سؤال ما هي فائدة المهدي (ع) في عصر غيبته:

«أي والذي بعثني بالنبوة إنهم ينتفعون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب»[1].

---

(١) بحار الأنوار ج ١٣ ص ١٢٩.

لإدراك هذا السرّ يجب أولاً أن نعرف أثر الشمس بشكل عام، وأثرها عندما تختفي أشعتها خلف الغيوم:

للشمس نوعان من الأشعة والضياء: النور الظاهر والنور المخفي، أو بعبارة أخرىٰ الإشعاع المباشر والإشعاع غير المباشر.

ففي الإشعاع تُشاهَدُ أشعة الشمس بوضوح مع أنّ غلاف الهواء السميك المحيط بالكرة الأرضية يعمل كزجاجة سميكة تقلّلُ من شدة حرارة الشمس وتجعلها قابلة للتحمّل، فهذا الغلاف يصفّي نور الشمس، ويقي من إشعاعاتها القاتلة، وإن كان لا يمنع نور الشمس المباشر.

وفي النور غير المباشر، يكون السحاب كزجاج قاتم، يمتصّ نور الشمس المباشر ثم ينشرهُ.

عندما ندخل غرفة أضيئت بمصابيح مُعتمة، نرىٰ أن الغرفة مضيئة، لكنَّ المصباح نفسه وأشعّتهُ الأصلية والمباشرة لا تشاهَدُ.

هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ انّ لضوء الشمس أهمُّ أثر في الموجودات الحيّة لأنّ حرارة الشمس ونورها هما الطاقة الوحيدة لحركة ماكنة الحياة في النباتات والحيوانات والإنسان.

إن نمو الموجودات الحيّة وتغذيتها وولادتها، والحس والحركة، وإرواء الأراضي القاحلة، وزمجرة أمواج البحر، وهبوب الرياح الواهبة للحياة، وسقوط قطرات المطر والثلوج، وهدير الشلاّلات وأصوات الطيور، وجمال الزهور الأخّاذ، ودوران الدم في عروق الإنسان، وضربات القلب، وعبور الفكر الخاطف من بين طبقات الدماغ، والابتسامة الجميلة التي ترتسم علىٰ شفاه الورقة كالطفل الرضيع ترتبط كلّها بنحو مباشر أو غير مباشر بنور الشمس، وبدونها تنطفىء كلّها. ويمكن فهم ذلك بقليل من الدقّة والتأمّل.

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه: هل أن هذه البركة والآثار الواهبة للحياة تختصُّ بزمن الإشعاع المباشر والمستقيم؟

والجواب: كلاّ، إنّ كثيراً من هذه الآثار توجد أيضاً عندما تكون الشمس مختفية خلف السحب، وليس هناك إلاّ نورها المُعتم فقط. مثلاً في الدول أو المدن التي تكون السماء فيها ملبدة بالسحب عدة أشهر، ولا تُرىٰ الشمس فيها، توجد الحرارة والنمو في النباتات، والطاقة اللازمة لماكنة الحياة، ونضج الغلات والفواكه وابتسامة الزهور والورود.

لذا فإنّ في أشعة الشمس الساطعة من خلف السحب القسم الأكبر من آثارها وبركاتها، وإن كان قسم صغير من آثارها، ذلك الذي يحتاج إلىٰ الإشعاع المباشر، مفقوداً. فمثلاً نعلم أن لأشعة الشمس أثراً حياتياً خاصاً في جلد الإنسان وسائر أجهزة بدنهِ، وفي كل الموجودات الحيّة، ولهذا السبب فإن المناطق المحرومة من الشمس تستعمل الحمامات الشمسية في الأيام التي تسطع فيها الشمس، ويعرض ساكنوها أجسامهم ـ الظامئة لهذه الهدية السماوية ـ لأشعة الشمس كي تمتص ذرات نورها. هذا مضافاً إلىٰ أنّ لضوء الشمس المباشر تأثيراً نافعاً، بسبب أشعته فوق البنفسجية التي تقتل الميكروبات، وتصفي الجوّ.

ونستنتج من هذا أنه رغم أنّ طبقات السحب تمتص قسماً من آثار أشعة الشمس، إلاّ أنها تبقىٰ محتفظة بالقسم الأكبر منه.

وهذا هو معنىٰ (المشبه به) أي الشمس، والآن نعود إلىٰ وضع (المشبه) أي وجود الإمام (ع) في حال الغيبة، إنّ الأشعة المعنوية واللامرئية لوجود الإمام (ع) بوصفها محجوبة خلف سُحب الغيبة، لها آثار مختلفة وعديدة، نوضّح فلسفة وجوده، من تعطيل مسألة التعليم والتربية والإمامة المباشرة.

وهذه الآثار هي:

١ ـ حراسة دين الله:

مع مُضي الزمن، واختلاط الأذواق والآراء الشخصيّة بالمسائل الدينية، ونتيجة لمخططات المذاهب المنحرفة المُغرية، وامتداد يد المفسرين للعبث بالمفاهيم السماوية، فإنّ أصالة بعض هذه القوانين تزول، ويصيبها التغيير المضرُّ والمُخِلُّ.

إنّ هذا الماء الزلال النازل من سماء الوحي بمروره من خلال عقول هذا وذاك، يتعكّر بالتدريج، ويفقد صفاءهُ الأول.

وهذا النور الوضّاء بعبوره خلال الأفكار المظلمة، يخفت ويقلُّ ضياؤهُ. ومن ثمّ في شرب أفكار الناس الناتجة عن قصور عقولهم القاصرة، يجعل من الصعب معرفة المسائل الأصيلة، وهذا يجعل من الضروري أن يوجد بين المسلمين من يحفظ المفاهيم الإسلامية الخالدة في شكلها النقي للأجيال القادمة.

إننا نعلم أن في كل مؤسسة مهمة توجد خزانة محكمة تحفظ فيها الأسانيد والوثائق المهمة لتلك المؤسسة، كي تُحفظ من أيدي اللصوص والعابثين ومن خطر الحريق؛ لأنّ اعتبار تلك المؤسسة يرتبط بحفظ وثائقها.

إن صدر الإمام الغائب وروحه العالية هي صندوق محكم لحفظ أسانيد ووثائق دين الله. يحفظ فيه الاصالات الأولية والخصائص السماوية لهذهِ التعاليم؛ كي لا تبطل الأدلة الإلهية وآيات الله الواضحة ولا تنطفىء. وهذا قسم آخر من آثار وجوده الشريف.

٢ ـ تربية مجموعة خبيرة وعالمة:

خلافاً لما يتصورهُ البعض، فإن رابطة الإمام بالناس ليست مقطوعة تماماً في زمن الغيبة، بل كما يظهر من الروايات الإسلامية أن مجموعة صغيرة من أكثر الأفراد استعداداً ولهم عقول يملؤها عشق الله، وقلوب يملؤها الإيمان والإخلاص لتحقيق هدف الإصلاح العالمي، ترتبط بالإمام (ع).

وليس معنىٰ غيبة الإمام وجوده بصورة روح لامرئية أو أشعة مخفيّة، بل يتمتع بحياة طبيعية هادئة، يعايش هؤلاء الناس بنحو لا يتعرفونه، ويختار القلوب المستعدّة جداً، ويهيئها ويبنيها أكثر من ذي قبل، ويوفّق الأفراد المستعدّون بأختلاف مستوىٰ استعدادهم لإدراك هذه السعادة، فيقابله البعض عن قريب للحظة واحدة أو عدة ساعات أو أيام أو سنين، وبعبارة أوضح:

هناك أفراد استقرّوا علىٰ أجنحة العلم والتقوىٰ، وٱرتفعوا بها كراكب الطائرة يحلّق فوق السُحُب.

حيث لا حجاب ومانع أمام أشعة الشمس العالمية، في حين يعيش الجميع تحت السحب وفي الظلام والنور الخافت.

في الحقيقة إن التفكير الصحيح هو هذا، فيجب أن لا أتوقّع أن أسحبَ الشمس إلىٰ أسفل كي أرىٰ وجهها وصورتها، إن توقعاً كهذا هو خطأ فاضح، وتصوّر واهٍ، بل أنا الذي يجب عليَّ أن أرتفع فوق السُحُب كي أرتوي من شعاع الشمس وأرتشف منه جرعة جرعة.

وعلىٰ أيّة حال فتربية هذه المجموعة هي أمرٌ آخر من فلسفة وجوده في هذه المرحلة.

٣ ـ النفوذ المعنوي غير المعروف:

إن للشمس أشعة مرئية يحصل من تركيبها الألوان السبعة المعروفة، ولها أشعة غير مرئية تسمىٰ (الأشعة فوق البنفسجية) أو (ما دون الحمراء). وهكذا القائد السماوي العظيم سواء كان نبيّاً أو إماماً، فإنه إضافة إلىٰ تربيته التشريعية التي تحصل عن طريق القول والسلوك والتعليم والتربية، له نوع من التربية الروحية التي تحصل عن طريق النفوذ المعنوي في القلوب والأفكار، ويمكن تسميتها بالتربية التكوينية، وليس للألفاظ والكلمات والقول والفعل دخل في هذا، بل المؤثر هو الجذب الداخلي.

نقرأ في تراجم كثير من الزعماء الإلهيين العظام أن اتصال بعض المنحرفين المفسدين بهم أحياناً يسبب تغييرهم تماماً، ويقلب مصيرهم، فبعد انحرافهم ١٨٠ درجة يختارون طريقاً جديداً تماماً، ويصيرون فجأة أفراد منزّهين ومؤمنين ومضحين لا يبخلون حتىٰ ببذل نفوسهم.

فهذا التحوّل السريع والمفاجيء والعام، وهذه الثورة العارمة، التي تحصل بنظرة واحدة أو اتصال قصير. (طبعاً لأولئك الذين لهم نوع من الاستعداد رغم تلوثهم وانحرافهم) كل ذلك نتيجة الجاذبية العارضة فجأة،

والتي يُعبِّر عنها أحياناً بنفوذ الشخصية، وقد جرّب الكثيرون هذا الأمر في حياتهم، وانهم يتأثرون بلا اختيار عند اتصالهم بمن له روح عالية ورفيعة. حتىٰ يصعب عليه التحدّث أمامهم، ويرون أنفسهم وسط هالة من العظمة لا يمكن وصفها.

ويمكن تفسير حوادث كهذه أحياناً بالإيحاء وأمثاله، ولكن هذا التفسير لا يصح في جميع الموارد، بل لا مفرّ من أن نقبل أنّ هذه الآثار هي نتيجة الشعاع الذي ينبعث من ذات الإنسان العظيم.

وإننا نجد في تاريخ الزعماء العظام قصصاً وحوادث كثيرة لا يمكن تفسيرها إلاّ بهذه الحقيقة، لقاء (أسعد بن زرارة) الوثني بالنبي (ص) في جانب الكعبة، وتغيير أسلوب تفكيره، أو ما كان يسميه أعداء النبي (ص) بالسّحر ويحذّرون الناس من الاقتراب منه. كل ذلك يبيّن نفوذ شخصية الرسول (ص) في الأفراد عن هذا الطريق[1]. وهكذا ما قيل بشأن تأثير رسالة الإمام الحسين في أفكار (زهير بن القين) في مسيره إلىٰ كربلاء، حتىٰ أنه حين سماعه نداء الإمام (ع) لم يستطع أن يتناول اللقمة التي كانت في يده، بل تركها ومضىٰ نحو الإمام! أو الجاذبية العجيبة التي أحسها (الحر بن يزيد الرياحي) في نفسهِ، فمع كل شجاعته أخذ يرتعش كشجرة الصفصاف، تلك الجاذبية التي جَرَّتهُ أخيراً إلىٰ صفوف المجاهدين في كربلاء، لينال شرف الشهادة العظيم.

أو حكاية الشاب الذي كان يعيش في جوار «أبي بصير»، وكان مترفاً يعيث فساداً بثروته التي كان يحصل عليها من خدمتهِ لبني أُميّة، وبالتالي تغيير برسالة ونداء واحد من الإمام الصادق (ع) وترك أعماله كلّها، وأعاد كل الأموال التي حصل عليها من غير الطريق المشروع إلىٰ أصحابها، أو أنفقها في سبيل الله.

أو قصة الجارية المغنية الجميلة التي أرسلها هارون إلىٰ السجن لظنّهِ

---

(١) اعلام الورىٰ ص ٢.

أنها تستطيع حرف الإمام الكاظم (ع)، وتغيّرها الروحي في مدة قصيرة، حتىٰ انّ هيئتها وأسلوب كلامها ومنطقها حيّرت هارون وأخافتهُ... كل ذلك دليل علىٰ هذا التأثير اللّاإرادي والمفاجىء، الذي يمكن اعتبارهُ شعبة من (الولاية التكوينية) للرسول (ص) أو الإمام (ع)؛ لأن عامل التربية والتكامل هنا ليس الألفاظ والجمل والأساليب العادية، بل إن العامل الأصلي هو الجاذبية المعنوية والنفوذ الروحي. وهذا الأمر لا ينحصر بالأنبياء والأئمة، كما قلنا، بل إنّ الرجال الصالحين تحيطهم هالة من هذا النفوذ العارض، لكنَّ ساحة المجموعة الأولىٰ لا تقاس بالمجموعة الثانية من حيث الأبعاد والسعة.

إنّ لوجود الإمام (ع) خلف حجب الغيبة هذا الأثر أيضاً، وعن طريق أشعة نفوذه وشخصيته القوية النافذة، يؤثر في القلوب المستعدة في القريب والبعيد، ويبدأ بتربيتهم وتكاملهم ويصنع منهم أفراداً متكاملين.

إننا لا نرىٰ بأعيننا أقطاب الأرض المغناطيسية، لكنّ آثارها في عقارب البوصلة، تكون دليلاً للسفن في البحار وللطائرات في الفضاء، ولجميع الوسائط الأخرىٰ، وفي جميع أنحاء الكرة الأرضية يجدُ ملايين المسافرين طريقهم ومقصدهم ببركة هذه الأمواج، وينجون من التيه بمعونة تلك العقارب الصغيرة ظاهراً.

وهل من العجيب أن يوجّه وجود الإمام (ع) في زمن الغيبة أفكار وقلوب الكثيرين بأمواج جاذبيته المعنوية، وينجيهم من التيه والحيرة. ويجب أن لا ننسىٰ أنّ الأمواج المغناطيسية للأرض لا تؤثر في الحديد الذي لا قيمة له، بل تؤثر فقط في العقارب الدقيقة والحساسة التي طُليَت بماء المغناطيس، ولها نوع من السنخية والشبه مع القطب الباعث للأمواج المغناطيسية، وهكذا فإن القلوب التي تشترك مع الإمام في طريقه، وانطوت علىٰ شبه له، تقع تحت تأثير جاذبيته الروحية التي لا توصف.

وبالنظر لما ذكرناه يتضح أثر آخر من آثار فلسفة وجود الإمام (ع) في هذا العصر.

٤ ـ بيان هدف الخلقة:

لا يخطو أيّ فرد عاقل خطوة بلا هدف، بل كل حركة تتم في ضوء العقل والعلم تكون في مسير هادف، مع فارق أنّ هدف الناس عادةً هو رفع الحاجة والنقص، أما فعل الله فإن هدفه هو رفع حوائج الآخرين؛ لأنّ ذاته لا نهاية لها، وهو خالٍ من كل نقص، لذا لا معنىٰ لقيامه بفعل يعود نفعه إليه، والآن ٱنظروا إلىٰ هذا المثال:

لو أنشأنا في أرض مستعدّةٍ بستاناً من الورد والفواكه، فإن العشب الضار سوف ينمو بين الأشجار وأغصان الورد، فكلما سقينا تلك الأشجار القوية فإنّ هذه الأعشاب ترتوي في ضوئها.

وهنا نجد هدفين. الهدف الأصلي وهو سقي أشجار الفاكهة وأغصان الورد، وهدف تبعي وهو سقي العشب المضرّ الذي لا فائدة فيه.

وبلا شك فإن الهدف التبعي لا يكون هو الهدف والمقصود من العمل. بل المهم هو الهدف الأصلي.

ولو فرضنا أن جميع أشجار البستان يبست ولم يبق منها إلاّ واحدة، لكنها شجرة تعطي وحدها الورود والفواكه التي ننتظرها من آلاف الأشجار، فإننا بلا شك سوف نستمرُّ في السقي والعناية لأجل سقي تلك الشجرة، حتىٰ وإن كان هناك عشب كثير يستفيد من السقي، ولكن لو أن تلك الشجرة جفّت فعند ذلك نترك سقي البستان وإن مات العشب المضرّ.

وأولئك الذين هم في مسير التكامل هم الأشجار المثمرة.

وأولئك الذين ٱنحرفوا وٱنحطّوا إلىٰ الفساد هم أعشاب هذا البستان المضرّة.

من البديهي أن هذه الشمس لم تخلق، ولا عناصر الهواء وبركات الأرض والسماء، ليتنازع عليها مجموعة من الفاسدين ويأكل بعضهم بعضاً، ولا يوجد في مجتمعهم إلاّ الظلم والجهل والفساد، كلا لا يكون هدف الخلقة هذا أبداً.

خُلقَ هذا الكون وكل خيراته في نظر الموحّد العارف بمفاهيم العلم وحكمة الله خُلِقَ للصالحين والطاهرين، وسوف ينتزع آخر الأمر من أيدي الغاصبين ويعطىٰ لهم.

﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[1].

إن حارس الكون لأجل هذه الجماعة يستمر بإنزال فيضه ومواهبه. مع أنّ العشب المضرّ يرتوي بوصفهِ هدفاً تبعياً وينتفع بذلك، ولكنه دون شك ليس هو الهدف الأصلي. ولو فرضنا أنّ آخر نسل للصالحين يموت يوماً ما، ففي ذلك اليوم لا يوجد سبب لمواصلة هذه الخيرات.

فعند ذلك يختلُّ سكون الأرض وتقطع السماء بركاتها وتبخل الأرض عن إفادة الإنسان.

إن الرسول والإمام هما قدوة الصالحين، ونموذج بارز للإنسان الكامل. أي تلك المجموعة التي تشكل الهدف الأصلي للخلقة، ولهذا فوجوده وحده أو علىٰ رأس جماعة الصالحين يحقق هدف الخلقة، وسبب نزول كل خير وبركة، سواء عاش بين الناس بشكل ظاهر أو في خفاء وستر.

صحيح أن بقية الصالحين هدف أيضاً للخلقة، أو بتعبير آخر هو قسم من ذلك الهدف العظيم، لكنَّ القدوة الكاملة لهذا الهدف هم هؤلاء الأفراد النموذجيون ورجال السماء، مع حفظ موقع الآخرين ومقامهم.

ومن هنا يتضح أن ما ورد في بعض العبارات بهذا المضمون:

(بيمنه رُزق الورىٰ وبوجوده ثبتت الأرض والسماء) ليس إغراقاً، ولا بعيداً عن المنطق، وليس شريكاً.

وكذلك العبارة التي نقلت في الكتب المشهورة كالحديث القدسي الذي يخاطب الله تعالىٰ فيه النبي (ص): (لولاك لما خلقتُ الأفلاك) ليس مبالغة بل هو بيان لحقيقة كونه هدف الخلقة، وباقي الصالحين يشكلون قسماً من هذا الهدف العظيم، ونستنتج مما قيل في العناوين الأربعة المتقدمة:

---

(١) سورة الأنبياء: آية ١٠٥.

إن الذين أعتبروا وجود الإمام في عصر الغيبة وجوداً شخصياً لا أثر له في المجتمع، وحاربوا عقائد الشيعة في هذا المجال، وأدعوا أنّ وجود إمام كهذا لا نفع له في مقام قيادة الناس، ليسوا علىٰ حق، بل إن آثار وجودهِ في هذه الحال كثيرة جداً.

حجج الله الخفية في القرآن ونهج البلاغة:

يذكر الإمام أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة أن للّهِ حجتين: إحداهما ظاهرة وأخرىٰ غائبة، يقول: «اللهمَّ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً؛ لئلا تبطل حجج الله وبيّناته»[1].

تبين جملة «لئلا تبطل حجج الله وبيّناته» أنّ القادة الإلهيين يقومون بوظيفة الإمامة الثقيلة في حالتي الظهور والخفاء ويسعون لهداية الناس في كلتا الحالتين.

ما هو مقصود الإمام من «الحجة الخائف والمغمور»؟ هل يقصد غير الإمام المعصوم الذي حُجب عن الأنظار، لعدم توفر الشروط المساعدة لظهورهِ إلىٰ أن يتهيّأ العالم لنهضتهِ؟

بعد معرفة هذين النوعين للحجة الموجودين في كلام أمير المؤمنين (ع)، نلفت انتباه القرّاء إلىٰ مجموعة من أولياء الله الذين كانوا غائبين، ويهدون الناس بتلك الحال، أو كانوا يربون الأفراد بالإستتار واللباس الخاص، أو كانوا أنبياء وأولياء، لكنهم كانوا ينتظرون أمر الله، حتىٰ يؤدّوا تكليفهم، وهؤلاء هم:

أ ـ معلّمُ موسىٰ الذي سمّي في الأخبار بأسم (الخضر).

ب ـ نبي الإسلام (ص) الذي كان يهدي الناس لمدة ثلاث سنين فرداً فرداً.

ج ـ موسىٰ (ع) في فترة غيبته أربعين يوماً.

---

(١) نهج البلاغة، قصار الكلمات، ٤٧.

د ـ يونس (ع) الذي عاش فترة في بطن الحوت غائباً عن الأنظار.

هـ ـ المسيح (ع) في طفولته، كان نبياً لكنهُ بعد ثلاثين عاماً نهض بأمر الهداية.

أ ـ الولي الغائب الذي كان معلماً لموسىٰ (ع):

قادنا القرآن المجيد إلىٰ مقام الولاية وكيفية هداية الأولياء، وأثبت بوضوح أنّ أحد رجال الله قد يكون غائباً عن الأنظار، لكنه في الوقت ذاته يقوم بأمر الهداية والإرشاد.

يعرض القرآن وليّاً كان غائباً عن أنظار الناس ولم يعرفوهُ، حتىٰ أنّ رسول ذلك العصر لم يعرفهُ. (ولو تعرّف عليه فذلك لتعريف الله له) هذا الولي هو ما قال عنه القرآن: **﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناهُ رحمةً من عندنا وعلّمناهُ من لدُنّا علماً﴾**[1].

إنّ إنساناً ذا علم واسع ينتفعُ من علمه نبيُّ عصره، هو قطعاً من أولياء الله، ولم يكن ذا علم واسع فقط، بل كانت له روح قويّة، حتىٰ أنه عندما **﴿قال له موسىٰ هل أتّبعكَ علىٰ أن تعلّمَنِ مما عُلّمْتَ رُشداً قال إنك لن تستطيع معيَ صبراً وكيف تصبرُ علىٰ ما لَمْ تُحِط به خبراً﴾**[2].

وبلا شك فإنّ هؤلاء الأفراد كانوا من أولياء الله العظام، والتحقيق في أحوال ذلك الولي الغائب عن الأنظار، في تلك اللحظات القصيرة من حياته مع موسىٰ (ع) يقودنا إلىٰ أمور، وهي:

١ ـ كان هذا الوليّ غائباً عن الأنظار، لم يعرفه أحدٌ وإن لم يعرّف الله به لم يعرفهُ أحدٌ. لذا فلا يشترط في الولي أن يعرفه الناس حتماً.

٢ ـ إن هذا الولي رغم إنه كان غائباً، لم يكن غافلاً عن حوادث زمنهِ. وكانت له صلاحيات من قبل الله في التصرف في الأموال والأنفس،

---

(١) سورة الكهف: آية ٦٥.

(٢) سورة الكهف: الآيات ٦٦ ـ ٦٨.

وكان يوجّه الأوضاع طبقاً للمصالح، وكان دقيقاً في قيادته، حتىٰ أنه لم يرضَ لسفينة البؤساء التي كانت مورد عيشهم أن يغتصبها الحاكم الظالم، وبإحداث عيب فيها منعه من الاستيلاء عليها، وكانت صلاحياته وسيعة بحيث قتل نفساً لمصلحةٍ، وعملَ جداراً لصيانةِ مال اليتيم وحِفْظِهِ.

٣ ـ ولم يكن غائباً هو فقط بل كانت أعماله خفية عن الإنسان العادي. فلو كان الناس وصاحب السفينة يعلمون بأفعالهِ لما سمحوا له بثقب السفينة؛ لأنهم لم يكونوا يعرفون هدفه المقدّس، ولو كان الناس قد شاهدوا قتلهُ للطفل لما تركوهُ و... ومن أفعاله العجيبة التي كان يقوم بها في وسط المجتمع ولا يعلم بها أحدٌ، فعلم أنه كان مختفياً إضافة إلىٰ أن أعماله وتصرّفاته كانت غائبة عن الأعين، وكان الناس يرون آثار أفعاله ولا يرونه شخصياً.

٤ ـ والأهم من كل ذلك هدايته وقيادتهُ، كان يؤدي تكاليفه ويتمتع بمقام الولاية، وكان يُظهر آثار ولايته بالتصرف بالأموال والنفوس أحياناً أو بحفظ أموال اليتيم وحراستها تارة أخرىٰ. وتارة عن طريق تعليم الأفراد وتربيتهم أمثال موسىٰ، ومن حياة ولي الله هذه الحساسة والدّقيقة نعرف أن وليّ العصر قد يكون ظاهراً أحياناً، وقد يكون غائباً ومخفياً، ويرتبط ذلك بمصلحة العصر وأحوال الزمن. ونعرف أيضاً أن الهداية والقيادة وهي وظيفة الإمام والولي تتحقق بنحوين، وليس من الضروري أبداً أن يُعرف الإمام ليقوم بالهداية، بل قد يقوم بوظيفته الخطيرة في حال الغيبة أيضاً.

إنَّ الهداية والقيادة وهي من شؤون أولياء الله. قد تكون بصورة (هداية الفرد) وقد تكون بنحو (هداية المجتمع) أي قد تكون بشكل فردي أو جماعيّ، وفي صورتها الفردية ليس من الضروري أن يُعرف الإمام لدىٰ جميع الأفراد، بل في الشروط الخاصة وعندما تستحيل (الهداية الجماعية) يجب العمل (بالهداية الفردية).

واجب الإمام في عصر الغيبة يماثل واجب الوليّ في عصر موسىٰ. فالإمام يتصرّف في أمور الناس الدنيوية والأخروية في حال الغيبة، ويتّصلُ

بالأفراد الصالحين، ويربّي بعض الأفراد والشخصيات، ومع امتلاكه لهذه الوظائف وعملهِ بها، هل يمكن أن نقول: ما فائدة وجود هذا الوليّ؟ وقوله تعالىٰ: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا**﴾[1] تفيد أن هدايتهم بأمر اللّهِ وتفيد أيضاً أنّ أسلوب وكيفية هدايتهم هي بأمر الله أيضاً، فقد تتعلّق مشيئة الله، بأن تكون هدايتهم في حال الخفاء، وقد تستوجب المصلحة أن يظهروا من خلف حُجب الغيبة، ليقوم بالهداية الجماعية، وعلىٰ أية حال فإن كل الهدايات وكيفيتها وأسلوبها هي بأمر الله تعالىٰ.

ب ـ في السنين التي كان النبي فيها يقوم بتربية الأفراد وهدايتهم كان يحقق مضمون الآية: ﴿يهدون بأمرنا﴾ علىٰ الأفراد فقط، وكانت تلك طريقة هدايتهِ حتىٰ جاء أمر الله ودعاهُ للهداية الجماعية، ولم يكن نبي الإسلام (ص) وحده يهدي الناس في الخفاء أوّلاً وبالعلن بعد ذلك، بل إن تلك هي سنة الهيّة عامة، فقد كان أمر الله يتعلق بأن تكون إمامتهم وهدايتهم علنية أحياناً أو مخفية ومحجوبة أحياناً أخرىٰ، وكان الأسلوبان في حياة النبي نوح (ع)، وانه يبين طريقة تبليغه بقوله: ﴿**ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً**﴾[2].

يذكر نوح (ع) دعوته العلنية كما يذكر دعوته السرّيّة، وكلتاهما بأمر الله، ولهداية الأفراد. وبالأخذ بنظر الاعتبار هذه الحقائق، وعندما يشهد القرآن والأحاديث المتواترة، بوجود حياة إمام وقائد كهذا، تكون الحصيلة أن الإمام يجب أن يكون هادياً وقائداً، وليس من الضروري أن يكون أسلوب هدايته عاماً وعلنيّاً وظاهراً؟ أليست هدايته بأمر الله وإرادته؟ ﴿**يهدون بأمرنا**﴾. فلو كان أمر اللّهِ في أن يستمرُّ هذا الإمام بدعوته سرّاً إلىٰ أن تتهيأ الأرضية لنهضتهِ ويمارس الهداية الفردية لبعض الأفراد، حتىٰ تتوفر أرضية الهداية الجماعية، لا يمكن القول بعد ذلك: كيف يكون هذا الإمام هادياً وقائداً؟ فلو دعا جماعة في الخفاء بأساليب مختلفة إلىٰ الحق والحقيقة،

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(٢) سورة نوح: الآية ٩.

وأثَّرَ في بعض الأفراد، ألا يكون قد عمل بتكليفهِ القيادي إلىٰ حدّ الإمكان؟ كيف تُقبل هذه الطريقة للنبي نوح ونبي الإسلام (ص) ولا تُقبل لولي العصر (ع).

وخلاصة القول ليس معنىٰ ﴿يهدون بأمرنا﴾ أنهم يهدون بشكل متصل وعلنيّ، بل المراد هو أنهم يؤدّون تكليف الهداية كما يريدُ الله تعالىٰ، سواء في الخفاء أو العَلَن. أجل إن وليّ العصر غائب عن الأنظار، وإنّ هدايته وتصرّفاته وتبليغه غائب عن الأعين أيضاً، ولكن له فيض وإفادة سرّيّة أيضاً.

ج ـ غياب موسىٰ عن الأنظار أربعين يوماً:

لو كان من الضروري وجود الإمام في المجتمع دائماً وانّ غيبته تنافي مقام هدايته وإفادته، فماذا نقول عن النبي موسىٰ (ع)؟ إنه (ع) كما صرّح القرآن، ابتعد عن بني إسرائيل أربعين يوماً فهل كان قائداً وإماماً في هذه المدة أم لا؟

فلو قلنا انه كان يتمتع بمقام النبوة والإمامة، فيأتي هذا السؤال: ما هي فائدة هكذا إمام؟ ولو قُلنا: ان مقام الإمامة سُلب عنه في هذه الفترة، فقد قلنا كلاماً ليس بصحيح ولا ثابت، لأنّ الجميع يعلم أنّه كان يتمتع بهذا المنصب وإنما غاب عن الأنظار لأستلام التوراة.

وإنْ كان من الضروري أن يكون الإمام مُلْهِماً ومُنيراً فإن الفترة القصيرة والطويلة واحدة لدىٰ العقل، ويستثنىٰ من ذلك الغيبة التي تفرضها ضرورة الحياة كالنوم.

قد يقال: إن غيبة موسىٰ (ع) تختلف عن غيبة القائم (ع)، فلو غاب موسىٰ فذلك لأنّ وصيّه كان بين الناس يفيض عليهم ويقودهم. وليس الأمر كذلك بالنسبة للإمام القائم (ع).

والجواب واضح؛ لأن الهدف من التشبيه هو أن ولي العصر يغيب عن الأنظار لعلل ومصالح، وإن تلك المصلحة التي سببت غيبة موسىٰ (ع) قد تكون سبباً لغيبة القائم (ع) أيضاً.

ولو أغمضنا عن هذا الكلام، فليس الوصيّ سبباً لغيبة النبي، لأنّه كان إماماً وقائداً أيضاً، فلو كانت له إفاضة فذلك لأنه كان إماماً وكان يؤدي تكليفه في الحقيقة، ولم يكن يحمل علىٰ عاتقهِ وظيفته، ووظيفة موسىٰ (ع)، إضافة إلىٰ ذلك فإنّ لوليّ العصر نوّاباً بين أُمّتهِ يمكنهم القيام بقيادة الناس في عصر الغيبة.

د ـ يونس السجين في بطن الحوت:

أشار القرآن المجيد إلىٰ قصة يونس (ع) في سور مختلفة، وقد صرّح القرآن بأن يونس كان محبوساً لفترة في بطن الحوت وغائباً عن أنظار الأمة.

كان وليّ الله هذا بعيداً عن أمتهِ مع تمتعه بمقام الولاية، فإن كان من اللازم إفاضة الإمام المستمرّة ووجوده المميز، فكيف نعلل غيبته؟

يقول القرآن بصراحة: بعد أن خرج يونس من بطن الحوت بعث إلىٰ المجتمع مرّة أخرىٰ. ويمكن أن نعرف أنه كان يتمتع بمقام الولاية الإلهي في فترة حبسهِ عن طريق أمر الله له مرّة أخرىٰ بهداية الناس، وتظهر هذه الحقيقة عندما نعرف أن المراد من الجماعة التي تشكل مائة ألف شخص أو يزيدون هم قوم يونس القدماء الذين درأوا العذاب عن أنفسهم بسبب التوبة.

هـ ـ وهناك نموذج آخر وهو المسيح (ع):

كان بين نبوة المسيح ووقت تبليغهِ فترة وفاصلة زمنية.

يتحدث القرآن المجيد عن نبي وصل إلىٰ مقام النبوة منذ زمن الطفولة والرضاعة، لكنّ تبليغهُ وهدايته بدأت بعد سنين طوال. ألم يقلْ القرآن عن المسيح (ع):

﴿إني عبدُ الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً﴾[1].

---

(١) سورة مريم: الآية ٣٠.

قال المسيح هذا الكلام في أول أيام حياته ولكن بدأت هدايته العامة وإفاضته في سنّ الثلاثين. فعلىٰ كل فردٍ أن يجدَ أساليب وطرق هداية نوح وولي عصر موسىٰ والمسيح (ع) في حياة إمام العصر (ع).

كانت تلك زاوية من أسرار وآثار وجود الإمام الغائب عليه السلام.

قم ـ الحوزة العلمية ـ جعفر السبحاني

الفصل الثالث

ولادة وحياة المهدي (عج)
في مصادر أهل السنة

تأليف: علي أكبر الحسني ـ قم الحوزة العلمية

في السفر الأخير إلىٰ مكة والمدينة أتصلت بأحد أساتيذ جامعة المدينة، وكان كاتباً ومفكراً معروفاً، كان من جملة البحوث المختلفة انتقاد بعض أفكار الشيعة، وطرحه قضية المهدي (ع).

كان يقول: إننا نعتقد بوجود المهدي أيضاً، ولكن ليس المهدي الغائب في البئر، بل المهدي الذي هو من أولاد النبي (ص) ويأتي في آخر الزمان...

ليس هو المهدي الذي يعتقد غلاة الشيعة بأنه غائب في السرداب، ولا زال هناك وكلّ ليلة يركب عشرات الشيعة خيولهم وينتظرونه أمام السرداب، ويقولون: «يا مهدي أخرج إلينا أخرج إلينا؟!».

فكان انتقاده مستمداً ممّا ذكره (أبن خلدون) في ص ١٥٧، من مقدمته: «قال مثله غلاة الإمامية وخصوصاً الإثني عشرية منهم يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه بالمهدي، دخل في السرداب بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع أمه وغاب هنالك، وهو يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً، يشيرون بذلك إلىٰ الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي... هم الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك، ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدّموا مركباً فهتفوا بأسمه ويدعونه للخروج حتىٰ تشتبك النجوم و...».

وقد كتب بحثاً مفصلاً حول المهدي والروايات المنقولة عنه من كتب أهل السنة في ذلك الكتاب (الباب ٥٣، ص ٢٤٦ طبعة بيروت).

عقائد الشيعة حول المهدي (ع):

هل إن عقيدة الشيعة الإمامية كذلك، وهل انهم يعتقدون بأن إمام الزمان غائب في السرداب ويظهر آخر الزمان من هناك؟!

وهل أن المهدي لم يولد بعد...؟ سيتضح ذلك في البحوث القادمة.

ولكن نقول بشكل مُجمل: إن مسألة المهدي (ع) لحسن الحظ واضحة جداً، وهناك روايات وأحاديث متواترة بشأن خصائصه وولادته، وإنّ مهديّ آخر الزمان هو ذلك الإمام والوصي الثاني عشر وابن النبي وفاطمة وعلي... والإمام الحسن العسكري (ع) بنحو لا يترك مجالاً للشك والترديد، ولحسن الحظ أن كل الفِرَق الإسلامية وكبار علماء الشيعة والسنة نقلوا ذلك في كتبهم المعتبرة عن النبي (ص) وأصحابه، وإنَّ بعض علماء غير الشيعة رغم أنهم من جهة لم يمكنهم غض النظر عن الأحاديث المرتبطة بالمهدي (ع) ومن جهة أخرىٰ لو قبلوها بنفس شكلها وهيكلها الصحيح والحقيقي عن النبي (ص)، لأنه يستلزم قبولهم بكلّ عقائد الشيعة، واعترافهم ببطلان كثير من أفكارهم وعقائدهم، لم يكن لهم مفر سوىٰ التشبث بمسألة عدم ولادة الإمام وعدم حياته أو أمثال مسألة السرداب وبعض الأمور الأخرىٰ. ليُظهروا كل الحقائق والعقائد وأصل الوصاية والولاية بهذا النحو غير المقبول.

والجميل في الأمر هو أن أيّاً من أولئك الذين نقلوا ذلك، لم يقدّموا لقولهم وادعائهم دليلاً ولا سنداً ولا كتاباً. بل نثروا بذور التهمة فقط، وأغمضوا عن ذكر الأسانيد والكتب والروايات المستندة إلىٰ الشيعة وغيرهم التي نقلت هذا الأمر.

ومن العجيب أن أمثال الذهبي[1] وغيره الذين قالوا: «فدخل السرداب

---

(١) (تاريخ الإسلام) محمد بن الحسن العسكري منتظر الرافضة الذين يزعمون أنه المهدي وأنه صاحب الزمان وأنه الخلف الحجة وهو صاحب السرداب (كشف الأستار) ص ٢١٠.

وعدم وأمه منتظرة». ونسب ذلك إلىٰ الشيعة الإمامية وأعتمد عليه أبن خلدون كيف أغمض طرفهُ عن كل هذه الحقائق؛ التي تذكر أنه في الغيبة الصغرىٰ وطوال ٧٠ عاماً تقريباً، اتّصلَ به مرات عديدة خواص الأصحاب، وكتبوا حول ذلك كُتباً.

كتب المحدث (المرحوم الكليني) في كتاب (الكافي) الذي ألفهُ قبل ألف عام في كتاب الحجة باب «تسمية من رآه عليه السلام» ذكرت فيه أسامي كثير ممن رأوا الإمام من قريب. وللشيخ المفيد بابٌ في كتاب الإرشاد حول «من رأىٰ الإمام الثاني عشر» وذكر فيه أسماء من زاروا الإمام (ع).

وأبو جعفر محمد بن علي بابويه في كتاب كمال الدين، وعشرات بل مئات الأفراد في زمن الغيبة، كتبوا كتباً حول هذا الأمر[1]. كيف يمكن القول:

«فدخل السرداب وعدم و... حتىٰ الآن لم يره أحد...»!

التهمة التي لا أساس لها:

والجدير بالذكر أن البعض يرىٰ أن السرداب في سرّ من رأىٰ وبعضهم يعتقد أنه في «مدينة الحلة» كأبن خلدون، وبعضهم يراه في بغداد.

ومع الأسف إنّ (ابن خلدون) وغيره كالترمذي يلصقون بهذه الأُكذوبة تهمة أخرىٰ وهي أنّ جماعة من الشيعة كل ليلة بعد صلاة المغرب يقفون مع خيولهم إلىٰ جانب السرداب في الحلّة، حتىٰ طلوع الفجر، ويقولون: «يا مهدي أخرج إلينا، أخرج إلينا» ويعودون بعد انتهاء الليل، ويكررون ذلك في الليلة التالية، وهكذا.

---

(١) إضافة إلىٰ الكتب المعتبرة المذكورة، كتاب كشف الغمة ج ٣ وبحار الأنوار، وكتاب (الزام الناصب) تحت عنوان: من ادعىٰ رؤيته في غيبته الكبرىٰ ص ١٧٠ إلى ١٤٣.

الظهور من مكة لا من السرداب:

لا تعتقد الشيعة بذلك أبداً، بل ينقلون أحاديث كثيرة مستفيضة ومتواترة علىٰ أنّ الإمام يظهر في مكة. لذا فإن مسألة ظهور إمام العصر من مكة ومن ركن بيت الله الحرام، من مسلّمات الروايات والأحاديث المتواترة الإسلامية التي نقلت في هذا الصدد وقبلتها واعتقدت بها كل الفرق الإسلامية[1]. فكيف ينسبون قضية لا أساس لها إلىٰ الشيعة، ويتهمونهم بأنّهم ينتظرون ظهور المهدي (عج) إلىٰ جانب سرداب لا يُعرف أفي بغداد أم الحلة أم سامراء!!

ويكفي في كذب هذه التهمة وإنّ لم يذكر سندٌ أساسي لها أن (الفرماني) صاحب (أخبار الدول) ذكر أنه في بغداد، وأبن خلدون في مقدمتهِ أنه في الحلة، والآخرون أنه في سامراء! وحقاً إنّ الكذوب كثير النسيان.

ولتوضيح هذه الأمور نشرع في عرض إجمالي لكل هذه المسائل فنقول أولاً:

١ ـ إن المهدي وإمام الزمان هو أبن الإمام الحسن العسكري (ع):

لا شك في أن إمام العصر والمهدي (ع) هو ابن الإمام الحسن العسكري الإمام الحادي عشر للشيعة، بلا فاصلة. لأنه نقل عن النبي (ص) وعن الصحابة الكبار وكل الأئمة (ع)، أحاديث متقنة ومعتبرة بهذا الخصوص.

نقل في (ينابيع المودة) في ص ٤٩١ من المدارك المعتبرة لأهل السنة أن الخلف الصالح من أبناء الحسن بن علي العسكري هو صاحب الزمان وهو مهدي آخر الزمان.

وكتب المرحوم (علي بن عيسىٰ الأربلي) صاحب كتاب (كشف الغمة في ج ٣):

---

(١) راجع كتب (تاريخ ما بعد الظهور) و (المهدي الموعود) ص ١١٥٧ و١١٥٨ ـ ١٠٩٨، وكتاب (منتخب الأثر) ومقالة (سيرة المهدي) في كتاب (الشمس المختفية).

«حصلتُ علىٰ أربعين حديثاً حول المهدي الموعود (ع) نقلها أهل السنة عن النبي (ص) وذكرها الحافظ أبو نعيم الأصفهاني وهو من علماء أهل السنة العظام المتوفىٰ عام ٤٣٠هـ في كتابه الأربعين»[1].

وفي فرائد السمطين نُقل عن الإمام الرضا (ع) أن الإمام من بعدي هو ابني محمد التقي، وبعده ابنهُ الإمام الهادي النقي، وبعده ابنه الإمام الحسن العسكري، وبعدهُ ابنه محمد بن الحسن الحجة المهدي المنتظر.

وكتب عبد الوهاب الشعراني في كتاب (اليواقيت والجواهر) المبحث ٦٥:

«من الأمور التي تحدث قبل القيامة خروج المهدي وهو ابن الإمام الحسن العسكري، وولادته في منتصف شعبان عام ٢٥٥هـ وهو باقٍ حتىٰ يُجمع مع عيسىٰ ابن مريم».

١ ـ ولا شك أيضاً في أن المهدي (ع) هو آخر إمام، والإمام الثاني عشر، والوصي من الخلفاء الراشدين، الذين صرّح بهم الرسول (ص)، وهو المتولد عام ٢٥٥هـ وإنَّ أباه الإمام الحادي عشر الحسن العسكري، ولم يمضِ علىٰ عمره خمس سنين حتىٰ آستشهد أبوهُ وآرتحل من الدنيا.

٢ ـ ولا شك ولا ترديد في أنّ الإمام (عج) حيٌّ بأمر الله وإرادته، ولكنه غائب عن أنظار الناس حتىٰ اليوم الذي يأذن له الله فيه بالظهور بموجب الروايات والأحاديث المعتبرة للفريقين.

ورغم أن بعض المسلمين يشكّون في ذلك، ولكن الشيعة وكثير من الفرق الإسلامية لهم أدلة كثيرة، وبراهين محكمة وقاطعة، علىٰ هذه العقيدة. أثبتوها في عشرات ومئات الكتب، إضافة إلىٰ إثباتها في القرآن والسنة والعقل والإجماع.

ويؤيد كثير من علماء أهل السنة عقيدة الشيعة هذه، وتدلُّ علىٰ ذلك

---

(١) وللإطلاع راجع أربعين أبي نعيم، وكشف الغمة ج ٣ وكتاب المهدي الموعود ص ٢٩٠ وكتاب المهدي تأليف آية الله الصدر وكشف الأستار.

أخبار عديدة، ويجب القول بشكل قاطع: ان هذه العقيدة مشهورة بين المسلمين[1].

إن البحث الشامل لكل جوانب هذه الأدلة ونقلِ كل الأحاديث المزبورة، يخرج عن حدّ المقالة، ولذا نكتفي بذكر أسماء القائلين بها إجمالاً.

ونذكر أسماء جماعة من علماء أهل السنة ومشايخ التصوّف الذين يعترفون بولادة الإمام المهدي ووجوده حتىٰ يأذن له الله بالظهور.

١ ـ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي ـ المتولد عام ٥٨٣ في كتاب (مطالب السؤول)[2].

٢ ـ الحافظ محمد بن يوسف بن محمد الگنجي الشافعي في كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان (عج).

٣ ـ ابن صباغ المالكي في كتاب الفصول المهمة.

٤ ـ السبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص»[3].

٥ ـ الشيخ محي الدين بن العربي، الجزء الثالث من الباب ٣٦٦ الفتوحات المكية، خصّه بالمهدي (ع)[4].

٦ ـ الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتاب اليواقيت والجواهر.

٧ ـ الشيخ حسن العراقي.

٨ ـ الشيخ علي الخواص.

٩ ـ الشيخ عبد الرحمٰن الحامي.

---

(١) موسوعة الإمام المهدي ج ١ ص ٢٦ إلىٰ ٤١.
(٢) كشف الأستار ص ٤١.
(٣) كشف الأستار ص ٤١.
(٤) كشف الأستار ص ٤٥ وما بعدها.

١٠ ـ الحافظ محمد البخاري.

١١ ـ ابن الفوارس الرازي.

١٢ ـ سيد جمال الدين المحدّث.

١٣ ـ الحافظ أحمد البلاذري (غير البلاذري صاحب أنساب الأشراف).

١٤ ـ ابن الخشاب البغدادي.

١٥ ـ ملك العلماء الدولت آبادي.

١٦ ـ الشيخ علي متقي الهندي (صاحب كنز العمال).

١٧ ـ ابن روزبهان الشيرازي.

١٨ ـ الناصر لدين الله العباسي.

١٩ ـ الشيخ سليمان القندوزي في كتاب ينابيع المودة ص ٤٥٢.

٢٠ ـ صرح الدين الصفوي.

٢١ ـ الشيخ عبد الرحمٰن البسطامي.

٢٢ ـ الشيخ عبد الرحمٰن صاحب مرآة الأسرار.

٢٣ ـ الشيخ قطب مدار.

٢٤ ـ الشيخ جواد الساباطي.

٢٥ ـ الشيخ سعد الدين الحموي[1].

٢٦ ـ الشيخ عامر البقري.

٢٧ ـ الشيخ صدر الدين القونوي.

٢٨ ـ الشيخ جلال الدين الرومي.

---

(١) كشف الأستار ص ٤٥ و....

٢٩ ـ الشيخ عطار النيشابوري.

٣٠ ـ الشيخ شمس الدين التبريزي.

٣١ ـ السيد نعمة الله الولي (من مشايخ الصوفية).

٣٢ ـ السيد السنيمي.

٣٣ ـ السيد علي الهمداني.

٣٤ ـ الشيخ عبد الله العطيري.

٣٥ ـ السيد سراج الدين الرفاعي.

٣٦ ـ الشيخ محمد الضبان الحصري.

٣٧ ـ محمد ابراهيم الحموينى الشافعي في فرائد السمطين.

٣٨ ـ محمد بن شحته الحنفي في روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر ج١ ص ٢٩٤.

٣٩ ـ الحافظ عبد الرحمٰن السيوطي الشافعي.

٤٠ ـ الحافظ محمد بن مسعود البغوي.

٤١ ـ شهاب الدين بن حجر المكي صاحب الصواعق.

٤٢ ـ مؤمن الشبلنجي صاحب نور الأبصار الباب الثاني ص ١٥٢.

٤٣ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي.

٤٤ ـ ابن خلكان المؤرخ المشهور.

٤٥ ـ الفرماني «صاحب أخبار الأول».

٤٦ ـ شمس الدين بن طولون «صاحب الشذور الذهبية».

٤٧ ـ الحافظ أبو نعيم. رضوان العقبي.

٤٨ ـ علي بن حسين المسعودي صاحب مروج الذهب.

٤٩ ـ ابن الأثير الجرزي صاحب كامل التواريخ.

٥٠ ـ أبو الفداء المؤرخ المشهور صاحب «المختصر في أخبار البشر».

٥١ ـ محمد خواند أمير صاحب روضة الصفاء.

٥٢ ـ خواند أمير صاحب حبيب السير.

٥٣ ـ صاحب تاريخ الخميس، حسين بن محمد الديار بكري.

٥٤ ـ الشيخ ابن العماد الحنبلي، صاحب شذرات الذهب وجلال الدين السيوطي في علامات المهدي.

٥٥ ـ أبو نعيم في أخبار المهدي.

٥٦ ـ ابن حجر الهيثمي (في القول المختصر في علامات المهدي المنتظر).

٥٧ ـ الشوكاني في التوضيح فيما تواتر عن الدجال والمنتظر والمسيح.

٥٨ ـ أبو عباس بن عبد المؤمن المغربي في كتاب الوهم المكنون في الرد على «ابن خلدون» والمتقي الهندي في البرهان في ما جاء في صاحب الزمان و... وعشرات الأشخاص الآخرين[1].

وبشكل عام يمكن القول ان علماء أهل السنة والجماعة، ذكروا أكثر من خمسمائة حديث في أكثر من ٦٠ كتاباً معتبراً[2].

اعتراف أكثر فرق أهل السنة إفراطاً:

والرائع في الأمر هو أنه قبل خمس سنوات سأل مسلمٌ من أهالي (غينيا) اسمهُ «أبو محمد» من رابطة العالم الإسلامي التي يقع مركزها في

---

(١) راجع كتاب كشف الأستار للمحدث النوري ص ١٠ ـ ١٢ و....

(٢) صاحب إلزام الناصب... ص ١٧٣ صُرّح في كتابه هذا بروايات جماعة من كبار أهل السنة، ونُقل فيها وجود المهدي (عج) وحياته منذ زمن الغيبة.

مكة وتدار بواسطة أكثر فرق أهل السنة تعصباً (الوهابيّون)، سأل عن الإمام المهدي (عج)، وقال المدير العام لـ«رابطة العالم الإسلامي»، «محمد صالح القزاز» في جوابه ضمن اعترافهِ بأن «ابن تيمية» مؤسس مذهب الوهابية قبل الأحاديث المروية حول الإمام المهدي (عج) ونقلها، وأرسل إليه متن الرسالة التي أعدّها خمسة من كبار علماء الحجاز الحاليين. ذُكر في هذ الرسالة اسم الإمام ومميزاته ومحل ظهورهِ (في مكة) وسائر صفاته وأوضاع العالم في عصر ظهور المهدي (ع) وصرحوا أنه آخر الخلفاء الاثني عشر الراشدين الذين أخبر عنهم الرسول (ص) ونقل ذلك في كتب أهل السنة المعروفة وفي صحاحهم.

ويضيف: إن كثيراً من صحابة الرسول (ص) ومنهم علي (ع) وعثمان وطلحة وعبد الرحمٰن بن عوف، نقلوا ذلك ويقولون: نقل هؤلاء الخمسة عشر من صحابة الرسول هذه الأحاديث المذكورة ونقلها أفراد غيرهم أيضاً. إضافة إلىٰ ذلك نُقل كلام طويل عن الصحابة أنفسهم ذكر فيه بحثٌ عن ظهور المهدي (ع)، وجاء ذلك في كثير من الكتب الإسلامية المعروفة ومتون الحديث الأصلية الشاملة للسنن والمعاجم والمسانيد، وبعد ذكر أسماء تلك الكتب والعلماء الذين ألّفوا كتباً حول المهدي (ع)، كتب:

آخر من كتب بحثاً مفصلاً في هذا الشأن هو مدير الجامعة الإسلامية في المدينة، وبحوثاً في أعداد كثيرة من مجلة الجامعة المذكورة[1].

مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٣ السنة الأولىٰ ذو القعدة ١٣٨٨هـ، وأضاف:

كتب جماعة من الكبار والعلماء الإسلاميين قديماً وحديثاً في مؤلفاتهم أنّ الأحاديث حول «المهدي» بالغة حدّ التواتر ولا تقبل الإنكار أبداً، كالسخاوي في كتاب (فتح المغيث) ومحمد بن أحمد السفاويني في (شرح العقيدة) وأبو الحسن الابري في (المناقب) وابن تيمية في (الفتاوىٰ) والسيوطي في (الحادي) ومحمد جعفر الكناني في (نظم المتناثر).

---

(١) التفسير الأمثل ج ٧ ص ٣٧٥.

ويقول بعد ذكر أسمائهم: ابن خلدون وحدهُ أراد الإشكال علىٰ أحاديث المهدي بالحديث الموضوع الذي لا أساس له القائل: لا مهدي إلاّ عيسى و... لكنّ كبار وزعماء وعلماء الإسلام رفضوا مقولته وخصوصاً (ابن عبد المؤمن) الذي ألّفَ كتاباً في الرد عليه وقد نشر قبل ثلاثين عاماً في الشرق والغرب.

مجلة جامعة المدينة:

إن مجلة الجامعة الإسلامية نشرت في العدد ٣ سنة ١٣٨٨هـ بقلم الشيخ عبد الحسين العباد أستاذ جامعة المدينة، تحت عنوان «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» مباحث مفصلة وموثقة حول المهدي (عج) ضمن ٩٠ صفحة، ونشير إلىٰ قسم منها بشكل مجمل.

في هذا العدد من المجلة ذكر فهرس الموضوعات حول الإمام المهدي من الحديث والرواية بهذا النحو:

١ ـ صفات ومميزات ستة وعشرين رجلاً من أصحاب الرسول (ص) المعروفين، الذين نقلوا أحاديث المهدي (ع) من النبي نفسه.

٢ ـ أئمة أهل السنة وعلماء الحديث الذين نقلوا الأحاديث والآثار الواردة حول الإمام المهدي (عج) في كتبهم. وهنا عرض صفات ٣٨ شخصاً من أصحاب الصحاح والمعاجم والمسانيد المعروفة والمشهورة لأهل السنة، منهم أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وأحمد بن حنبل والحاكم في المستدرك.

٣ ـ مشخصات عشرة من قدماء علماء أهل السنة الذين ألّفوا كتباً حول مقام وخصائص الإمام المهدي (ع).

٤ ـ أسماء الذين ذكروا في كلامهم وكتاباتهم تواتر الأحاديث المرتبطة بالمهدي (ع).

٥ ـ إشارة إلىٰ الأحاديث التي جاءت في الصحيحين حول المهدي (ع).

٦ ـ إشارة إلىٰ الأحاديث التي جاءت في غير الصحيحين حول الإمام المهدي (عج)[١].

إضافة إلىٰ ذلك فإن ابن خلدون نفسه ذكر هذه الحقيقة واعتبر أصل ظهور المهدي (عج) من الأصول المسلّمة، وقال: إننا نقول: إن جماعة من أئمة الحديث أثبتوا الأحاديث المرتبطة بالمهدي وكلّهم من العلماء المعروفين، ومنهم.

١ ـ الترمذي (أبو عيسىٰ محمد الترمذي صاحب صحيح الترمذي المتوفىٰ ٢٧٩هـ).

٢ ـ أبو داود وهو سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن شداد بن عمرو بن عمران الازدي السجستاني صاحب سنن أبي داود المتوفىٰ ٢٧٢هـ.

٣ ـ ابن ماجة محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، المكنىٰ بأبي عبد الله، من مشاهير أهل السنة، وصاحب سنن ابن ماجة المتوفىٰ ٢٧٣هـ.

٤ ـ البزاز أبو بكر بن أحمد بن عمر البصري صاحب المسند الكبير المتوفىٰ ٢٩٢هـ[٢].

٥ ـ الحاكم النيشابوري صاحب التأليفات المهمة في التاريخ والحديث المتوفىٰ ٤٠٣هـ.

٦ ـ أبو يعلى الموصلي أحمد بن علي التيمي الموصلي صاحب كتاب المسند الكبير المتوفىٰ ٣٠٧هـ.

٧ ـ الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب المتوفىٰ ٢٦٠هـ.

وأسند هؤلاء العلماء الروايات المرتبطة بالمهدي (ع) إلىٰ جماعة من الصحابة منهم علي (ع) وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود، وأبو هريرة، وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري، وأم حبيبة، وأم سلمة[٣].

---

(١) موسوعة الإمام المهدي ج ١ ص ٥٦١ إلى ٦٣١.
(٢) راجع كشف الأستار، وريحانة الأدب ج ١ ص ١٠٥.
(٣) كمال الدين. . .ص ٢٠ إلىٰ ٢٧.

موضوع السرداب:

مسألة السرداب التي عظّمها أعداء الإسلام والتشيع وأعتبروا الاعتقاد بالغيبة مع كل أصالتها وأشتهارها وتواترها خرافةً. هي ليست كما يعتقد الشيعة من أن المهدي (ع) غاب فيه، بل هي أنه في المناطق الحارة من الحرّ الشديد عادة تُبنىٰ في البيوت سراديب عميقة وتُشاهد الآن سراديب كهذه بكثرة في الأقسام الصحراوية من قم ودزفول.

وقد كان سائداً في العراق وخصوصاً النجف وسامراء منذ القديم إيجاد سراديب عميقة كهذه ولا زال بعضها موجوداً في مناطق مختلفة.

مسألة السرداب في سامراء في بيت الإمام الحسن العسكري (ع) هي من هذا القبيل، أوجد في ذلك البيت للوقاية من الحرّ، وفي الحقيقة استفاد ثلاثة أئمة من هذا البيت ومن هذا السرداب، أي الإمام الهادي والحسن العسكري وإمام العصر (عج).

لذا فإنّ لهذا البيت وهذا المكان قداسة وشرافة خاصة لأهل التقوىٰ وأتباع أهل البيت.

ولدىٰ كل شعوب العالم، حتىٰ في عصرنا الحاضر، يحافظ علىٰ محلّ سكن الرجال العظام والقادة الكبار، وبشكله الأول، وتُحفظ آثارهم وأبنيتهم بوصفها آثار قديمة، وتعتبر مظهراً لثقافة ومدنية الأمة، وكل يوم يزورها الزوار والسُيّاح. أليس حفظ وقداسة هذا المحل للشيعة علىٰ طولَ التاريخ أمراً طبيعياً ومستحسناً؟!

في السفر إلىٰ الهند نرىٰ، أن بيت غاندي القائد الفقيد للهند في بمبي بقي علىٰ حالته السابقة نفسها، إضافة إلىٰ ذلك فإن كل وسائل حياته وعمله بقيت محفوظة كما كانت تعرضها علىٰ المشاهدين بأفتخار شديد، والأروع من ذلك أن غاندي قبل موتهِ بشهرين أو ثلاثة كان في نيودلهي ضيفاً في بيتٍ وقد حافظوا علىٰ الساحة التي كان يجلس فيها كل يوم ليتحدّث إلى الحاضرين، والمكان الذي قتل فيه، حفظوهُ علىٰ ما كان عليه تماماً، بل إن محلّ أقدامه وآثار مشيهِ حفظت بشكل جميل من غرفته إلىٰ محل جلوسه

الذي قُتل فيه، بشكل يعجب كل زائر خاصة بعد توضيح المرشدين المختصين لكل ذلك.

ألا يجب أن يحفظ السرداب والبيت الذي سكنه ثلاثة من أئمة الشيعة العظام وفيه ذكرىٰ طفولة إمام العصر وحياة الإمام العاشر التبعيدية، والإمام الحادي عشر؟ ألا يجب أن يكون لذلك المكان قدسيّة وآحترام؟ أيعتبر عمل الشيعة هذا خرافة، ولأجل ذلك يُنْتَقَد اعتقادهم الراسخ والمبرهن بالإمام المهدي (عج)، والذي قبلته كل الفرق الإسلامية؟!

ليست مسألة السرداب بالشكل الذي تمسك به أعداء الإسلام أو الجهلاء من الناس، وسحقوا به الشيعة، إننا لا نعتقد أبداً بأن صاحب الزمان سيظهر من هناك، وحتىٰ الأشخاص الذين كتبوا حول ذلك وعن زيارة الإمام المهدي (عج) هناك[1]. لا يقصدون ذلك، بل المقصود هو زيارة المكان الذي سكن فيه وتوقف عنده ومع تجديد الذكرىٰ هناك من الأفضل أن يُدعىٰ للإمام في ذلك المحلّ ويُقرأ بالسلام والصلوات. فما الإشكال في هذا الفعل؟

التوقف والدعاء في صحن ومرقد الإمام العاشر والحادي عشر والصحن الذي خلف المرقد... والصحن الذي فيه السرداب، هو محلّ سكن هؤلاء الأئمة الثلاثة، فإن الزيارة والتوقف في بيت هو تعبير القرآن:

---

(١) إن الأدعية والزيارة المنقولة في كتب الأدعية كالمفاتيح و... هي من هذا القبيل، ولا أحد منهم يشير إلىٰ نسبة الإفتراء هذه، وعبد الرحمٰن الجامي وحده يشير إلىٰ السرداب في شواهد النبوة في قصة هجوم غلمان المعتضد العباسي علىٰ بيت الإمام للقبض عليه، في كشف الأستار ص ٢١٢.

وكثير من كبار أهل السنة كحافظ الگنجي الشافعي المتوفىٰ ٦٥٨هـ تقبّل غيبة الإمام في السرداب، ويقول في جواب منكريه: إنّ بقاء الإمام هو كبقاء عيسىٰ في السماء حتىٰ انه لا يحتاج إلىٰ الطعام والشراب العادي رغم أنه بشر كالمهدي! وبقاؤهما بأمر الله، ويأخذان رزقهما بأمر من الله تعالىٰ، كشف الأستار ص ١٥. يقول المرحوم الشيخ الأربلي المتوفىٰ عام ٦٩٣هـ وبعد ذكر الكلمات المتقدمة: إن القائلين بوجود المهدي (ع) لم يدعوا إن الإمام في السرداب...!! كشف الغمة ج ٣.

﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمهُ**﴾[1] يعيد ذكرىٰ الإمام ويجدد العهد والبيعة له، وعلامة لمعرفة منزلة وقدر الإمام. وبالأخص في هكذا موارد، فإنه عامل للإستعداد لنهضة قائد العدالة والمصلح العالمي الكبير...!!

وفي جواب موضوعات آبن خلدون وأمثاله ألّفت كتب منها ما كتب أحمد بن محمد بن الصديق في كتابه «إبراز الوهم المكنون في كلام ابن خلدون، أو المرشد المبدي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي»[2].

والعالم العظيم ومرجع الشيعة المرحوم كاشف الغطاء له قصيدة طويلة تصل إلىٰ مائتي بيت في الرد علىٰ أشعار أحد علماء السنة في الطعن علىٰ عقائد الشيعة بشأن السرداب، فقد ردّه، وآعتبره أمراً لا أساس له ومجرد تهمة[3].

---

(١) سورة النور: آية ٣٦.
(٢) موسوعة الإمام المهدي ج ١، ص ٥٦٠ ـ ٤٣١.
(٣) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ص ٢٤٦.

الفصل الرابع

فخذ الجراد وحضور سليمان

تأليف: سمب الإسلام

بعد «لفافة الخيط» فإن تقديم «فخذ الجراد» يبين مضي عام من العمر العزيز. وهي أكثر من ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وكل يوم وليلة منه أربع وعشرون ساعة، وكل ساعة ستون دقيقة، وكل دقيقة ستون ثانية، وفي كل ثانية بأمر الله ولطفه لنا شهيق وزفير، لنا نبض وقلب ودم وحركات. ونقترب من طريق الموت، ونسير نحو الله شئنا أم أبينا. نعم إنا لله وإنا إليه راجعون[1].

ويجب القول كما ينسب لسلمان الفارسي الصحابي الجليل:

وفدت على الكريم بغير زاد[2].

في العدد السابق لكتاب «الشمس المختفية أو المحجوبة» ذكرنا مقالة حول الاعتقاد «بالمنتقم الحقيقي» والمصلح الإلهي تحت عنوان (لفافة الخيط وشراء يوسف) عن طريق العقل والقرآن الكريم وسنة رسول الله (ص)، ونقدم الآن تتمتها:

يعتقد المسلمون بأن أكمل وآخر كتاب سماوي هو القرآن الكريم، ولا يوجد بعد القرآن كتاب، ولا بعد الإسلام دين وشريعة، ولا بعد النبي الأكرم محمد بن عبد الله (ص) نبي أبداً.

---

(١) ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ سورة البقرة ـ الآية ١٥٦.

(٢) ينسب هذا الشعر لسلمان الفارسي وأوصى بكتابته على كفنه:

وفدت على الكريم بغير زاد ... من الحسنات والقلب السليم

فحمل الزاد أقبح كلّ شيء ... إذا كان الوفود على الكريم

إن كل العباد وطبقاً لشروط معينة، مكلفون في الفقه الإسلامي باتباع شريعة الإسلام الإلهية، وبما أنه لا يمكن للجميع أن يجتهدوا ويتوصلوا إلى معرفة الأحكام؛ لأن مشاغل الحياة لا تسمح للجميع بدراسة العلوم الدينية والوصول إلىٰ تلك الدرجة، لذا حصلت مسألة (رجوع العامة إلىٰ العلماء).

إن حاجة عامة الناس إلى العلماء أمر بديهي لكل عاقل وبصير، ولذلك أدلة عقلية ونقلية كثيرة. ولو لم تراعَ هذه المسألة منذ أقدم العصور، لما كان إنسان اليوم قد وصل إلى هذا الحدّ من الترقي والتعالي.

ففي كل نقاط العالم وكلّ من تعلم شيئاً وعلَّمه لغيره هو ببركة (التعليم والتعلّم) أي (رجوع الجاهل إلىٰ العالم)، ولا تنحصر هذه القاعدة بنوع واحد من العلوم والفنون، ولا بزمن ومكان خاص، بل هي قاعدة عامة وكليّة وعالمية.

وأما الدليل النقلي:

فإن القرآن الكريم يأمر بصراحة تامة ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[1]. كما انكم بميزان العقل والفطرة، ولأجل تعلم كل فن وعلم ترجعون بقدر الإمكان إلى أفضل استاذ في ذلك الفن والعلم: فلمعرفة التعاليم الدينية التي تضمن سعادة الدارين يلزم الرجوع إلىٰ أفضل أستاذ بدليل العقل والنقل.

من هو أفضل معلّم دينيّ؟

مهما سعينا لاختيار «المعلّم» إلى أن نصل إلىٰ صدر الإسلام وزمن الرسول الأكرم (ص) كان ذلك أفضل عقلاً، لكي نأخذ الماء من الينبوع.

كان معلمو الدين في صدر الإسلام مجموعتين، الأولىٰ (الأصحاب) والأُخرىٰ (أهل بيت) رسول الله (ص). رجع جمع من المسلمين على طول التاريخ إلى (الصحابة) لعلل كثيرة، ولا زالوا يرجعون إليهم.

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٣. وسورة الأنبياء: الآية ٧.

ورجع عدد آخر منذ بداية الوحي وصدر الإسلام إلى الرسول وأهل بيته الأطهار: كالإمام علي (ع) وفاطمة الزهراء والسبطين الحسنين، حتىٰ الإمام الثاني عشر صلوات الله عليهم أجمعين.

وهم عباد الله المكرمون المعصومون من الخطأ والإثم، لم يقدّموا قولهم على كلام الله[1]. وقد دعا الرسول في وصيته وخطبته المشهورة والمتواترة المسلمين إلى التمسك بالقرآن والعترة[2].

إن للعلماء والمحققين في بحث اختيار أول معلّم للدين بعد النبي (ص)، كلاماً لطيفاً ومبرهناً وثابتاً وبيّناً. والذي يطلب التفصيل يراجع كتب: عبقات الأنوار، وإحقاق الحق الطبعة الجديدة، والغدير، وغاية المرام، والألفين للعلامة، والمراجعات، والنص والاجتهاد، وشروح التجريد للخواجة نصير الدين، وبالفارسية كتاب الكامل للبهائي، والنقض وملحقاته، والشيعة في الإسلام، وظهور الشيعة، والشيعة تسأل، وماذا تقول الشيعة، وهذا مذهبنا وديننا، والخلافة في الإسلام، والخ.

اختيار معلم الدين:

يمكننا ملاحظة هذا الأمر من جهتين:

---

(١) والآيات التالية من سورة الأنبياء هي مستندنا في هذا البحث:
﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون﴾ الآية ٢٦.
﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾الآية ٢٧.
﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضىٰ وهم من خشيته مشفقون﴾ الآية ٢٨.

(٢) إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي. كتب العالم الجليل الشيخ محمد قوام الدين الوشنوي حول هذا الحديث رسالة تحقيقية منصفة، نشرتها دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ـ في القاهرة ـ عام ١٣٧٠هـ مع تقريظ للكتاب وتمجيد لكاتبه.
ومع الأسف فإن (دار التقريب) دخلت تحت نفوذ (رابطة العالم الإسلامي) في مكة وبقيت نفوس مؤسسي (دار التقريب) الحرّة قلقة لما حدث.

أ ـ بنظر العقل السليم الإنساني، والتجربة أحياناً.

ب ـ من حيث «النقل» أي القرآن الكريم، وسنة رسول الله (ص) والتاريخ قليلاً.

لو أردنا اختيار معلم الدين من حيث العقل والتاريخ، رجعنا إلى أصحاب الرسول (ص) لنرى أن هؤلاء العظماء بعد بعثة الرسول (ص) ونزول القرآن المجيد، أسلم كلٌّ منهم وقبل الإسلام في سن الشباب، والكهولة والشيخوخة.

فهل كان إيمانهم أو إسلامهم مقبولاً عند الله أم لا؟ وهل إنهم أسلموا حقاً؟ لا يهمنا ذلك **﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾**[1].

لكن القرآن الكريم يقول بصراحة وبنحو «الحصر»:

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾[2].

وبالنظر إلى هذه الآية يُحذف بعض الصحابة.

تنبيه ـ ذكر القرآن الكريم إمكان وجود بعض الأفراد بين «الصحابة» الذين راودهم الشك والترديد بعد نفوذ الإيمان إلى قلوبهم.

أي لا يمكن حسن الظن بكل الأصحاب لمجرد كونهم أصحاباً، كما لا يمكن إساءة الظن بهم أيضاً: إلاّ بدليل.

لكن أهل السنة يحسنون الظن بكل الأصحاب بدليل الآية الكريمة (١٠٠ من سورة التوبة)[3].

---

(١) **﴿إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾** ـ سورة الأنعام: الآية ١١٧.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٥.

(٣) **﴿والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدَّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾** (التوبة: ١٠٠).

إننا نؤمن بهذه الآية أيضاً، ولكن لا يجوز ترك سائر آيات القرآن والالتفات إلى آية واحدة فقط؟

مَن هم الصحابة:

قبل التحدث عن هذه الآيات المباركات حول «الأصحاب» رضي الله عنهم ورضوا عنه، يجب أن نعرف من هم «الصحابة»؟

«الموسوعة العربية» وهي الموسوعة المعتبرة المعاصرة، لأهل السنة العرب كتبت:

إن الأصحاب هم عبارة عن المسلمين الذين شاهدوا الرسول (ص) ولو مرّة واحدة، وآخر فرد من الأصحاب وأكبرهم سناً، عاش حتىٰ بداية القرن الثاني للهجرة، وكان قد رأى النبي (ص) في سن الطفولة.

«الصحابة» اسم مختصر لمن عاش مع النبي (ص)، وشاركه في حروبه وغزواته.

وفي المراحل التالية اتسع هذا الإسم لغيرهم أيضاً.

إن للصحابة منزلة عظيمة عند أهل السنة، وقد سألوا الصحابة عن أقوال الرسول وأفعاله وصفاته، فلو تابعنا سلسلة سند الحديث لوصلنا بالتالي إلىٰ «الأصحاب».

لدىٰ أهل السنة يعتبر قول وفعل الأصحاب حجة، لمطابقته لتعاليم الإسلام (بوصفهم مثلاً وقدوة)، وإن التطاول عليهم معصية تستحق العقاب.

لكن الشيعة تعدّت على الأصحاب لأنهم لم يساعدوا على بيعة علي (ع)[1].

---

(١) لم تتعرض الشيعة لكل الصحابة، ولم تفعل ذلك، ثانياً عدم اعتماد الشيعة على كل الأصحاب له دليل من القرآن الكريم كسورة المنافقين وآيات وأحاديث أخرىٰ.

ثالثاً ـ كثير من الأصحاب أمثال سلمان وأبي ذر، والمقداد وعمار، وأبي أيوب الأنصاري، وسعد بن عبادة، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وابن حذيفة اليمان، وعبد الله بن عباس، =

للصحابة مراتب وهم مقدمون على كل الخلفاء الراشدين، وستة منهم هم من (العشرة المبشرة)[1]. ثم يقدَّم المهاجرون على الأنصار. نقل أهل السنة مناقب الأصحاب من المهاجرين والأنصار، وجاء بعضها في كتب الحديث.

خصصوا كتباً لتأريخ الأصحاب وأشهرها: ١ ـ «أُسد الغابة في معرفة الصحابة» (ابن الأثير). ٢ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر[2].

هذه خلاصة جامعة لرأي أهل السنة في أصحاب الرسول (ص)، فماذا نقول نحن...؟

وجود سورة كاملة باسم (سورة المنافقون)، وآيات عديدة أخرىٰ منتشرة في أنحاء القرآن الكريم تفيد:

أنه في زمن النبي الأكرم (ص)، كان بين المسلمين أفراد، لم يعتبرهم القرآن مسلمين بل سمّاهم (المنافقين).

ثانياً: بالالتفات إلى هذه الآيات المباركات تتضح علائم المنافق في كل زمن.

والنتيجة: ان القرآن يتحدث عن الأصحاب (عامة مَن رأىٰ النبي) ويتحدث عنهم التاريخ والحديث، وتجدون نماذجهم بشكل ملخص في هامش الصفحة[3].

= وكثيرين غيرهم، أليسوا من الأصحاب الذين يعتمد عليهم الشيعة ويحترمونهم، ولماذا ساعد بعض الأصحاب على بيعة علي (ع) ولم يساعد بعضهم الآخر. انظروا إلى مجلدي (تسأل الشيعة).

(١) يروي أهل السنة حديثاً مفاده أن النبي (ص) وعد عشرةً بالجنة ويسمّون (بالعشرة المبشّرة)، ولكن للشيعة كلام في هذا الحديث، مطابق للقواعد العقلية والعلمية.

(٢) الموسوعة العربية الميسَّرة.

(٣) الحديث الثاني من كتاب الفتن بإسناده عن النبي (ص): أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم حتىٰ إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول: أي رب أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك (البخاري ج ٣/ ١٣٦) ـ المطبعة الميمنية ـ ١٣٣٠هـ. وفي هذا المورد راجع صحيح مسلم (ج٨/ ١٥٧) المطبعة العامرة/ س/ ١٣٣٣هـ، وصحيح مسلم باب إثبات الحوض ج ٧/ ٦٥ إلىٰ ٧١.

المجموعة الثانية من زعماء الدين (ع): وهم أهل بيت النبي ففي القرآن آية التطهير وفي السنة حديث الثقلين، ومئات الأحاديث الأخرى[1].

وعلى رأس هذه المجموعة من أهل بيت رسول الله (ص) وتشمله آية التطهير أمير المؤمنين علي (ع)، وهو أوّل مَن أسلم من الرجال ولم يقبل الكفر سابقاً؛ لأنه آمن في سنّ الطفولة. وبقي مع النبي (ص) حتىٰ نهاية عمره الشريف.

وأما فاطمة الزهراء (ع) فقد ولدت في أحضان الإسلام من أب كالنبي المعصوم (ص) وأمّ مؤمنة (كخديجة)، أول من أسلم من النساء وهي المصداق الأوّل للآية القرآنية: **﴿والسابقون السابقون * أولئك المقرّبون﴾**[2].

فاطمة الزهراء حبيبة الله، ورضيعة الوحي، وسلالة النبوّة، وخلاصة الولاية، ومحور الدين، ونعمة الله العظمىٰ، وعطية إلهية كبرىٰ وسمّاها القرآن (بالكوثر).

فإن لم يكن المقصود من (الكوثر) في القرآن الكريم (هو فاطمة) فإن الآية الثالثة من هذه السورة ستكون بلا معنىٰ **﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾**[3].

والحسنان سبطا رسول الله (ص): الراضعان لبن الرسالة، والمتربيان في كنف الرسول (ص) والمستمعان لنداء الوحي وصوت الملائكة، اللذان تربيا في أحضان الرسول (ص)، المعصومان من الخطأ وسيّدا شباب أهل الجنة[4].

---

(١) مع حذف السند عن عمار بن ياسر قال: بينا أنا عند رسول الله (ص) إذ قال رسول الله (ص): إن الشيعة الخاصة منا أهل البيت، فقال عمر: يا رسول الله، عرّفناهم حتىٰ نعرفهم. فقال رسول الله (ص): ما قلت لكم إلاّ وأنا أريد أن أخبركم. أنا الدليل على الله عزّ وجلّ وعليّ نصير الدين ومنارة أهل البيت، وهم المصابيح الذين يستضاء بهم. فقال عمر: يا رسول الله فمن لم يكن قلبه موافقاً...؟ فقال رسول الله (ص): ما وضع القلب في ذلك الموضع إلاّ ليوافق أو يخالف، فمن كان قلبه موافقاً لنا أهل البيت كان ناجياً، ومن كان قلبه مخالفاً لنا أهل البيت، كان هالكاً (الكافي ـ الروضة ج ٨/ ٣٣٣ ط الجديدة).

(٢) سورة الواقعة: ية ١٠.

(٣) سورة الكوثر: آية ٣.

(٤) الحديث المشهور والمقبول من الطرفين (الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة) البخاري باب فضائل الحسنين.

اتبع الشيعة هذا الخط الإلهي والحبل السماوي فتمسكوا بحبل الله المتين ووصلوا إلى الإمام الثاني عشر (عج)، وهم يفخرون باختيارهم لهذا الطريق السليم الطاهر، وحسن اختيارهم هذا يعود إلى عفة وطهارة أمهاتهم وتقوىٰ آبائهم[1].

كان ذلك تسلسل معلمي الشيعة بعد النبي (ص)، ولا أظنّ هناك كلاماً يُطرح في هذا القسم، وإن كان كلام فهو بعد زمن الأئمة المعصومين (ع). فلينظر القارىء البصير والمنصف أوّلاً لما عليه الآخرون ثم ينظر إلى الشيعة؛ ليتضح له الفرق بين المسلكين.

إلى أين ولِمَنْ يعود المسلمون غير الشيعة في مسائل الحلال والحرام الدينية ومشاكلهم وعقائدهم في القرآن وسنة الرسول (ص) والمسائل المستحدثة (المسائل التي لم تحصل من قبل ثم وُجدت في العصور المتأخرة)؟

والجواب طبعاً هو: إلىٰ علماء الدين.

فهل عمل غالبية المسلمين هذا والعقلاء من الناس في كل مكان صحيح أم لا؟

فإن كان صحيحاً فإن الشيعة تعمل أيضاً طبقاً للأوامر التي جاءتهم عن أئمة دينهم «وأما الحوادث الواقعة...»[2] والفرق هو أنهم يقولون: إن العلماء الذين يحلون مشاكلنا ويجيبون عن أسئلتنا يجب أن يأخذوا علمهم هذا عن طريق أهل بيت الوحي والتنزيل وأهل بيت النبي (ص)؛ ليكونوا مصونين من الخطأ، لا عن طريق القياسات النفسيّة التي هي في معرض الزلاّت الشيطانية.

---

(١) الصواعق المحرقة يروي عن أبي سعيد الخدري «كنا نميّز بين أبناء الحلال والطاهرين وأبناء الحرام عن طريق حب علي بن أبي طالب (ع) وعداوته لأنه جاء: ياعلي لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ كافر أو منافق أو وَلد زنىٰ.

(٢) وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلىٰ رواة حديثنا؛ فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله. في جواب مسائل (إسحاق بن يعقوب) بواسطة محمد بن عثمان بن سعيد العمري من قبل الإمام صاحب الزمان (عج) راجع كتاب كفاية الموحّدين في هذا الفصل.

أيّ المسلكين أكثر إنصافاً ومراعاة للاحتياط وأقرب إلىٰ طريق الصواب؟

فيا عقلاء العالم! ويا أحرار الفكر والروح والعلم والنفس، لو جاز لعلماء الدين دون إتصالهم وارتباطهم بأهل بيت الوحي والرسالة حلّ المسائل الدينية، وقبل المسلمون بذلك، وكان هذا الأسلوب صحيحاً عند المذاهب الأربعة، فلماذا لا يكون صحيحاً جواب وكلام علماء الدين الآخرين عن أهل بيت النبي (ص) المتصل بمبدأ الوحي...؟! مالكم كيف تحكمون؟

الشيعة والسعي لفهم أحكام الله:

الفرق بين علماء الشيعة والسنة يكمن في هذه المسألة، وإلاّ فإن السعي والجهد لتحصيل مقدمات العلوم الدينية، من الصرف والنحو والمنطق وحتىٰ العروض والمعاني، والبيان وعلم الحديث وتفسير كلام الله، وتعلّم الفقه وأصوله، والغوص في بحر العلوم والمعارف الإسلامية هو عمل هؤلاء الغوّاصين في العلوم السماوية، هو عمل الساعين في طريق الدين، والباحثين في أعماق التحقيق واليقين.

إنّ اللآلىء البراقة والجواهر المشعّة المستخرجة هي دليل على هذه الحقيقة غير القابلة للإنكار.

لا يتصور علماء سائر المذاهب أن يترك مجتهد شيعي وحده سفراً جليلاً في علم الدين كمجلدات (جواهر الكلام) أي يؤلفه وحده.

إن لم يقرأ الشخصُ الكتاب العظيم (مفتاح الكرامة) والسفر الجليل والقيّم (المواهب السنية) وكتاب (المناهل) وشرح (شرائع الإسلام) والكتب الجامعة المانعة مثل (كشف الغطاء) للعلامة الكبير الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء، ولم يفهمها جيداً فإنه يعتبر الفقهاء العظام لا عمل لهم ولا فائدة فيهم للمسلمين. وقد يَعتبر مثل هؤلاء الأشخاص أنّ بعض «المستشرقين اليهود» وهم سماسرة الإستعمار وطليعة الاستثمار، وشياطين العقائد الصحيحة،

وسارقوا الكنوز المدفونة، الذين ينهبون الأمم المحرومة، ويقضون عليها ويحطمون جذورها المادية والمعنوية، ويبدّلونها بالفساد وضعف الإيمان واللااعتقاد واللامبالاة، يعتبرونهم أكثر فائدة من أولئك الفقهاء العظام.

امتياز فقهاء الشيعة:

إنْ لم تطالعوا كتب علماء الشيعة العلمية العظيمة والتحقيقات حول «آيات الأحكام»؟ ولم ترَوا كتباً أمثال التهذيب والاستبصار والمبسوط والنهاية، فطالعوا على الأقل الكتاب المعروف والمتوفر لدىٰ الجميع، أثر الفقيه الكبير في القرن السابق المرحوم آية الله السيد محمد كاظم اليزدي (ره)، أي (العروة الوثقىٰ)، لتعرفوا ما هي المزايا في اتباع الأئمة المعصومين (ع) في فهم الأحكام الإلهية.

إن الدقة في النظر، وعمق الفكرة، والسعي للفهم والتفهيم، وعمق الغور والبحث في أدق المعاني، ودقة الكلام، كلها من خصائص علماء الشيعة في كل العلوم والفنون الإسلامية، حتىٰ العلوم الموجودة لدىٰ السابقين والّتي نقلت إلى المجتمع المسلم «كالفلسفة والأخلاق».

إن إلقاء نظرة علىٰ آثار كبار علماء الشيعة منذ القدم حتىٰ العصر الأخير يبين هذه الحقيقة. انظروا إلىٰ كتابي (الاختصاص والإرشاد) للشيخ المفيد في العقائد والحديث وكتابي (الانتصار والشافي) للسيد المرتضىٰ علم الهدىٰ في الفقه والكلام.

وكتابي (النهاية ـ والتهذيب) في الفقه وأحاديث الحلال والحرام لشيخ الطائفة الطوسي. وكتابي (شرح الإشارات ـ وتجريد الاعتقاد) لنابغة الشرق الخواجة نصير الدين الطوسي[1]. وكتابي (التذكرة والألفين) للعلامة الحلي في الفقه والكلام فصل الولاية والعصمة.

---

(١) من لطف الله المتعال وعنايته بي أن وفقني لترجمة وشرح فصل واحد (المقصد الخامس في الإمامة) من تجريد الاعتقاد للخواجة الكبير إلى الفارسية والعربية، ونشر عام ١٣٦٠ للهجرة الشمسية وفي مقدمة هذا الكتاب جردت آثار الخواجة فوصل عددها إلى سبع وخمسين رسالة وكتاباً.

تنبيه: ذكرنا لكل واحد من هؤلاء العظام كتابين فقط كنموذج في موضوعين، وإلاّ فتعداد آثار كل واحد منهم يحتاج إلى كتاب مبسوط، وقد ذكرنا آثار الخواجة في كتاب (ميزان الحق).

لا تخفىٰ هذه الحقائق على أهل العلم والرأي والإنصاف، إلاّ علىٰ من حُرم من هذه الفضائل الثلاث، وعند ذلك يجب أن نقول: إن تواجد هذه الخصال الثلاث لازم للقضاء والحكم.

فتح باب الاجتهاد عند الشيعة:

من مزايا المذهب الشيعي، وأتباع مذهب أهل بيت العصمة (ع) أن الشيعة تقول بفتح باب الاجتهاد. أي يسأل المكلف عن تكليفه الشرعي في كل زمان ومكان وطبقاً لمختلف الشروط والمقتضيات التي يعيش فيها، من الفقيه الحي والأعلم والطاهر والصالح والواجد للشرائط[1].

وذلك المرجع، الذي يعيش في هذه الظروف والشروط أيضاً والعالم بأحكام الدين عن طريق كلام الله والسنة وسيرة المسلمين وإجماع العقلاء، يأخذ بنظر الاعتبار المسلم على طول التاريخ، ويجيب السائل بنظرة دقيقة بين «العقل» والدراية الإيمانية الخاصة بأصحاب النظر والمحققين في حقائق هذا الدين السماوي، وبذلك يتخلص الشخص من حالة اللاتكليف ويستمر في طريقه نحو الكمال.

فإن كان الجواب في الحقيقة مطابقاً لحكم الله ورضاه فقد تحقق المطلوب وطوبىٰ للسائل والمجيب، وإن لم يكن كذلك، فعلىٰ الأقل تكون فائدته أن يعين تكليف السائل، ولأنه لم يعمل بنفسه وبرأيه فإنه يثاب عليه. وأما المجيب فهو غير مسؤول من باب قاعدة «هذا ما أدّىٰ إليه ظني...»[2] لأنه لم يتعمد إعطاء الجواب غير الصحيح.

---

(١) من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعامة أن يقلّدوه.

(٢) قاعدة «أصولية» سائدة بين علماء الدين (هذا ما أدّىٰ إليه ظني وكلما أدّىٰ إليه ظني فهو حكم الله في حقي، فهذا حكم الله في حقي فيجب النظر في الكتب الأصولية ضمن المباحث العلمية في الحوزات الدينية العلمية.

انسداد باب العلم:

ولو نظرنا إلى الجهة الثانية من المسألة أي الاعتقاد بأن الإسلام كامل وقادر على الجواب عن كل المتطلبات البشرية، فبخصوص الحوادث المستجدة التي تحدث في العالم ما هو تكليف المسلمين؟

إن الإمام الأعظم أبو حنيفة، والإمام المعظم محمد بن ادريس الشافعي، والإمام مالك المكرم، والإمام أحمد بن حنبل الذين عاشوا في القرن الثاني والثالث، وماتوا في حدود ذلك العصر، ليسوا أحياءً حتىٰ يجيبوا عن سؤالنا. ولا وجود لوقائع ومسائل عصرنا الحديثة في كتبهم القيمة، حتىٰ يكونوا قد أجابوا عنها. فما هو تكليف أتباعهم في هذا العصر؟

ستقولون: علماء الدين في هذا العصر هم الذين يجيبون، مع الأخذ بنظر الاعتبار شروط الزمن. حسناً، فالحق هو ما يراه «الشيعة» أي أن «باب الاجتهاد مفتوح».

إن مذهب أتباع أهل البيت (ع) وشيعة علي وآله (ع) ثابت على الحق والحقيقة بنحو لا يُتصوّر سبيل آخر للمسلمين، لكي يتبعوه، وإلاّ فهو غلط وباطل وبعيد عن الصواب[1].

تكليفنا في عصر الغيبة الكبرىٰ:

عندما يتحدث علماؤنا الكبار عن تطبيق أحكام الإسلام في المجتمع،

---

(١) إذا شئت أن تبغي لنفسك مذهباً ... ينجيك يوم الحشر من لهب النارِ
فدع عنك قول الشافعي وأحمد ... والمروي عن كعب الأحبار
ووال أناساً قولهم وحديثهم ... روىٰ جَدُّنا عن جبرئيل عن الباري

هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل (نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٩).

يصرحون بأنه يجب على المسلمين أن يعينوا «الفقيه الجامع للشرائط» لتطبيق الأحكام في المجتمع الإسلامي[1].

المحقق الحلّي في شرائع الإسلام (ج ١/ ٣٤٤/ طبعة النجف) والشهيد الأول في (الدروس الشرعية) والفقيه النراقي في (إيضاح الفوائد ج ١/ ٣٩٩/ ٣٩٨) وفي (عوائد الأيام) للفقيه النراقي.

عودة إلىٰ بداية الكلام:

١ ـ عرفنا أن رجوع عامة الناس إلى العلماء مسألة عقلية وبديهية وقريبة من الفطرية.

٢ ـ إن السؤال من علماء الدين من قبل أهل الإيمان هو علىٰ هذا الأساس.

٣ ـ إن السؤال لفهم المسائل الدينية دون العمل بها لا فائدة فيه.

٤ ـ فالعمل طبقاً لرأي وقول وفتوىٰ علماء الدين أوجد مسألة:

الإجتهاد والتقليد:

«الاجتهاد»[2] في مصطلح المسلمين يعني السعي والجد والجهد لتحصيل علوم الدين وفهم الأحكام الإلهية، والدقة والتفكير الصحيح، وتطبيق المسائل المستجدة على قواعد علوم الدين من القرآن والسنة

---

(١) يجوز للفقهاء العارفين إقامة الحدود في حال غيبة الإمام كما لهم الحكم بين الناس مع الأمن من ضرر سلطان الوقت، ويجب على الناس مساعدتهم على ذلك (شرائع الإسلام ج١/ ٣٤٤/ طبعة النجف).
الشهيد الأوّل في كتاب (الدروس الشرعية) ـ «والحدود والتعزيرات إلى الإمام ونائبه ولو عموماً فيجوز في حال الغيبة للفقيه الموصوف بما يأتي في القضاء وإقامتها مع المكنة، ويجب على العامة تقويته، ومع الغلب عليه مع الإمكان، ويجب عليه الإفتاء، مع الأمن، وعلى العامة المصير إليه، والترافع في الأحكام» (ص ١٦٥/ طبعة إيران ـ بنقل عوامل التعريف ج ٢/ ٢٩).

(٢) الإجتهاد لغة: بذل أقصىٰ الجهد، واصطلاحاً بذل الوسع في استنباط الأحكام من أدلتها، وتطبيقها، وهو مطلق لا يتقيد بمذهب خاص، ولا ينبغي أن يخلو منه عصر. (الموسوعة العربية الميسرة).

والعقل، وطريقة المسلمين الماضين؛ ليتضح تكليف السائل في هذا الزمن.

وفي الحقيقة يسُمىٰ «المفتي» سابقاً «مجتهداً» أو «مرجعاً» في هذا العصر.

والاجتهاد في «اللغة» بمعنىٰ مطلق السعي والجهد في كل فن ومسلك وطريق.

التقليد أو الاجتهاد:

قلنا أصبح المسلمون مجموعتين، بعضهم بسبب حوادث القرن الثاني للهجرة اضطرّوا إلى قبول أحد «المجتهدين» الأربعة.

ومجمل القصة هو، أن كثرة المجتهدين في ذلك العصر أو كثرة مدّعي الاجتهاد، سببت كثرة العقائد واختلاف الآراء والفتاوىٰ وأحياناً سببت حصول التضاد والتناقض.

وأجاز حاكم الوقت لأربعة من المجتهدين فقط «الفتوىٰ» لمنع الاختلاف ظاهراً ومنع الآخرين من الإفتاء، وهؤلاء المجتهدون الأربعة هم أئمة أهل السنة الذين ذكرناهم وانظروا التفصيل في المجلد الثاني من كتاب (الشيعة تسأل).

ويُعرف أتباع هؤلاء المجتهدين الأربعة بأسماء فقيههم لحدّ الآن وهم: الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي. وعلماء السنة اليوم يجيبون عن المسائل طبقاً لفتاوىٰ أحد هؤلاء الأئمة.

وأما الشيعة الإمامية في هذا العصر:

فإنهم على قسمين بعضهم يقول: يجب أن نسعىٰ لفهم المسائل والإجابة عن الأسئلة على أساس «النص الصريح» عن الأئمة المعصومين (ع) لا غير. ولا يجوز لنا الإفتاء، وإن الإجتهاد والفتوىٰ في مقابل «النص» خطأ، ويسمىٰ هذا القسم (بالاخبارية) في مقابل (الأصوليين) القائلين بالاجتهاد والفتوىٰ والتقليد.

ومن بقايا «الإخباريين» جماعات متناثرة في الاحساء والقطيف والبحرين والدمّام ونقاط أخرىٰ. ويتواجدون في إيران أيضاً، وبخاصة في كرمان[1]، ولا تتسع هذه المقالة المختصرة للبحث في هذه المسألة[2]. ومع الالتفات إلى اعتقاد هؤلاء واحترامهم للأئمة الهداة المهديين صلوات الله عليهم أجمعين، والقدسية والعظمة التي يبدونها في حق هذه الذوات المقدّسة المعصومة، وهو صحيح ومناسب وحقٌّ، ولكن يبقىٰ جواب هذا السؤال غامضاً (عند عدم قبول أصل الاجتهاد) وهو:

ماذا نفعل في المسائل المستحدثة:

أي التي لم تكن في زمن الأئمة المعصومين (ع) أمثال (السفر الجوّي، حقن الدم من جسم إنسان إلى آخر، أو من حيوان لآخر، أو مسائل مالية أمثال الضمانات الكبيرة والصغيرة، والمسائل المصرفية وأمثالها المتزايدة كل يوم التي لا يوجد نص صريح وحديث واضح بشأنها).

ما هو جواب مسائل كهذه وأين يوجد؟

وبالأخذ بنظر الاعتبار هذه الحقائق فقد ثبت «أصل الاجتهاد»

---

(١) إن لهم في كرمان مدرسة خاصة ومسجداً ومكتبة ومن بقايا كبارهم الآن (عبد الرضا الإبراهيمي).

(٢) لمعرفة هؤلاء الذين يدعون في إيران (الشيخية) راجعوا:
إرشاد العوام، وشرح الزيارة للشيخ أحمد الاحسائي، والمبين مجلّدين كبيرين في أحاديث «المبدأ» و«المعاد» ترجمة حياة النفس ـ للشيخ الإحسائي ـ ومصباح السالكين للحاج محمد خان الكرماني، ورجوم الشياطين، والاجتهاد والتقليد عن أبي القاسم بن زين العابدين ـ ورسالة في شرح حديث (إنوِ عند افتتاح الصلاة ذكر الله وذكر الرسول و...) عن الحاج زين العابدين، ومصباح السالكين ـ لمحمد بن محمد كريم ـ بالفارسية ـ ومذهب الشيخية من الحكمة الإلهية، عن هنري كربن، فارسي بمقدمة فرنسية ـ وتذكرة المحبين ـ للشيخ علي البحراني ـ بالفارسية.
والرسالة الفلسفية في جواب الأسئلة ـ بالفارسية، وأخيراً صداقة الأصدقاء عن عبد الرضا الإبراهيمي ـ ورسالة الألفباء وهداية الصبيان، وعلى رأس هذه الكتب في الحديث (المبين في مجلدين) وإرشاد العوام.
ولهم كتب أخرى غير هذه مثل (شرح دعاء الندبة).

واستُعمل في الحوزات العلمية للشيعة، وبُذل الجهد ويُبذل لتعليم وتعلُّم العلوم الدينية، وأخذت الحوزات تربي الشخصيات العلمية والدينية والروحية والفكرية والعقائدية، والفلسفية، والكلامية، والأخلاقية، والحديثية والتفسيرية والأصولية والأدبية. وقد يجتمع عدد من هذه الصفات أو أكثرها في شخصية واحدة.

نأمل بعد هذه النهضة الإسلامية الأخيرة، أن تنمو الاستعدادات الكامنة والمهملة وتولد شخصيات علمية جامعة أمثال الشخصيات العلمية القديمة كالشيخ المفيد، والسيد المرتضىٰ، والرضي، والشيخ الطوسي، والخواجة نصير الدين، والعلامة الحلي والشيخ البهائي والمجلسي وأبي ريحان البيروني، وأبي حاتم الرازي، رحمة الله عليهم، ويا أسفا علىٰ المرحوم العلامة الطباطبائي صاحب الميزان رحمة الله عليه.

طهران ٢٧/ ربيع الثاني/ ١٤٠٢هـ

محب الإسلام

الفصل الخامس

الإنتظار أفضل عبادة

تأليف: السيد عبد الله الفاطمي

يتعرض الإنسان إلى مجموعة من الانفعالات الداخلية والباطنية: كالخوف والفرح، والحزن وأمثالها. ولهذه الحالات أسباب وشروط لو توفرت سببت تعرض الإنسان قهراً لتلك الحالات والانفعالات، وما دامت تلك الأسباب باقية، فلن تزول تلك الحالات، ومن الواضح أنه لا يصح أمرُ فرد أو نهيه أو مدحه وتمجيده بالنسبة لأمور ليست واقعة تحت إرادته.

ومن تلك الحالات المذكورة حال «الانتظار» فلو قال لنا شخص: سآتي اليوم إلى بيتكم ظهراً، فبسبب هذا الكلام ستحدث عندنا حالة الانتظار، شئنا أم أبينا. أو إذا قيل لأهل مدينة أو دولة: ستحدث اليوم في هذا البلد حادثة مهمة، فستحدث حالة الانتظار قطعاً لدىٰ الجميع، وتكون حالة الانتظار مقترنة باليقين عند الذين يصدّقون هذا القول وتحدث للذين لم يصدّقوا ذلك الكلام حالة الانتظار يرافقها الشك، أو على الأقل تحصل أدنىٰ مراتب الانتظار، وبالتالي تحصل لديهم «ماهية الانتظار».

وهنا سؤال يطرح نفسه وبالإجابة عنه يتضح الموضوع الأصلي.

قلنا: إن الانتظار من الحالات التي تعرض الإنسان قهراً، إذا حصلت شروطه فهو أمر خارج عن الاختيار، فلا يمكن مدح الإنسان وتمجيده بسبب حصول الانتظار لديه، فلماذ يُذكر الانتظار بوصفه أفضل العبادات؟

والجواب عن هذا السؤال هو:

أولاً: ان عروض تلك الحالات عند تواجد الشروط، خارج عن

اختيار الإنسان ولم نَقُل إن إيجاد شروطها تماماً خارج عن الاختيار، وكثيراً ما يوجد الإنسان بنفسه أسبابَ الخوف أو الفرح أو الحزن، ولو لاحظنا في هذه الموارد مَدحاً أوْ ذماً أو أمراً أو نهياً فهو بالنسبة لمقدمات تلك الحالات لا لها نفسها.

وهكذا المدح أو الفضيلة التي ذكرت للانتظار، فهو موجّه لمقدمات الانتظار، وبعبارة أخرىٰ: إن الانتظار الذي اعتبر أفضل عبادة، هو الانتظار الذي حصل عليه صاحبه بالمطالعة والدقة وبذل الجهد والسعي، وليس مطلق الانتظار، وأفضل دليل على صحة هذا الادعاء هو قول الإمام سيد الساجدين علي بن الحسين (ع):

إن أهل زمانه القائلين بإمامته المنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان؛ لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله (ص) بالسيف[1].

نرىٰ في هذا الحديث بوضوح من هو المنتظِر، وما هو الانتظار الممدوح؟

والجدير بالذكر هو أنه لا تقليد في أصول الدين، إنما التقليد في فروعه، وإن مسألة الامامة ومعرفة الإمام هي من أصول الدين[2]. وليست مسألة الانتظار أمراً منفصلاً عن بحث الإمامة ومعرفة الإمام، وكما يقول العلماء: يجب على كل فرد أن يعرف أصول دينه عن طريق الاستدلال والاستنباط (كلٌّ بقدر استعداده ومعلوماته)، فيجب أن يكون الانتظار على أساس الاستنباط والبصيرة.

---

(١) سفينة البحار: ٢/ ٥٩٦.

(٢) لو قيل: إن الإمامة من أصول المذهب، وأنتم تقولون هي من أصول الدين فنقول في الجواب: إن هذا التقسيم تحت عنوان «أصول الدين وأصول المذهب» ليس بمعنىٰ أن الإمامة ليست من أصول الدين، وذلك المصطلح عنوان لبحث آخر لا مجال لبيانه هنا، ففي الآية الشريفة ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ المقصود من إكمال الدين هو الإمامة، فالمكمِّل للدين كيف لا يكون من أصوله؟!

ثانياً: المراد من الانتظار الممدوح هو الانتظار الذي اهتمّ به صاحبه وبعبارة أخرىٰ: اتخذ لنفسه حالة المنتظِر، قلنا في المقدمة: لو قال لنا شخص: سآتي اليوم إلى بيتكم ظهراً فستحدث عندنا حالة الانتظار قهراً، بسبب ذلك القول، ولكن في أية حالة يُطلق علينا ويصدق علينا اسم المنتظِر؟، عندما نترك البيت ونتابع أعمالنا، أو عندما نرتّب البيت ونحضّر الأدوات اللازمة، وننتظر الضيف؟

إن لمنتظِر الإمام (ع) الحقيقي علامات وميّزات تميزه عن الآخرين، إن المنتظِر الحقيقي يجعل سلوكه وقوله وكل حركاته وسكناته وفقاً لرضا محبوبه وإمامه، ويسعىٰ دائماً وبقدر الإمكان لتحصيل رضاه (ع)، ويجتنب أسباب غضبه.

إن المنتظِر الحقيقي يعيش في حالة المراقبة والمحاسبة والعشق والحماس، ويسعىٰ لنشر تعاليم الإسلام وبث أنوار الولاية وتنوير الأفكار وإعدادها لظهور المنتظَر ـ أرواحنا فداه ـ.

إن المنتظِر يعلم أن أعمالنا تُعرض على الإمام (ع) دائماً، وإنّ له وظائف خاصة عديدة. والذي يطلب التفصيل يراجع الكتب المختصة بهذه البحوث.

والأمر المهم المستفاد من بعض الأخبار والأحاديث هو أن المنتظِر يشَبَّه بمؤمني صدر الإسلام الذين حاربوا تحت لواء صاحب الشريعة، ولهذا التشبيه أسباب وجوانب يعلمها الله تعالىٰ، ونحن نشير إلىٰ سببين احتماليين منها:

أ ـ إن المؤمنين في صدر الإسلام كانوا يَرَون الرسول (ص) بأعينهم، وفي حديث الإمام سيد الساجدين (ع) يصف المؤمنين في عصر الغيبة والمنتظِرين بأنهم بسبب استخدامهم لعقولهم وأفهامهم أصبحوا بمنزلة ومقامٍ وكأنهم يَرون الإمام بأعينهم.

ب ـ كان للمؤمنين في صدر الإسلام موقع مؤثر كبير في نشر الدين الإلهي واستقرار الإسلام في الأرض بجهودهم وتضحياتهم؛ فإن منتظِري

المهدي (ع) في زمن غربة الإسلام وكون الدنيا تشبه من حيث كثرة الذنوب والمعاصي والظلم وازدياد الأعداء وضعها في صدر الإسلام، فإن المنتظِرين سيضحّون بأنفسهم تحت لواء إمامهم لاستقرار الإسلام في العالم مرة ثانية.

والأمر الآخر الجدير بالذكر هو: كما شُبّه المنتظِر بالمؤمن المجاهد في صدر الإسلام في الأحاديث، ففي المقابل شُبّه غير المنتظِر بأهل الجاهلية، يقول الرسول الأكرم (ص):

مَن مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية[1].

لا نقاش في التشبيه والتمثيل، ولا يجب أن يتساوىٰ المشبَّه والمشبَّه به في كل الخصائص، إذ لا ننسىٰ حديث الإمام علي بن الحسين (ع) الذي يقول عن منتظِري المهدي (ع): بأنهم أفضل أهل كل زمان.

سلام من الله نحو جنابه فإن سلامي لا يليق ببابه

---

(١) سفينة البحار: ٢/ ١٨١.

الفصل السادس

إعداد الأرضية
لحكومة المهدي (عج) العالمية

تأليف: محمد المحمدي الاشتهاردي

لا تصل كل ثورة إلى هدفها حتىٰ تُعدّ الأرضية لها من قبل، في مختلف الأبعاد. ولا تنال كل نهضة وثورة الانتصار بدون المقدمات وإعداد الأرضية.

ولا تستثنىٰ نهضة المهدي القائم (أرواحنا فداه) العالمية، وهي أهمّ وأوسع وأعمق الثورات العالمية من هذا القانون، بل بسبب عالميتها وعمقها يجب بطريق أولىٰ إعداد الأرضية لها.

المفهوم الحقيقي (للانتظار) الذي اعتُبر أفضل الأعمال في رواياتنا[1]، وشبه بالجهاد مع رسول الله (ص)[2]، هو إعداد الأرضية والاستعداد.

وإلاّ فالانتظار وحده، أي الأمل الذهني دون ظهور آثاره في المجتمع، لا يعتبر أبداً من أفضل الأعمال، ولا يكون بمنزلة المحاربة وحمل السيف مع رسول الله (ص)، كما أن مفهوم كلمة (العمل) والمحاربة تحت لواء الرسول (ص) تعني الحضور في الميدان والعمل والسعي والاستعداد العيني وليس مجرّد النية بدون العمل، أو الأمل الذهني دون الآثار العملية.

---

(١) أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج (علي (ع) منتخب الأثر).

(٢) ... كمن قارع مع رسول الله بسيفه (البحار ج ١٣).

الانتظار بمعنىٰ بُعد النظر ومشاهدة المستقبل، وبمعنىٰ عدم الرضا بالوضع الموجود، بل توقع مستقبل أفضل، كالمريض الذي ينتظر الصحة والسلامة، أي يأمل بالخلاص من الوضع الفعلي، ليصل إلى وضع أفضل، ومن الواضح أن هكذا تغيير وتحوّل يحتاج إلى الاستعداد.

كان الاستعداد ضرورياً لثورات الأنبياء أيضاً، وكانوا يحققون النصر عندما يهيئون أرضية العمل في كل الأبعاد، وإلاّ فإن ثورتهم تخفق في منتصف الطريق.

وبما أن ثورة المهدي (عج) عالمية وطويلة المدىٰ، وفي مختلف الجوانب، وتتمثل فيها كلّ ثورات الموحّدين والأنبياء على طول التاريخ، وهي الهدف النهائي للثورات البشرية المقدسة، لذا فإنها تحتاج حتماً إلى الاستعداد، وتهيئة الأرضية بشكل أعمق وأوسع، وبعبارة أوضح: عندما نقرأ في الروايات الإسلامية: أنّ حكومة إمام العصر يصل فيها العلم والصناعة والعدالة والأخلاق والفكر، والاقتصاد إلى قمته وأقصاه، وتستقرّ في ذلك العصر أفضل مدنية بشرية فمن الواضح أن حكومة كهذه تحتاج إلى استعداد واسع وعميق ودائم في هذه الجوانب؛ لأنها لا تقوم على أساس الإعجاز بل هي كثورات الأنبياء تقوم على أساس الفكر والعمل وسعي الناس وبذلهم الجهود في كل المجالات، كما كانت ثورات البشر على طول التاريخ، قائمة على هذا الأساس.

عندما نقرأ في الروايات: قال الإمام الصادق (ع): للعلم سبع وعشرون شعبة، كلُّ ما وصلنا من الأنبياء لا يزيد على شعبتين، وعندما يظهر القائم (عج) يكمل الشعبتين إلىٰ سبع وعشرين شعبة»[1].

نستنتج أن انقلاباً عميقاً وشاملاً كهذا يحتاج إلى استعداد عميق وشامل أيضاً أوسعُ بكثير من الاستعداد للانقلابات والثورات الأخرىٰ.

---

(١) البحار ط القديمة، ج ١٣، ص ١٨٧.

جواب عن سؤال:

وهنا سؤال، وهو أنه بحسب الروايات يظهر إمام العصر (ع) عندما يمتلىء العالم ظلماً وفساداً، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وليس هذا الأمر استعداداً، بل هو بالعكس على خلاف ثورة المهدي (عج)؟!

والجواب: **أولاً** ـ أن هذا الأمر (امتلاء العالم بالظلم والفساد) هو نوع من الاستعداد وتهيئة الأرضية؛ لأن النوع البشري لا يرتضي هذا الظلم والفساد ويؤدي به إلى الغضب ويدفعه للثورة، وذلك يوجِد أرضية فكرية ومعنوية.

ثانياً: لا يتنافىٰ وجود أتباع للإمام المهدي (عج) يعدّون الأرضية لثورته إلىٰ جانب هذا الظلم والفساد العالمي. فحينما ينشغل مخالفو الثورة بالفساد والظلم، ويغفلون عن كلّ شيء، يستفيد المسلمون الأحرار من الفرصة ويزيدون من استعدادهم الإيجابي، ويُشعلون العالم فجأة، وهو الذي يصبح ناراً تحت الرماد لصالح الثورة، كما شاهدنا نموذجاً مصغراً لذلك في إيران الإسلامية في ٢٢ بهمن عام ١٣٥٧ شمسية. وبما أنّ ثورة المهدي (عج) العالمية عميقة وشاملة جداً، فقد تحتاج إلى استعداد (وبالأخص الاستعداد الفكري والثقافي) أوسع وأكبر في كل العالم.

عشرة عوامل مهمة للاستعداد:

بما أنّ ثورة المهدي (عج) هي الثورة الإسلامية على أثر أعلىٰ وأعمق مستوى، وبما أن هذه الثورة مكملة لثورة نبي الإسلام (ص)، وهي نفس ثورة النبي (ص) كما تقول الروايات ولكن في مستوى أوسع، فإننا نشير إلىٰ عشرة عوامل كان لها الأثر العظيم في ثورة الإسلام بقيادة النبي (ص) للاستعداد للحكومة الإسلامية. حتىٰ نعدَّ الأرضيّة لثورة المهدي (عج) باتباع

---

(١) يقول أحد أصحاب الإمام الصادق (ع): سألت الإمام (ع): ما هي طريقة الإمام المهدي (عج)؟ قال: يصنع ما صنع رسول الله، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله (ص) أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً. (البحار، ج ٥٢، ص ٣٥٢، الطبعة الجديدة).

هذه العوامل في أبعاد مختلفة وعالمية، ونحقق مفهوم «الانتظار» الحقيقي الواقعي.

١ ـ جاذبية القرآن وحقانية الإسلام:

جاء في الأمثال: «في النهاية تشقّ الحقيقة طريقها» وبالاعتماد على حقائق القرآن والإسلام الوضّاءة والمحكمة والمنطقية، هذا المذهب الحيّ والغنيّ والبنّاء،، الذي هو أحد عوامل الانتصار، في صدر الإسلام، فقد كان للأمانة والواقعية وموافقة أوامر الإسلام للعقل والوجدان والإنسانية ومحاربة الإسلام لكل أنواع الفساد والفقر والظلم، كان لذلك جاذبية قوية تجذب الناس نحوها لاإرادياً، وقد حقق الرسول (ص) بهذا الطريق انتصارات عظيمة، حتىٰ أنّ ألدّ أعداء الإسلام كالوليد بن المغيرة عندما سمع عدة آيات من القرآن تتحدث عن قوانين الإسلام عاد إلىٰ مجلس إقامة قبيلته كالمجنون وقال: والله سمعت من محمد آنفاً كلاماً لا يشبه كلام الإنس ولا كلام الجن، «وإنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطراوة وإن أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يُعلىٰ عليه»[1].

فالاعتماد على هذا المذهب المحكم اليوم، ومقارنته العلمية والمنطقية بسائر المذاهب والأديان، يكون من الناحية المعنوية أكبر عامل للحركة والاستعداد لحكومة العدل العالمية، ويكفي وحده لتحقيق حاجات الإنسان المادية والمعنوية.

وحقاً لو استُخدم القرآن بثورة ثقافية في الجامعات ووصلت حقائق الإسلام الوضّاءة إلى الناس لحصل أكبر استعداد وأقواه لحكومة المهدي (عج) العالمية.

٢ ـ العلم والتفكير والعمل بهما:

مما لا نشك فيه أنّ العلم أدّىٰ إلى تيسير وتسهيل كثير من الأعمال،

---

(١) نور الثقلين ج ٣،، ص ٨٧.

وتقريب كثير من الطرق، وحلّ كثير من التعقيدات في المجالات المختلفة، وقد يُطوىٰ طريق مائة عام في ليلة واحدة بواسطة العلم والمعرفة، وأحد الطرق الثابتة للاستعداد لحكومة الإسلام العالمية بقيادة المهدي (عج) هو تحصيل العلم والمعرفة واستخدامهما عملياً في الأعمال الإيجابية العادلة.

وقد أكّد الإسلام ذلك كثيراً، انظروا إلى قول الرسول (ص) والإمام علي (ع):

قال النبي (ص): «لكلّ شيء دعامة ودعامة هذا الدّين الفقه، والفقيه الواحد أشد على الشيطان من ألف عابد»[1].

وقال علي (ع): «قوام الدين والدنيا بأربعة عالم مستعملٌ لعلمه»[2].

لذا يجب على كل المسلمين أن يبذلوا الجهد في تحصيل العلم واستعماله عملياً في المجتمع، وبذلك يعدّون الأرضية الفكرية والعلمية في كل المجالات لحكومة المهدي (عج) العالمية.

٣ ـ الاستقامة والثبات والشجاعة:

من عوامل انتصار المسلمين في صدر الإسلام على العواصف والحوادث، الاستقامة والثبات والقدرة. ونحن بحاجة الآن إلى الصبر والثبات لتحقيق النصر في إكمال مسيرة الإسلام علىٰ يد المهدي المنتظر (عج).

ما أكثر نماذج صبر المسلمين واستقامتهم في صدر تاريخ الإسلام، وتتضح معنوياتهم العالية في الحروب الإسلامية جيداً، فكانوا يدحضون أكبر عدد من أعدائهم بأقلّ المقاتلين وأبسط الأجهزة والمعدّات الحربية.

ومن أمثلة ذلك جعفر الطيار أخو الإمام علي (ع) في حرب مؤتة (الحرب مع الروم). فرغم أنّ يديه قطعتا، وحدث في جسمه ٩٠ جرحاً، لكنه بقي يحمل الراية بيديه المقطوعتين ويحارب[3].

---

(١) نهج الفصاحة الحديث ٩٠.

(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار رقم ٣٦٤.

(٣) البحار، الطبعة القديمة ج ٦.

كرر القرآن المجيد الحديث عن الصبر والاستقامة ١٠٤ مرات، وقال في سورة آل عمران، الآية (٢٠٠):

﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

ومن البديهي أن تطبيق هذه الأوامر ضروري للاستعداد لحكومة عالمية.

٤ ـ الزهد ومراعاة الأخلاق والحقوق:

كان أهم العوامل في نشر الإسلام الزهد والالتزام بالأخلاق الحسنة من قبل المسلمين في تعاملهم في مختلف جوانب الحياة، ومراعاة الحقوق المالية والنفسية والعرضية التي لها أكبر الأثر في جذب الآخرين والنفوذ في قلوبهم.

إن أخلاق النبي (ص) والأئمة (ع) الحسنة وأخلاق تلامذتهم، جذبت كثيراً من العصاة إلى أحضان الإسلام المليئة بالعطف والصفاء والرحمة، وقوّت بذلك الإسلام والمسلمين.

يصف أمير المؤمنين (ع) النبي (ص) ويقول:

«فتأسَّ بنبيّك الأطيب الأطهر (ص) قَضَم الدنيا قضما ولم يُعِرها طَرْفا، أهضَمُ أهل الدنيا كشحا، وأَخمصُهُم من الدنيا بطنا، ولقد كان (ص) يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعلَه، ويرقعُ بيده ثوبه، ويركب الحمارَ العاري، ويُردفُ خلفه، ويكون السّتر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: «يا فلانة ـ لإحدىٰ أزواجه ـ غيّبيه عني، فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفَها»...

والله لقد رقَّعتُ مِدْرعتي هذه حتىٰ استحييتُ من راقعها. ولقد قال لي قائل: ألا تنبذُها عنك؟ فقلت: أغرُب عنّي، فعند الصباح يحمدُ القومُ السُّرىٰ»[1].

---

(١) مقاطع من الخطبة ١٥٩ ـ نهج البلاغة.

وحقاً لو تُراعىٰ كل الأخلاق الإسلامية. لتحقق أفضل استعداد معنوي لظهور ولي العصر (عج).

٥ ـ الإيمان والتوكّل على الله:

المعنويات العالية واطمئنان القلب والاعتماد على النفس من العوامل البنّاءة والدافعة والمحرّكة والمزيلة للموانع المعيقة للتقدم، ولا تتحقق معنويات كهذه واطمئنان وثبات للقلب إلاّ في ظل الإيمان بالله والتوكّل عليه، وإن الدعاء والمناجاة والصلاة والصوم من المقويات لهذا الإيمان والتوكّل.

بعد فتح مكة على يد الجيش الإسلامي بقيادة الرسول الأعظم (ص)، كان أبو سفيان يراقب جيش الإسلام القوي ويقول: ليت شعري بماذا غلبني؟

وضع الرسول (ص) يده على كتفه وقال: بالله غلبتك.

أجل، إن الإيمان والتوكّل على الله، يصنع الوحدة والانسجام والمعنويات العالية الثابتة ويصنع الممكن من المستحيل، وينصر القبضة على المدرّعات ويمكن القول: إن أثر الإيمان والتوكّل في الحروب أكثر بكثير من أثر المعدات الحربية والأجهزة والوسائل.

وعلينا أيضاً أن نتقدّم بظل الإيمان والتوكّل على الله، ونعدّ العدة فكراً وعملاً لمستقبل زاهر، كما نال مسلمو صدر الإسلام الانتصارات الإعجازية في ضوء الإيمان والتوكّل.

٦ ـ التعاون:

التعاون الاقتصادي والاجتماعي، على أساس الأخوة الإسلامية وحل المشاكل الاجتماعية، وتأسيس دوائر لهذا الأمر، أمر مهم بنفسه لإيجاد الانسجام والترابط الوثيق، ومعدٌّ لمستقبل زاهر، وله أثر اجتماعي كبير في تحقق الأهداف السامية.

قال الإمام الصادق (ع): «مَثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل

الجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الأعضاء بالسَّهَر والحمىٰ».

فلو كان هذا الشعور سائداً في مجتمعنا حقاً، لنال تقدّماً كبيراً في الجوانب المختلفة.

٧ ـ تعامل الناس مع بعضهم والأساليب المنطقية بينهم:

كان النبي (ص) يناظر ويباحث الفِرق غير الإسلامية المختلفة على أساس العلم والمنطق.

وقد ربّىٰ الإمام الصادق (ع) أربعة آلاف تلميذ في الفروع المختلفة، وكان يناظر الملحدين بنفسه.

وكان لهذه البحوث والمناظرات أثر كبير في نشر الإسلام واتساعه، نقرأ في القرآن في سورة النحل الآية (١٢٥): **﴿ادعُ إلىٰ سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن﴾**[1].

(الحكمة) هي الأساليب الاستدلالية والمنطقية.

(الموعظة الحسنة) عبارة عن المواعظ والنصائح التي لها جانب عاطفي.

(المجادلة الحسنة) المناظرة والمباحثة المتقابلة على أساس الاتصاف وحسن النية.

قال علي (ع): حضر أتباع خمسة أديان مختلفة عند النبي (ص) للبحث والمذاكرة، وبدأوا بالمناظرة، وتقدمت جماعة اليهود ثم المسيح ثم الماديين ثم الثنوية ثم المشركين، أصغىٰ النبي (ص) بوقار إلىٰ كلامهم، ثم أجابهم، ولم تمض أكثر من ثلاثة أيام على هذه المناظرة، حتىٰ اقتنعت الجماعات الخمس وأعلنت إسلامها، وقالوا في الختام: «ما رأينا مثل حجتك يا محمد نشهد أنّك رسول الله»[2].

---

(١) سورة النحل: آية ١٢٥.

(٢) جاء تفصيل هذه المناظرات في كتاب الاحتجاج للطبرسي ج ١، ص ١٦ ـ ٢٤.

نعم لو واجهنا المثقفين والمتعلمين غير الإسلاميين بهذه الأساليب، لانتشر الإسلام أكثر فأكثر.

٨ ـ الاهتمام بالطبقة المستضعفة:

إن الثوارت ـ بنحو عام ـ تنتصر على يد المستضعفين؛ لأن المستكبرين والرأسماليين راضون بوضعهم وهم يناؤون الثورة.

لم يذكر الإسلام المستكبرين والطغاة بخير أبداً، وقد كان حماة الإسلام منذ البداية هم أفراد مستضعفون أمثال بلال، وسلمان، وجويبر، والخباب، وعمار، وياسر وسمية الخ.

اهتم الرسول (ص) بهذه الجماعة اهتماماً خاصاً، حتىٰ أنه صرف كلّ أموال زوجته خديجة في هذه السبيل، وكان يعيش مع المستضعفين ومثلهم.

وعلى أية حال، فالاهتمام بالمستضعفين، وقضاء حاجاتهم، واستقرار العدالة الاجتماعية، والوقوف ضد الاستعمار والاستغلال. هو عامل آخر من عوامل الاستعداد لحكومة أمل المستضعفين المهدي الموعود (عج).

وها أنا ذا أكتب هذه الأسطر والأخبار تقول: يقول الإمام الخميني (مد ظله):

«أنا لا أعطي شعرة واحدة من سكّان المنخفضات والبدو مقابل كلّ الملوك وسكّان القصور».

٩ ـ إتّحاد المسلمين وانسجامهم:

مما لا شك فيه أن (للاتحاد) أثراً كبيراً ومُعجِزاً في تحقيق الأهداف، إنّ الجمع والاتّحاد يضاعف القدرة مئات بل آلاف الأضعاف. مَثَلُ الاتحاد كالسدّ العظيم الذي يعتبر مبدأً لكثير من القوىٰ الصناعية وسقي الأراضي الواسعة، وإضاءة مدن كثيرة. إنّ تحقيق قوة كهذه هو نتيجة إتحاد قوى بسيطة وضعيفة واجتماع قطرات المطر.

قال النبي (ص): «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا»[1].

والآن لو اتّحد المسلمون وانسجموا مع بعضهم حول محور الإسلام، لأصبحوا كالبحر الخضم، الذي يثبت مقابل العواصف العنيفة.

إن لاتحاد المسلمين وانسجامهم أثراً كبيراً وأساسيّاً في الاستعداد لظهور المهدي (عج) وتشكيل حكومته العالمية، وعلى المسلمين الابتعاد عن كل الاختلافات الجانبية والوقوف بوجه العدو المشترك بالاتحاد والوحدة والتوافق ليعبّدوا الطريق لظهور المصلح لكلّ العالم.

١٠ ـ القائد الصالح:

اهتم الاسلام (بالولاية) كثيراً وأكّد أنها لو لم تكن لم يكن أيّ شيء، بل يجب أن تكون كلّ برامج الإسلام ومخططاته تحت ظلّ الولاية. وبعبارة أخرىٰ لا يدور محور الثورة إلاّ بواسطة الولاية فهي علم الطريق وزعيم الأمّة، ويحرّك كل الفرق الإسلامية في خط واحد.

الولاية تعني الحكومة وتولّي أمور الناس الدينية والدنيوية، وهي مقام عظيمُ المسؤولية ولا يتعهّده إلاّ الصالحون والمتكاملون من الناس.

كما كان في صدر الإسلام أثرٌ كبير لمواعظ القائد والإمام الصالح في التقدم والتطور، فيجب أن يُحفظ هذا الخط اليوم أيضاً في طريق انتظار ظهور المهدي (عج) والاستعداد لحكومته العالمية؛ ليعرف المسلمون طريق الاستعداد الصحيح في نظام وانسجام خاص، وفي ظل إرشاد القائد الصالح، الذي يعبّر عنه اليوم (بولاية الفقيه). وبعبارة أوضح: إن النائب والمعاون الحق للمهديّ (عج) هو أقرب وأعلم بسيرة وطريقة المهدي (عج) حتماً وقد تكون إرشاداته وولايته أقرب أسلوب وأفضله للوصول إلى حكومة إمام العصر والزمان (عج) مع الالتفات إلى أن أداء تكليفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يُخرج الإنسان عن حالة اللامبالاة ويحرّضه للحضور الفعّال في الساحة.

---

(١) تفسير أبو الفتوح، ج ٢ ص ٤٥٠.

وعلى أمل العمل بهذه العوامل الأساسية، يمكننا التقدّم كمسلمي صدر الإسلام، لنهيىء العالم لاستقبال حكومة المهدي (عج) العالمية، وهذا يعني استمرار الثورة، ونهايته هي المستقبل الزاهر، وارتفاع راية (لا إله إلا الله) في كل ربوع العالم، وهذا الأمل بالمستقبل الزاهر (لا المبهم ولا المُظلم) هو العامل الباطني، وهو الانتظار الذي يجب أن يختلط بالعلم والعمل، ويصل إلى نتيجة واقعية.

الفصل السابع

معرفة المهدي (عج)
من وجهة نظر القرآن والسنّة

تأليف: السيد حسن سعيد

«اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني».

الحديث عن باسط العدل العالمي ابن النبي الأكرم، منتظَر عالم الخلقة ومنفّذ مخططات الأنبياء وموصل المجتمع البشري إلى الهدف النهائي، وموجِدُ حكومة العدل في جميع أنحاء المعمورة، وقاطع دابر الظالمين والمستكبرين، الحجة ابن الحسن المهدي روحي له الفداء، الحديث عنه طويل، كُتبت بشأنه كتبٌ كثيرة ومختلفة الأبعاد، والحديث عنه يتجدد كلّ يوم، وإن الأعداء الذين يستفيدون من الأوضاع المتدهورة في العالم، ومن ضعف الناس وغفلتهم عن حقائق العالم، يذكرون كلاماً بعيداً عن الحقيقة وخادعاً يريدون بذلك إبعاد الناس عن مذهب أهل البيت (ع). ويجرونهم إلى كل فساد يحرفهم عن الصراط، كي لا يفكّر أحدٌ بالإصلاح، ولا يتّبع ما عيّنه الله له وما يوصله إلى الكمال.

وفي شروط كهذه يجب على كل مَن يريد مصلحة المجتمع البشري ويأمل بإصلاحه ويتألّم من ظلم أعداء الإنسانية ومكرهم، أن يسعىٰ بعزيمة لا تقبل الكلل، ويصنع لمعرفة المهدي (عج) بناءً محكماً وأُصولاً ثابتة، ويقدّمه للناس، ليلجأ الناس إليه، ويتخلصوا من ظلم الظالمين والجهل المحيط بهم، ويصلوا إلىٰ الحياة الإنسانية الحقة.

منذ أن عرف الإنسان نفسه، أخذ يتجه اتجاهين، فقد اهتم قسم من

الناس بالمادة وكانت معرفتهم بالعالم مادية والقسم الآخر ارتفع عن ذلك، وأدرك أن وراء العالم وجوداً مجرداً عن المادة، لا يمكن للجسم المادي بكل طاقاته أن يعبر عتبة ذلك الوجود، وينفذ إليه وهؤلاء هم الإلٰهيون الذين ينظرون إلى العالم بنظرة إلهية ويرون ما خلق الله تعالىٰ ويحققون حوله من حيث الخالق الواحد القادر الحكيم العالم ويحددون طريقة حياتهم في الكون بالاستعانة بالله تعالىٰ، ويعتبرون ما أرسله من برامج بواسطة رُسُله للبشر هو أفضل طريق وأسلوب لحياتهم المادية والمعنوية، ولا يخضعون لأحد سواه، ولا يرتضون مذهباً غير دينه، ويعدّون الطريق الوحيد لتحقيق هدف الإنسانية السامي هو تطبيق وتنفيذ الأوامر الإلهية.

والجدير بالذكر أن المجتمع البشري بُني على هذين الأصلين، وقرر أسلوب حياته على أساسهما، لكنه أصيب بالخطأ والاشتباه على مرّ الزمن، وواجه مشاكل كثيرة في تطبيق سلوكه على ما يعتقده، وقد طال الحديث عن ذلك كثيراً، والمقصود هو أن جذور كل الأفكار والعقائد تعتمد على هذين الأصلين.

وحديثنا هنا مع الذين قبلوا منطق الوحي، وصَدّقوا بخالق الكون، وآمنوا بربّ الخلق الذي يفيض منه الوجود، ويحتاجه العالم كله، وهو الغني المطلق، ولإكمال عالم الكون خلق إنساناً مختاراً وحرّاً ليمكنه الاستمرار في حياته بإرادته، والاستعانة بالله تعالىٰ، ويجعل الكون ساحة لعمله وفعالياته، هذه الجماعة الموحّدة انحازت إلى مدرسة الأنبياء والرُسُل وهم يطبقون التعليمات الإلهية واحدة تلو الأخرىٰ، حتىٰ يصلوا إلى تطبيق متكامل للإسلام، ويتزعّم النبي الأكرم (ص) هذه المدرسة الهادية للإنسان بأمر من الله جلّ جلاله، فيستلم الأمر الإلهي ويعطيه للناس دون تغيير أو تحريف، والجماعة التي قبلت هذا المذهب يُدعون بالمسلمين، وسُمي هذا الدين في القرآن بالإسلام:

﴿إنّ الدّين عند الله الإسلام﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

والذين يؤمنون بالله ويصدّقون أن القرآن كتاب الله ودستور الحياة، ويؤمنون بالنبي (ص) والوحي، يبنون كل معتقداتهم وأصولهم الدينية والفكرية على أساس كتاب الله وسنة نبيه الأكرم (ص) ويقبلون ما يؤيّده هذان الأصلان، ولا يهتمّون بالأقوال التي تطرحها العقول البشرية الناقصة، والأفكار المادية المتسلطة على عقول الناس؛ لأنهم يدركون رباً خلق العالم بقدرته، وأنزل برنامجاً لتقدم الإنسان وكماله وتطوّره.

يقول المؤمنون بنبي الإسلام: إن القرآن الكتاب السماوي أعلن للعالم بصوت عالٍ:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[1].

لذا يمكنكم بهذا البرنامج واتباع القرآن الكريم أن تصلوا إلى مقام الإنسانية الشامخ وتسخّروا عوامل الوجود، وعلى هذا الأساس يقول تعالىٰ:

﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونِ﴾[2].

إن للإسلام مستوى رفيعاً من الناحية المادية والمعنوية، وفي الأبعاد المختلفة للحياة، ولا يمكن للبشر أن يجد فيه نقصاً، ولعلّ ذلك هو السبب في توسّل الظالمين بالقوّة لمجابهة دين الله منذ البداية، واعتقال رجال الله وأوليائه في السجون ومجابهتهم بقوة الأسلحة والترهيب والترغيب، أو جرهم إلىٰ ميدان الحرب، فقضوا علىٰ حياتهم المادية للوصول إلى أهدافهم المشؤومة، ولكن لم يمكنهم أبداً رغم كل قواهم إبعاد المؤمنين عن الساحة الدينية، ولم يمكنهم تفريق الأحرار والأذكياء من حولهم، بل كلما ازداد الظلم واشتدت نار الحرب ازدادت قيمة هؤلاء وارتفع مقامهم، والتف حولهم كل المسلمين، وكلّ أحرار العالم، واهتمّوا بمخططاتهم ومنطقهم أكثر فأكثر. وإن تاريخ البشرية طوال مختلف العصور أفضل شاهد على هذه الحقيقة غير القابلة للإنكار.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.
(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

لذا فالقرآن آخر دستور متكامل وضع للبشرية، وكما يقول أمير المؤمنين (ع):

«ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحدٍ قبل القرآن من غنى»[1].

ونبي الإسلام آخر رسول إلهي يعطي للمجتمع الإنساني درس الحياة، وهذان الأصلان يثبّت أحدهما الآخر، يقول القرآن عن الرسول (ص): **﴿وما ينطق عن الهوىٰ * إن هو إلاّ وحي يوحىٰ﴾**[2]، **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[3].

لا يقول الرسول شيئاً من عنده وكل ما يقوله هو من عند الله وينقله إلى خلقه، لذا ما يأتيكم به الرسول (ص) فخذوه واحفظوه وما ينهاكم عنه فانتهوا.

ويعرّف الرسول (ص) القرآن صراحة بأنه معجزته ويقول للناس: «إذا التبست عليكم الفتن فعليكم بالقرآن»، ويقول أمير المؤمنين (ع) لأهل البصرة:

«وعليكم بكتاب الله، فإنه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والريّ الناقع، والعصمة للمتمسك، والنجاة للمتعلّق، لا يعوج فيقام، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تُخلقه كثرة الردّ وولوج السمع»[4].

ويتبيّن مما ذكرناه أن في القرآن والسنة النبوية كلَّ ما يحتاجه الإنسان، وحلَّ جميع مشاكله في مختلف أبعاد الحياة، ويمكن للإنسان مواصلة حياته المادية والمعنوية باتباع هذين الأصلين، وأكبر أصل تنتهي إليه كلّ الاختلافات في المجتمع هو الحكومة، التي يجب أن يتعيّن قائدها بأمر

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.
(٢) سورة النجم: الآيتين ٣ ـ ٤.
(٣) سورة الحشر: الآية ٧.
(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦.

الله، وهي أمل كلّ إنسان، ولا مجال لأحد في قيادتها غير رجال الله، وعلىٰ المؤمنين والمتقين تأييد هذه الحكومة، وبذل النفس لإقامتها، وإن ماتوا أو قتلوا في هذا الطريق فقد ماتوا في سبيل الحق ولهم حياة خالدة. يعلن القرآن بصراحة للمسلمين ولأحرار العالم:

﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول﴾[1].

هذا الأمر السماوي هو من أكبر معاجز القرآن يبين بوضوح أنّ الإسلام بانتظار مشكلة عظمىٰ في المستقبل، وان التسامح يؤدي لتشويه حقيقة الدين وشرعية الإسلام وإنّ عالم البشرية على أثر الأوضاع المظلمة وانطفاء ضوء الهداية لا يمكنه الوصول إلى الواقع والاستفادة من مدرسة الإسلام لصالح العالم المادي والمعنوي، إن الله سبحانه وتعالى ضمن أمره بإطاعة القرآن والرسول أكّد حكومة ولي العصر (عج)، ليعلم المؤمنون أنّ سبب تقدم وتطوّر الأمة الإسلامية هو الإمام الذي يتسنم السلطة بأمر الله، ليبيّن الأحكام، ويفصل النزاعات، ويطبق القوانين كما أنزلت من الشارع المقدس، دون تهاون أو تسامح.

وخلاصة القول: إن مذهب التشيع بالنظر العميق الذي لديه والمستمد من اتباعه أهل البيت (ع) يقرر أن خالق الكون ذا القدرة المتناهية والغنى المطلق، يجب أن يعيّن قائداً وإماماً على أساس العقل والنقل، ويعرّفه للناس، ولا بد أن يكون معصوماً، يستعمل منصبه لصالح الإسلام والمسلمين، ويحرس الدين دائماً. فبرأي الشيعة أن الإسلام اعتبر في ولي الأمر أمرين أساسيين: الأوّل العصمة، والثاني أن يكون معيناً من الله تعالىٰ، أي: يجب أن يكون الإمام معصوماً ومنصوباً.

ومن البديهي أنّ منصباً كهذا إنما يناسب من يؤيّده الله تعالىٰ ويعرّفه للناس، ولا يهتم بشيء غير تنفيذ الأوامر الإلهية، ولكن بعض الناس لا

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

يتبعون إماماً مطلقاً كهذا ولا يسيرون على خطاه، وعندما يجدون أنفسهم فاقدين للشروط المتوفرة فيه، ولا يملكون السيطرة على أنفسهم والخضوع له، يضطرون إلى إلغاء الشروط، والقيام بالثورة عليه بأشكال مختلفة، ويستفيدون من كل الإمكانات للحصول على القدرة ويبدأون بتأويل أصول الدين، ويغضّون الطرف عن الحقائق، حتىٰ أنهم يفتخرون بقتل أطهر الناس وأفضلهم ويتباهون بتغيير القوانين الإلهية، ويعتبرون يزيد هو الخليفة المنصوب من قبل الله بدلاً من الحسين (ع)[1].

اجتهد الشيعة لتأكيد هذا الأمر الإلهي بعد رحلة الرسول الأكرم (ص) ومتابعة ولي الأمر، وباعتقاد راسخ أخذت تبحث عن إمامها الذي أوجب الله طاعته وفوض تعريفه إلى القرآن ونبي الإسلام، فيجب على القرآن والرسول الأكرم (ص) تعريف خليفة الله هذا إلى الناس المؤمنين كي لا يقعوا في الخطأ والزلل.

ولحسن الحظ قام رجال الشيعة منذ البداية حتىٰ اليوم بأداء وظيفتهم الخطيرة هذه بمستوى واسع، وألّفوا كتباً حول الآيات المعرّفة للإمام بشكل كلّي وجامع، مع التفاسير الواردة عن النبي (ص) والأئمة الأطهار (ع)، وأوردوا الأحاديث التي تذكر أسماء وخصائص أئمة الدين في كتبهم، وانّ فهرست هذه الكتب يعدّ بنفسه كتاباً مفصّلاً وبحثاً طويلاً جداً. وذكر ذلك المحدثون والمتكلمون والمفسرون بشكل مفصل ومختصر، وفي مناسبات عديدة، في مختلف العصُور. وبعد غيبة الإمام الثاني عشر، إتّسع هذا البحث، وكلّما طالت الغيبة اتسع البحث وازدادت الأسئلة والأجوبة، ومن ثمّ ستؤلّف كتب ومقالات وأحاديث كثيرة وفي أبعاد مختلفة ولإثبات الأمر بغضّ النظر عن الأَدلة العقلية والنقلية يعتمدون على أقوال الماضين والعلماء المعاصرين والماديين، والجميع يثبت أن العالم يجب أن تحكمه يوماً ما حكومة عالمية تقوم على أساس العدل.

لذا فإن الشيعة وطبقاً للمسؤولية التي تقع على عاتقهم، يستفيدون من

---

(١) انظر مجلة جامعة المدينة ـ العدد ١٠، العام الأوّل.

الكتاب والسنة لتعريف الأئمة (ع) وقد عرفوا أئمتهم (ع) بالاستدلال العقلي، واتبعوهم، واتّخذوا الأسلوب نفسه وبشكل أوسع بالنسبة لإمام العصر (عج)، واستعانوا بالقرآن الكريم والسنة النبوية لمعرفة إمامهم طبقاً للدستور الإلهي.

أكّدت التحقيقات التي قام بها كبار العارفين بالقرآن أن ما يقارب خمساً وسبعين آية في القرآن ـ إضافة إلى التفاسير الواردة عن أهل البيت (ع) ـ تثبت وجود المهدي (عج) وتعد العالم بمجيئه، وأنه يحل كلَّ المشاكل، ويقيم حكومة العدل الإلهي في جميع أنحاء المعمورة، ويلقىٰ الحكام الظالمون مصيرهم المشؤوم[1].

من الآيات التي تدل على هذا الأصل الإسلامي الأصيل قوله تعالىٰ:

﴿ومَن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكَر فيها اسمه وسعىٰ في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾[2].

فسَّر السّيوطي هذه الآية الكريمة في الدرّ المنثور بأنها بشأن المهدي (عج)، وان التدقيق والتحقيق في هذا القسم من القرآن الكريم يرشد الإنسان إلى حقيقة واضحة جداً، وهي أنّ الله تعالىٰ يُلفت أنظار الناس بشكل بسيط ومنطق واضح إلىٰ أنه هيَّأ البرنامج وأَعدَّ المخطط الإنساني طبقاً للخلقة، والقرآن الكريم وهو صورة لهذه الحقيقة بيّن الأمور الاجتماعية والأخلاقية وموانع التقدم وكيفية التربية لكلا الفرقتين المادية والإلهية.

الظلم الذي يحل بعالم البشريةِ يكون على درجات مختلفة من حيث الكيفية والكمية، ولكن أساس الظلم والتعدّي في المجتمع هو قطع الطريق الموصل إلىٰ الله تعالىٰ، وعندما يبتعد الإنسان عن الله، وتكون الأرض التي يعتبرها أمير المؤمنين (ع) محل السجود إلى الله وعبادته مركزاً للعصيان

---

(١) ورد في كتاب «المحجة في ما نزل في القائم الحجة» ١٢٠ آية في هذا الباب.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٤.

والتعدي، عند ذلك يتعرض لأنواع الظلم والعصيان، ومن ثم ينتشر الظلم في العالم، ولا يتسنّىٰ لأحد الخلاص من هذا الابتلاء العام، لذا فإن أكبر وأشدّ ظلم سيشمل البشر يوماً هو الحيلولة بين الإنسان وبين الوصول إلى الله، ومنع الناس من ذكر الله، وإشغالهم بغيره تعالىٰ.

ومن البديهي أن الناس سيتمتعون يوماً بنعمة العدل على المستوىٰ العالمي ويستفيدون من المواهب الإلهية، ويعيش الجميع حياة إنسانية في ظل حكومة العدل الإلهي، ولن توجد حكومة كهذه إلى أن تعدّ جميع مقدماتها، ويكون العالم مستعداً لقيامها، بعد أن يُجثم الظلم على نفوس وأوراح الناس، حتىٰ تضيق أنفسهم ويبدأون البحث عن طريق للخلاص من حياتهم القاتلة التي لا تحتمل وتتهيأ أسباب قيام الحكومة الإلهية العالمية في زمن ليس بقصير حتماً، ويستفيد الأذكياء وبعيدو النظر من الفرص المختلفة على طول الزمن ويدركون الحقائق بجوانبها الإيجابية والسلبية، ويعلنونها لعالم البشرية، ليحل اليوم الذي تُقام فيه الحكومة العالمية ويقبلها العالم في فترة قصيرة، ويُعاقب الظالمون بما فعلوا بالقوة المستمدة من الغيب ويرث الطاهرون وعباد الله الأرض. قال تعالىٰ: **﴿إن الأرض لله يورثها مَن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾**[1].

وقال نبي الإسلام (ص): «القائم المهدي هو وارث الأرض وما فيها».

والكلام طويل في هذا المجال وقد قام العلماء بتحقيقات بهذا الشأن، وقدّموا نتائج تحقيقهم بصورة كتب ومقالات ويمكنكم مراجعة كتاب موسوعة إمام العصر (عج) والترجمة الثالثة عشرة لبحار الأنوار للعلامة المجلسي، والكلُّ بانتظاره، والكتب الأخرىٰ.

وأما سنة الرسول الأكرم فإن الشيعة وبحكم القرآن الكريم تابعوا الأحاديث للحصول على الحقائق الإسلامية، وواصلوا هذا الأسلوب بشكل

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

منطقي وأساسي ليس فيه أية شبهة أو خلاف، ولحصولهم على الحقيقة والواقع وضعوا علمين قيّمين لهما أهمية قُصوىٰ، وهما علم الدراية وعلم الرجال على أساس متين ومحكم وسعوا لتطوره إلى مستوى واسع بالغ الدقة وألّفوا كتباً قيمة في هذين الموضوعين تدل على يقظة وبُعد نظر هذه الجماعة الحقة الموحّدة ليتسنىٰ لهم بذلك حفظ الأحاديث والروايات وحراستها من أيدي المتلاعبين.

إن مذهب التشيع أخذ بنظر الاعتبار أمر الله الناس باتباع النبي وتنفيذ أوامره، فعلم بأن ضالته في الأحاديث، وبدأ الشيعة يبحثون عن باسط العدل في العالم وأخذوا بتحقيق الأصول التي يؤمنون بها والروايات الدالة على قبول تلك الأحاديث طبقاً للوثائق الصحيحة المعتمد عليها، فآمنوا بأن ابن الإمام الحسن العسكري هو الإمام الثاني عشر للشيعة الذي غاب عن الأنظار لإعداد أمم العالم وحفظ دين الله وخط الأنبياء. وبمراعاة الحقائق يحفظ الإسلام بالنحو الذي يعرفه هو لإقامة حكومة العدل الإلهية وتوجد بهذا الشأن مئات الكتب والمقالات التي تحتوي آلاف الأحاديث والقصص والحكايات بوثائق صحيحة لمحبّي مذهب أهل البيت (ع) وليس فيها أية شبهة أو ترديد، ويكفي أن تذهبوا إلىٰ إحدىٰ المكتبات وتراجعوا الفهرست الموضوعي، وتطالعوا الكتب التي أُلّفت في هذا المجال. ولحسن الحظ فإن هذه الروايات تبين الجوانب المختلفة لوليّ الأمر وإمام العصر، وقد سجل فهرس تلك الأحاديث في آخر كتاب «الله والمهدي»[1].

ولأجل أن يكون بحث المهدي (ع) إسلامياً عاماً، ويكون بإمكان جميع المسلمين البحث في هذا الصدد والوصول إلى هذه الحقيقة، وهي أن تشكيل حكومة العدل الإلهي أمرٌ ضروري وحتمي برأي الإسلام، ولا يمكن لأي مسلم إنكار المهدي وحكومته، بل إن جميع الأديان تقر هذا

---

(١) غاية المرام، الباب: الحادي والأربعون ومائة في إمامة الإمام الثاني عشر من الأئمة الاثني عشر وهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبنوه الأحد عشر الذين آخرهم القائم المنتظر، إمام هذا العصر والزمان حتىٰ يظهره الله عز وجل بعد غيبة في آخر الزمان.

الأمر، قام الشيعة بقدرتهم العلمية وسعة معلوماتهم الدينية وطبقاً للروايات العامة والأحاديث التي ذكرها كبار أهل السنة والجماعة في صحاحهم وجوامعهم، وادَّعَوا فيها الضرورة، قاموا بجمع تلك الأحاديث بنحو يُرضي الله وكل المجتمعات الإسلامية والدينية، ودققوا وحققوا فيها بدقة تامة، من حيث السند والمتن، وكتاب (منتخب الأثر) نموذج بارز لأعمال الشيعة هنا.

وليس الشيعة وحدهم حققوا حول المهدي وألفوا كتباً قيمة وقدموها إلى المحققين، بل ان علماء كباراً من أهل السنة والجماعة ذكروا بحوثاً رائعة في كتبهم وأحاديثهم وتفاسيرهم وتواريخهم وأوردوا الأخبار الصادرة عن الرسول الأكرم، وألّف العلماء العظام بشكل مستقل كتباً استفاد منها علماء الإسلام منذ زمن بعيد، وقد تُرجِمت إلى لغات مختلفة.

وللاطلاع يمكنكم مراجعة الفهرست الذي نشرته مكتبة المسجد الجامع، وقد نشرت مكتبة أمير المؤمنين في اصفهان مؤخراً كتاباً قيماً اسمه (موسوعة المهدي) جمع هذا الكتاب متون كتب القدماء، وفي مجلة جامعة المدينة المنورة كتب الأستاذ الشيخ عبد المحسن العباد في عددين منها أنّ ضرورة الإسلام تثبت المهدي (ع) وحقق في الأحاديث بدقة وطبع ذلك في كتاب (شيعتنا) ويجب التحقيق حول ذلك أكثر، وإن شاء الله تذكر بعض الأمور في ذيل هذه المقالة، وندفع الهجمات التي شُنت على الشيعة.

وخلاصة القول حول أسلوب الشيعة بالنسبة للعقائد والأسس الدينية التي اعتمدت عليها معتقداتهم هو: إن العالم بكل موجوداته الصغيرة والكبيرةُ خلق بيد خالق الكون المتنزّه عن كل نقص، والذي له كل صفات الجمال والجلال، وللإنسان عقل وإدراك وإرادة من بين كل الموجودات، وعليه أن يستفيد من كل الأجهزة الموجودة في عالم الخلقة لصالح إنسانيته، وبرؤيةِ دين الصلاح والرشاد، وانّ الله تعالىٰ أوجد الدين مع وجود الإنسان، وقد تكامل مع تقدّم الإنسان وحسب نظام الخلقة، لكي يحقق كل متطلبات الإنسان عبر الزمن بيد نبي الإسلام آخر وأكمل دين، لكي لا تتمكن الحوادث والوقائع الإيجابية والسلبية أن تبعده عن حدود إنسانيته،

وهذا الدين هو الإسلام أنزله الله للمجتمع البشري، هذا الدين القيم الذي يقره عقل الإنسان وعالم الوجود، لأنه خلق بفطرة الله وقام على أصلين: القرآن الكريم وأحاديث نبي الإسلام، ولا شك في هذين الأصلين، وكل منهما مكمل للآخر، ويجب أن يكونا مما يعتمد عليه الناس الذين قبلوا هذا الدين وعُرفوا بالمسلمين في العالم، وحدّدوا وظائف أتباع هذا الدين في كل عصر ومكان، وقد بني كمال الدين وتمامه على هذا الأساس. وبملاحظة هذين الأصلين فوّضت وظيفة القيادة وحراسة دين الله وبيان الأحكام الإلهية وإرشاد البشرية بعد الرسول الأكرم إلى الأئمة الأطهار (ع) ليمكنهم بالقوة المستمدة من الغيب وعصمتهم أن يقودوا قافلة البشرية على طول الزمن، ولكي يقيموا حكومة إلهية في كل أنحاء المعمورة، فقدموا للناس كل البرامج والمخططات والمتناسبة مع الزمان والمكان، والمستلهمة من الوحي والمتصفة بالإعجاز، ليعلم الجميع أن الدين يُستلهم من خالق الوجود الذي لا يُخفىٰ عليه شيء، ولتحقيق المقام الإنساني وتشكيل الحكومة الإلهية يلزم كل إمام أن يحفظ الدين بنحو خاص ويبين الدروس بأكمل صورة، لتصل الإنسانية بمرور الأيام إلى مقامها الشامخ ويدرك الإنسان ما يجب أن يدركه، وينال مقام القرب الإلهي، لذا قال النبي (ص):

«اثنا عشر من أهل بيتي أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي، وخلقتهم من طينتي، فويل للمتكبرين عليهم بعدي، القاطعين فيهم صلتي! مالهم؟! لا أنالهم الله شفاعتي هؤلاء هم خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي. مَن أطاعهم فقد أطاعني، ومَن عصاهم فقد عصاني، ومَن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلاّ باذنه، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها... وبهم يحفظ الله عز وجلّ دينه وبهم يعمر بلده، وبهم يرزق عباده وبهم ينزل القطر من السماء وبهم تخرج بركات الأرض. وهؤلاء أوصيائي وخلفائي وأصفيائي وأئمة المسلمين وموالي المؤمنين»[1].

---

(١) يوم الخلاص، ص ٣١.

وينقل صاحب (غاية المرام) في الباب ١٢ (٦٦) حديثاً عن طريق العامة، وفي الباب ١٣ (٧٦) حديثاً عن طريق الخاصة عن الرسول الأكرم حول إمامة أمير المؤمنين (ع) وأبنائه الأحد عشر.

نعم، لقد صرح نبي الإسلام للناس بما أنزل عليه من الله تعالىٰ وأعلن للناس أن الله جعل لي اثني عشر خليفة هم أهل للخلافة من حيث المقام والعلم والمعرفة، والويل لمن استكبر ولم يُطع الحق، وفرّق بيني وبين خلفائي، وباعد بين النبوة والإمامة، فما يملك هؤلاء لكي يواصلوا به حياتهم حرمهم الله من شفاعتي، ولا جعلهم من شيعتي، وهؤلاء المعصومون هم أبنائي وخلفائي وأوصيائي وعترتي، مَن أطاعهم فقد أطاعني، ومن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني.

والجدير بالذكر أن الناس لا يستسلمون جميعاً بسهولة لتعاليم الأنبياء، بل يسعىٰ بعضهم دائماً للفرار من القانون الإلهي، والعيش طبقاً لميولهم النفسية، وظُلم الآخرين والتملّق للأقوياء والأغنياء، وبالتالي يسعون لمسخ الحقائق بأية صورة. ويجب الإقرار بأن جميع الظالمين وأصحاب القدرات في كل زمن وباختلاف الطرق والأساليب يتفقون على سحق الحق، وتجاهل نظام الكون والدين الإلهي؛ لأنهم لا يرون لأنفسهم أهمية وموقعاً في حكومة الحق والعدل، وإنما يجب عليهم التسليم التام وعند ذلك لا يمكنهم الاستمرار في تحقيق أهوائهم وميولهم النفسية، فيأخذون بإثارة الضجيج، ويستعينون بالقوىٰ البشرية المختلفة، ويعمدون لإظهار الأمور على غير ما هي عليه، ويعملون على قلب الحقائق.

لقد بينا الأسلوب الاستدلالي لمذهب الشيعة على أساس القرآن والعترة، ولكن مع الأسف وقع في الخطأ والاشتباه بعض الرجال والعلماء من أهل التحقيق وخَدَمة الدين بشكل غير متعمَّد، وتوقفوا عند هذه المعاني بشكل ليس بصحيح، وواجهوا موانع كثيرة في مسيرتهم، ومن ثم استغلّ الاستعمار الفرصة ولم يسمح لشعوب العالم بالتعرف على الإسلام وإدراك حقائقه.

والبحث بهذ الصدد مفصل ونافع لكنه خارج عن حدود هذه المقالة. ونقدم حديثاً عن المهدي (عج) فقط.

في مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٣ للسنة الأولى نُشرت مقالة تحت عنوان (عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر) عن الأستاذ الشيخ عبد المحسن العباد مدرس الجامعة، وقد بذل جهداً كبيراً فيها. وهذه المقالة عبارة عن خطاب تقدم به، وفي نهاية الخطاب علّق الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الباز نائب رئيس الجامعة عليها وأدرج ذلك في العدد نفسه من المجلة.

وفي العدد ٤٥ و٤٦ من المجلة المذكورة قدّم الشيخ عبد المحسن بحثاً مفصلاً حول المهدي (ع) في عددين، وما بُحث وذُكر في مجموع هذه الأعداد الثلاثة هو ثلاثة مواضيع نذكرها باختصار:

١ ـ إن الأحاديث الواردة حول المهدي (عج) كثيرة تصل إلى حدّ التواتر، ومَن آمَنَ بنبي الإسلام فعليه أن يؤمن بما أخبر عنه، ليكون في صف المؤمنين الذين مدحهم الله في القرآن **﴿الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب﴾**[1] ومعرفة الإنسان بما قدّر الله هي عن طريق حصول شيء عندما يراه الإنسان يعلم أن الله أراده وإلاّ لم يوجد، والثاني الإخبار بالشيء الماضي الذي وقع وبالشيء المستقبل قبل وقوعه من الذي لا ينطق عن الهوىٰ (صلى الله عليه وآله وسلّم) فكل ما ثبت اخباره به من الأخبار في الماضي علمنا بأنه كان على وفق خبره (صلى الله عليه وآله وسلّم) وكل ما ثبت إخباره عنه مما يقع في المستقبل نعلم بأن الله قد شاءه وأنه لا بد أن يقع على وفق خبره (صلى الله عليه وآله وسلّم) كاخباره بنزول عيسىٰ (ع) في آخر الزمان، واخباره بخروج المهدي، وبخروج الدجال، وغير ذلك من الأخبار، فإنكار أحاديث المهدي أو التردد في شأنه أمر خطير، نسأل الله السلامة والعافية والثبات على الحق حتىٰ الممات.

---

(١) سورة البقرة: الآيات ١ ـ ٣.

فأحاديث المهدي من هذا الباب متواترة تواتراً معنوياً، من جهة اختلاف ألفاظها ومعانيها وكثرة طرقها وتعدد مخارجها، ونص أهل العلم الموثوق بهم على ثبوتها وتواترها. وقد رأينا أهل العلم أثبتوا أشياء كثيرة بأقل من ذلك، والحق أن جمهور أهل العلم متفقون على ثبوت أمر المهدي، وأنه سيخرج في آخر الزمان... ووجب تلقي ما قاله (ص) بالقبول والإيمان به، والحذر من تحكم الرأي والتقليد الأعمىٰ الذي يضر صاحبه ولا ينفعه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

٢ ـ أرادوا في هذا البحث إيجاد التفرقة بين ما يعتقده أهل السنة والجماعة في المهدي وبين اعتقاد الشيعة به (ع)، وانه الإمام الثاني عشر للشيعة، وأنه موجود وسيظهر يوماً ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وأظهروا أن هذه التفرقة هي امتياز بين الحق والباطل، وبادعاءات باطلة غيروا الحقائق. وأرجو من الاخوة الأعزاء عندما يريدون أن ينسبوا شيئاً إلى قوم أن يسألوهم عن رأيهم أولاً، ولا يسحقوا قوماً بالاعتماد على قول جماعة أمثال ابن خلكان وابن بطوطة وابن خلدون وابن حجر والقرماني والعضيمي، الذين يظنون بأن الشيعة يقولون: إن إمام العصر (عج) مختف مع القرآن في سرداب في سامراء أو الحلة أو بغداد أو مكان مجهول، وكل ليلة تذهب جماعة وتقف أمام السرداب وتناديه وتنتظره حتىٰ يخرج إليها، فهؤلاء يقولون كلاماً باطلاً، عمداً أو سهواً، ولا يجوز بالإعتماد على أقوال هؤلاء شن هجوم علىٰ جماعة موحدة، استلهمت معتقداتها بنظرة عقلية من الكتاب والسنة. تقول الشيعة: الإمام الثاني عشر هو المهدي ابن الزهراء الطاهرة، ومن نسل الحسين (ع)، وقد استلم منصب الإمامة بعد أبيه الإمام الحسن العسكري، وانه يظهر بأمر الله عندما تضيق الدنيا على الناس، من كثرة الظلم والجور، وتبلغ معرفة الإنسان وإدراكه حداً يعتبر معه الابتعاد عن الحق ظلماً كبيراً، فينشر دين الله في سائر أنحاء المعمورة على أساس العدل الإلهي، وينعم الجميع بالحق والعدالة، وتقوم الحكومة الإلهية في جميع الكون، ببركة الإمام المعصوم محمد بن الحسن العسكري، وهذا الإمام هو المهدي الموعود الذي جاءت فيه الأحاديث المتواترة ولا تنطبق على غيره.

٣ ـ بما أن المحاضرة والمقالة كانت تهدف لردّ الذين أنكروا الأحاديث الواردة في باب المهدي (ع) واعتبروها من الإسرائيليات والمجعولات، فقد أخذ الذين لم يتمكنوا من تغطية الحق بالتوجيه والتلفيق، كأبي رية رئيس البعثة اللبنانية الذي قال: إن المراد هو انتصار الحق على الباطل وهلاك الظلم في مقابل العدل. لقد أثبتوا باستدلال متين وتحقيق مناسب تواتر الأحاديث واتفاق العلماء عليها. ووصفوا منكري الأحاديث بأوصاف قبيحة، ولكن ما إن واجهوا معتقد الشيعة حتىٰ شنوا عليهم هجوماً مباغتاً بلا دليل، وكأن المحاضرة أعدّت لسحق مذهب الجعفرية الحق، والعجيب أنه كيف يمكن لهؤلاء العلماء في هذا العصر، مع ما لهم من عمق النظر في العالم الإسلامي وتبحّرهم في الروايات والأخبار، كيف يمكنهم سحق جميع الحقائق والهجوم على القسم الأعظم من المسلمين في دنيا الإسلام وهم الشيعة بلا دليل ولا برهان؟ ويقولون: إن ما يعتقده الشيعة من خروج مهدي منتظَر يسمىٰ محمد بن الحسن العسكري، من نسل الحسين رضي الله عنه، لا حقيقة له ولا أصل، وعقيدتهم بالنسبة لمهديهم في الحقيقة عقيدة موهومة، كما أن إمامة الأئمة الماضين عندهم في الحقيقة إمامة موهومة لا حقيقة لها، ولا وجود، إلا إمامة علي بن أبي طالب وابنه الحسن رضي الله عنهما، وهما بريئان منهم، ومن اعتقادهم بلا شك، أما أهل السنة فمعتقدهم في الماضي حقيقة موجودة، وسادات الأئمة عندهم هم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، وقد تولوا الإمامة حقاً، وكانوا أحق بها وأهلها، ومعتقدهم في المستقبل عند نزول عيسىٰ ابن مريم صلى الله عليه وسلم حقيقة ثابتة بلا شك أيضاً، ولا عبرة بقول من اتبع ما ليس له به علم، وقال: إن الأحاديث في المهدي لا تصح نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها من وضع الشيعة.

ويستفاد مما قيل ونُقل أنه:

١ ـ يعتقد البعض أن المهدي (ع) سيولد في آخر الزمان، ولكن أكثر الكبار والعظماء يُظهرون في مقام التعبير (سيخرج أو يوجد)، ولا يتفق هذا المعنىٰ مع وجود إمام العصر فعلاً.

٢ ـ إن المهدي اسمه محمد بن عبد الله وهو من ذرية الحسن، ولأنه انعزل عن الخلافة جعل الله المهدي من نسله، وبما أن الحسين سعى للخلافة وقتل في سبيلها فقد حُرم من هذا الفيض، في حين انهم يعتبرونه من نسل الحسين (ع) وان أباه هو الحسن العسكري.

٣ ـ إن عمر الإمام المهدي (ع) المبارك سبب خوف واضطراب القوم فبدأوا بإنكاره لاإرادياً.

٤ ـ أولوا الأحاديث المتفق عليها عند الشيعة والسنة الواردة عن النبي (ص) في أن اثني عشر أميراً أو خليفة يستلمون الحكم من بعدي، ويتحقق قيام الدين وتثبيت أحكام الإسلام بهم، ويذكرون مصاديق لهم في مقابل أئمة الشيعة الاثني عشر.

للتحقيق حول هذه الأمور وأمثالها يجب التحدث عن مسألة الخلافة والإمامة، وكلما ازدادت المطالعة والتحقيق في هذا المجال، اتضحت الحقيقة أكثر، وبفضل الله المتعال أُلّفت كتب كثيرة ومقالات بهذا الشأن، وبحثت بلغات مختلفة ومن وجهات نظر متعددة، ويجب الاعتراف حقاً بأن الأمر واضح جداً، من حيث القرآن والسنة بنحو لا يدع مجالاً للشبهة والترديد عند المحققين، ولذلك أكثروا من التوجيه وتغيير المصاديق والعناوين؛ لأنهم لو قبلوا دين الله كما نزل على رسوله (ص) وبينه الرسول للناس بشكل واضح، ولم يتصرفوا ويتدخلوا به، لم يمكنهم الاستفادة من أهوائهم وأفكارهم المادية، وحصولهم على مقام ومنصب، فهم مضطرون للتخطيط لتغيير الوضع، فيذكرون أموراً بعيدة عن الواقع بوصفها الحق والحقيقة، فيقع بعض الجهلاء والغافلين في شباك أصحاب الأغراض، فيُحرمون مما يجب أن يستفيدوا منه، وقد بحثنا ذلك ولا أكرّره ثانية.

يقول تعالىٰ: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليما﴾**[1].

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٥.

لقد تحدث الرسول في كل مناسبة عن القيادة والخلافة والإمامة، وقد أثبت الفريقان أقوال الرسول بكل خصائصها، وقد بين القرآن وهو سند حيٌّ تعهد الله تعالىٰ بحفظه، بيَّن الأمر بشكل واضح. ولكنهم في زمن الرسول الأكرم وخصوصاً بعد رحلته ضربوا الأصول الإسلامية بذريعة حفظ الإسلام والمسلمين، وبخطط مختلفة وجديدة جعلوا المنصب الإلهي أمراً بشرياً، فضيعوا حقوق الناس باسم الجماعة والناس، وغيروا مسيرة المجتمع وحرفوا الإسلام عن الرقي الذي كان يجب أن يصل إليه. وأما عن موضوع المهدي (ع) وهو موضوع بحثنا فقد نقل الشيعة والسنة أحاديث كثيرة عن النبي (ص) بنحو لا يترك المجال لإنكار وجود المهدي (عج) والكل متفق على تواتر تلك الأحاديث، ولكن هذه الجماعة لتحويل الأمر لصالحها وفرارها من عبء المسؤولية، قلبت الأمر لتختفي الحقيقة، فمرّة يسمي الخليفة ابنه المهدي، ويذكر عوض الحديث المعروف (واسمه اسمي) جملة (اسم أبيه اسم أبي) لينطبق على ابنه، ويحصل على عنوان المهدي الموعود، ومرة أخرىٰ يبحثون في موضوع المهدوية ويقولون: المقصود هو الوصول إلى الحق وليس المقصود شخصاً أو فرداً معيناً، ومرة ثالثة، يقولون: إن المهدي سيولد في آخر الزمان، ويعمل بوظائفه. وكلما فشلوا في أمرٍ انتقلوا إلى توجيه غيره؛ ليزلزلوا أصل مسألة المهدي.

ومما يثير العجب الشديد هو أنهم يقولون في بيان الحديث المعروف «لا يزال أمر هذه الأمة قائماً ما ولي عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش». الأفضل أن نقول ما قاله كبار العلماء: إن مقصود الرسول الأكرم من الخلفاء، هو الخلفاء الأربعة ومعاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، وعمر بن عبد العزيز وهؤلاء اثنا عشر خليفة... فإن الدين في زمانهم قائم والإسلام منتشر والحق ظاهر والجهاد قائم وما وقع بعد موت يزيد من الاختلاف والانشقاق في الخلافة وتولي مروان في الشام وابن الزبير في الحجاز لم يضر المسلمين ولا ظهور دينهم، فدينهم ظاهر وأمرهم قائم وعدوهم مقهور.

إن الفريقين يعتقدان بأنه لو ثبت أمر عن النبي الأكرم (ص) وجب

على المسلم، لأن قول النبي هو قول الله، وهو الذي أوجد بساط الخلق على نظام الوجود المتقن، ولا يجوز الشك في هذا. لذا بعد ثبوت وجود ولي العصر أرواحنا فداه بأقوال الرسول الأكرم (ص) فكل مسلم يؤمن بأن إمام العصر يستمرُّ في حياته في ضوء عنايات وألطاف الله الخاصة، حتىٰ يتم مسؤوليته بأحسن وجه، سواء عرفنا علة بقائه أم لم نستطع إدراكها، بمقايستها مع حياة الناس العامة، ورغم أن العلم لم يستطع تقديم مانع لطول العمر، بل إن العلماء يبحثون عن أشياء تزيل الموانع عن بقاء الإنسان، وأما عن وجود المهدي فقد وردت روايات عن طريق العامة ذكر فيها أسماء الأئمة، وكلها تدلّ على وجود المهدي من نسل الإمام الحسين (ع). ينقل صاحب فرائد السمطين في السمط الثاني في ذيل آية التطهير عن الرسول الأكرم (ص) يقول: «اللهم هؤلاء أهل بيتي ولحمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويجرحني ما يجرحهم، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنتِ إلىٰ خير، إنما نزلت فيّ وفي أخي علي بن أبي طالب، وفي ابني، وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة». ويكرر ذلك في آخر خطبة له «حديث الثقلين» ونقلت عن طريق الفريقين: «ثم ابني الحسين ثم تسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحد حتىٰ يردوا عليّ الحوض».

وجاء في (ذخائر العقبىٰ ص ١٣٧) عن حذيفة عن رسول الله (ص) أنه قال: لو بقي من الدنيا يوم واحد أطاله الله حتىٰ يقوم واحد من ولدي إسمه اسمي، فسأله أحد المسلمين: من أيّ ذريتك؟ فوضع الرسول يده على الحسين (ع)، وقال: من ولد الحسين.

ووردت روايات عديدة من الفريقين في أن الإمامة تستمر حتىٰ ظهور ولي العصر (عج)، ويستلم الأئمة واحد بعد الآخر منصب الخلافة الإلهي لحراسة الإسلام وآخرهم المهدي من ولد الحسين، وتدل هذه الأحاديث على أن الدين باقٍ حتىٰ ظهور المهدي (ع)؛ لأن الأئمة استشهدوا جميعاً إلا الإمام الحجة ابن الحسن العسكري، فلم يتحدث أحدٌ عن شهادته ورحلته، وقد بين الرسول (ص) في أحاديثه هذا الأمر وقال: إن الأرض لا تخلو من

حجة، وذكرهم واحداً بعد الآخر، وذكر آخر إمام بتعبير (يخرج)، وذلك يدل على وجوده من قبل، ثم خروجه في آخر الزمان، والبحث مفصل هنا في عدم خلوّ الأرض من الحجة، وحسب قاعدة اللطف الإلهي يجب أن يعين إمامٌ وحجة في كل عصر ومكان، وذكر العلماء في الكلام والحكمة بشأن هذا الأمر كلاماً مفصلاً لا تتسع هذه المقالة له.

والحديث المعروف «مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[1] ذكره كثير من علماء أهل السنة والجماعة في كتبهم، وهو أفضل دليل على وجود المهدي، لأن معرفة الإمام فرع وجوده، فكيف يمكن أن يتحدث الله عن منكري إمام العصر ويجعلهم في صف مَن مات على الجاهلية وحرم من نعمة الإسلام، مع أنه لا وجود للإمام؟ وعلى أية حال فإن المهدي في سلسلة نسبه من جهة الآباء وأمه يعود إلى الإمام الحسن أيضاً؛ لأن أم الإمام محمد الباقر هي بنت الإمام الحسن (ع) وإنّ وردت رواية بهذا الصدد فالمراد منها هو هذا حتماً، كما جاء أن المهدي هو من الحسن والحسين.

ومما يؤسف له أن يعتمد أستاذ جامعة في مقام التحقيق على كلام بعيد عن الحقيقة، لا يتفوه به أيّ عاقل، وينسىٰ الأصل الإسلامي، وعند هذا يجب الالتجاء إلى الله.

﴿**إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربي**﴾[2] يقول: بما أن الحسن اعتزل الخلافة والحسين سعىٰ لها فقد تعلقت سنة الله أن يمد لطفه لمن يعفو ويتسامح، لذا جعل المهدي من نسل الحسن (ع).

تأملوا جيداً ان الإمامة والخلافة تكليف إلهي ومن يُعط الإمامة يجب عليه العمل بها دون اعتراض، وليس لأي مسلم مخالفة الدستور الإلهي، أيمكن للمسلم أن يقول أنا أخالف الأمر الإلهي ولا أصلّي، أليس هذا

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، ص ٢٤١.
(٢) سورة يوسف: الآية ٥٣.

المنطق مضحكاً؟ وهل ان الحسن (ع) لم يعمل بتكليفه وخلافته، انه استقام بشجاعة حتىٰ اليوم الذي أمر فيه بالحرب فحارب بقوة، وعندما رأىٰ أن الحرب تضر الإسلام والمسلمين، التجأ إلى الحرب الباردة، وبأسلوب إلهي وتدبير خاص، زلزل حكومة بني أمية، وثبّت حكومة الأئمة، وفتح ساحة العمل وأعدّها للإمام من بعده (أي الإمام الحسين (ع)) فلم يبتعد الحسن (ع) عن تكليفه شبراً، ولم يعمل الحسين (ع) بما لا يرضي الله، لقد سار الاثنان في خط واحد وهدف واحد، إلاّ أنهما كانا في زمنين ووضعين مختلفين، بحيث لو كان كل منهما في مكان الآخر، لقام بما قام به الآخر، وعندما كان الحسين (ع) مع أخيه الحسن (ع) وكان الحاكم هو معاوية فإنه كان يتبع أسلوب الحسن (ع)، وعندما جاء عهد يزيد، وأصبح الجو مساعداً لنشر الحقائق صاح: إنني لم أخرج أشرا ولا بطرا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي.

عجيب أن يقول الأستاذ كلاماً باطلاً كهذا في الوقت الذي عرف فيه الصديق والعدو منزلة الحسين (ع) ومجّدوه واعتبروه قائد الثورة وقائد الحق، واعتبره الشيعة والسنة تابعاً للرسول، ومصباح الهدى وسفينة النجاة، وبمواصلته لخطة الحسن بن علي (ع) الموفقة استطاع أن يثبت مذهب التشيّع في أعماق النفوس، ويجذب الأحاسيس والعواطف الإنسانية إليه.

أجل لم يعرفوا منزلة الإمام (ع)، ولم يلتفتوا إلى توفيقات الأئمة الالهيين، ولو كانوا يعرفون منصب الإمام العظيم لما نسبوا للإمام المعصوم رضاه بأن يتولّىٰ المسلمين شخص لم يعينه الله لهذا المنصب، ولم يعرف له تاريخ البشرية ولا لخلفائه سوىٰ الظلم والعدوان والابتعاد عن الله. وإن التاريخ موضوع أمام كل الفرق والجماعات بمشاربها المختلفة فاقرأوه واحكموا بأنفسكم، فلا يتسع هذا المختصر لشرح وتحقيق وقائع التاريخ المؤسفة.

والأمر الوحيد الذي يجب البحث عنه هو مسألة المهدي، ويمكن البحث عنها على طول التاريخ، وكيف مارست قوىٰ الباطل نشاطات للحصول

على السلطة وسحق الحق وتنفيذ الميول النفسية، إنها تذكر الموضوع بشكل خاص كل يوم وتدفع الحق بالتلبس بقناع الحق، حتىٰ أنهم عرفوا المهدي بأنه ابن عبد الله باستنادهم إلى رواية صنعوها بأيديهم من أن الرسول قال: «إسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» ليمكنهم إيجاد موضع ومقام لأولادهم.

يقول الگنجي الشافعي الذي قتل عام ٦٥٨هـ في كتابه القيم (البيان في أخبار صاحب الزمان): ذكر الحديث المزبور الحافظ أبو نعيم في (مناقب المهدي) وأورده جمع غفير عن عاصم بن أبي النجود، عن زُرْ، عن عبد الله عن النبي (ص) من دون (اسم أبيه اسم أبي) وذكر أسماء اثنين وثلاثين رجلاً من كبار العلم والحديث والحفّاظ، وإن عاصماً روىٰ عن زُرْ، وهكذا روىٰ عمرو بن مرّة عن زُرْ، وفقط عبد الله بن موسىٰ عن زائدة عن عاصم روىٰ الجملة المذكورة أعلاه، ويقول في نهاية البحث: ولا يشك أيّ عاقل في أن زائدة لا اعتبار له مع أن علماء الحديث لم يوردوا تلك الجملة، والكل ذكر خلافاً لذلك[1].

والأمر المهم والموضح لكل المواضيع والمعرُف لكل محقّق وعالم بواقع القضايا على طول الزمان هو أن هؤلاء الأساتيذ من كبار علماء السنة والجماعة. وكما جاء في غاية المرام الباب ١٢ ص ١٣١ أنهم ذكروا ٦٦ حديثاً عن طريق العامة و٧٦ حديثاً عن طرق الخاصة، بشأن الخلفاء والأئمة بعد رسول الله، وذكروا اسم أمير المؤمنين علي (ع) وأولاده الأحد عشر، بشكل مجمل ومفصل، وعرّفوا الإمام الثاني عشر المهدي (ع)، وأقرّوا بأنه يجب وجود ١٢ خليفة، وان قول النبي حق،ولكن لكي يعطوا موقعاً للمستكبرين، ارتكبوا أبشع جريمة في التاريخ، وعرضوا الإسلام بأسوأ صورة للمجتمع، وفي مقام دفاعهم عن مجرمي التاريخ يقولون: كان الدين قائماً في زمن هؤلاء الاثني عشر، والإسلام منتشراً والجهاد قائماً.

---

(١) ورد بحث مفصل في هذا المجال في كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي، ص ١٢، طبعة النجف. وكشف الغمة، ج ٣، ص ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٦٦، ٢٦٧، وبحار الأنوار ج ٥١ ص ١٠٣، وكفاية الطالب للگنجي الشافعي ص ٤٨٣ ـ ٤٨٥.

بالله عليكم إقرأوا تاريخ هؤلاء الاثني عشر، وطالعوا قصة الإسلام في زمن الخلفاء الذين ذكروهم، واحكموا أنتم، هل من الممكن أن يأمر النبي الناس من قبل الله باتباع أشخاص كهؤلاء، حكموا الناس بقوة السلاح، وأبعدوا أمير المؤمنين (ع) وأولاده وعزلوهم؟! إن الإنسان يخجل أن يسمي هؤلاء بالمسلمين.

إن قصيري النظر هؤلاء يعرضون الخلفاء الاثني عشر بالشكل المذكور، وكأن الجهاز الربوبي قد تعطّل ولا يوجد أمرٌ من الله للأمة الإسلامية حتىٰ اليوم الذي يظهر فيه المهدي الموعود، ولأجل أن يسيطر أصحاب القدرات على رقاب الناس المسلمين يعرضون بحثاً يذكرون فيه أن المهدي لا يأتي حتىٰ يمتلىء العالم ظلماً وجوراً. وفعلاً فببركة السلاطين وولاة الأمر فإن الأحكام الإسلامية تطبق، وتنفذ الحدود الإلهية طبقاً للموازين، وإنّ للعدالة حكومة، لذا يجب القول، أولاً: ليس من الضروري أن ينتشر الظلم والجور في كل أنحاء العالم، وثانياً: في الوقت الذي يظهر فيه المهدي (ع) يحكم العدل العالمي.

وعلى أية حال عندما يبتعد الإنسان عن حريم الله ويسلّم عقله إلى أهوائه للوصول إلى المقام والمنصب، ينحرف عن الصراط المستقيم، فيضطر إلى أن يجد لنفسه مسوّغاً ويعبّدَ الطريق لسلطة أوليائه علىٰ مجتمع المسلمين، ليحكم أمثال الملوك والقادة الظالمين، ويعتبرون ولاة للأمور، فيتبعهم البسطاء من الناس، طبقاً لوظيفتهم الشرعية، والذي يجلب الانتباه في هذه المحاضرات هو التمجيد لأولياء الأمور في بداية البحث وفي أثنائه، والسعي لتجاهل المستضعفين من الناس الذين يعيشون في أشد الحالات وأصعبها، وتقديم المتسلطين بوصفهم خدمة الدين وعارفين بالشريعة الإسلامية.

لكن الشيعة بالاعتماد على مسلك الحق اتبعوا رسول الله وأوامره، واختاروا لقيادتهم الأئمة المعصومين والقادة الإلهيين، الذين عينهم الله تعالىٰ، واعتبروا القرآن إلىٰ جانب الإمام، والإمام مبيناً للقرآن ومنفذاً لأحكامه.

وبالاعتماد على كتاب الله وسنة رسوله التي يقبلها الخاصة والعامة، اعتبروا المهدي آخر خليفة من خلفاء الله، وهو ينتظر الفرصة لإقامة حكومة العدل الإلهية، وأنه يسعىٰ في غيبته لحفظ أساس الإسلام والمسلمين بواسطة نوّابه. وأن حضوره وغيابه يرتبط بالزمان والوضع، ولا يقصّر فيما يرتبط بحفظ الإسلام والمسلمين.

إلهي، اجعلنا في هذا العصر في زمرة المنتظِرين لفرجه بأمرك، وعجل فرجه.

إماماه، نوّر قلوبنا بمحبتك وكرمك ونجّنا وبلادنا من الأعداء الظالمين.

وانعش قلوباً بانتظارك قرحت وأضجرها الأعداءُ أي اضجار
وخلص عباد الله من كل غاشم وطهر بلاد الله من كل كفار

مكتبة مدرسة جهل ستون ـ المسجد الجامع طهران

حسن سعيد

ميلاد أوّل مدافع عن حريم ولاية الزهراء الطاهرة في طليعة القرن ١٥

الفصل الثامن

بشرى اليوم السّعيد

انتظار اليوم السعيد، حديث نفس كلّ إنسان:

يعيش الناس عادة بانتظار يوم أفضل، وحياة أسعد، اليوم الذي يخلو من الظلم والجور والفقر والجوع، والعذاب والمرض والخوف، اليوم الذي يسهل فيه الوصول إلى الهدف والمراد.

الأمل بالسعادة و(انتظار الغد الأفضل) هو حديث النفس، وحاجة مشتركة لكل البشر، لا تعرف الزمان والمكان ولا تختص بقوم أو جماعة، إذ يمكن مشاهدتها في كل مكان وزمان وعند كل الأمم والأقوام.

كما يقول أحد الباحثين والعلماء المعاصرين: «الناس يأتون ويرحلون ويأخذون معهم إلى القبور حرقة هذا (الغد الأفضل)! ولكن يوم آخر وإنسان آخر، يبدأ هذا الأمل اللامتناهي وأنشودة جديدة أخرىٰ»[1].

الشوق للسعادة سبب للبحث عن القائد:

إن إرادة تحقيق النصر تقوّي في الإنسان الحاجة إلى القائد وتدعوه إلى البحث عن القائد والإمام. والناس من خلال هذا الاشتياق يبحثون عن (أفضل قيادة) و(أفضل قائد)، وإن هذا الشوق شديد لديهم بنحو يجعلهم يلتجئون حتىٰ إلىٰ شبه القائد والإمام، ولكن عندما يجدون (إمامهم الأفضل) لا يبخلون في سبيله بأيّ شيء ويقدمون له الإيثار والتضحية.

---

(١) مقدمة للإمامة، ص ٨٨.

لهذا تعيش البشرية في أحلامها الذهبية عن الحكومة النموذجية في (المدينة الفاضلة) وفي (البحث عن المسيح) وفي (البحث عن الخضر) وعن (المهدي) في شوق شديد محرق وعميق للقطب و«للمراد» و«للإمام» وبالتالي (لمنجي البشرية العظيم) فهي في الحقيقة تريد «أفضل إمام»[1].

إنتظار الفرج اعتقاد عام:

إن انتظار الفرج بعد الشدة، والأمل باستقرار السلام والعدل الخالد بعد شيوع الظلم والفساد، والاعتقاد الراسخ (بالمصلح والمنجي العالمي العظيم) لا يختص بقوم أو أمّة أو مذهب معين، بل هو هدف كل الناس وعقيدة لها جذورها العميقة وشوق عميق وانتظار قديم وبشرى سارة لدىٰ كل أمم العالم.

يقول «جولدزيهر» المستشرق اليهودي والمتعصب عن عالمية الانتظار عند الأمم المختلفة لظهور المنجي الكبير:

«لا يختص الاعتقاد بعودة وظهور المنجي الموعود بالإسلام فقط... وبإمكاننا أن نجد أفكاراً مشابهة لدىٰ الأمم الأخرىٰ كثيراً... كما يعتقد الهندوس، أن (ويشنو) وهو راكب على جواد أبيض وبيده سيف من شعلة النار يظهر في نهاية هذه المرحلة العالمية بوصفه (كال كي) ويخلّص بلاد آريا، من يد الغاصبين الظالمين ـ ومقصده الأمم الإسلامية الفاتحة ـ».

وشاعت بين (المغول) حتىٰ اليوم (١٩١٠م) عقيدة أن (جنگيزخان) وعد قبل موته بأنه سيأتي بعد ثمانية أو تسعة قرون، وسيظهر ليخلّص المغول من سلطة الصينيين...

وهكذا توجد بين أمم الشرق والغرب، وحتىٰ بين «زنوج أمريكا الحمر» عقائد مشابهة حول عودة أو ظهور (المنجي الموعود)[2].

---

(١) مقدمة للإمامة، ص ٩١ ـ ٩٢.

(٢) من خطابات جولدزيهر حول الإسلام، نشر متن الخطابات عام ١٩١٠م باللغة الالمانية، وترجمت عام ١٩٢٠م إلى الفرنسية، وفي عام ١٩٤٦م إلى العربية في القاهرة، بعنوان =

وجود هذا (الشوق) لدىٰ أتباع الأديان العظيمة.

جاء في (قاموس الكتاب المقدس) حول شيوع هذا الشوق بين اليهود:

كان (العبريّون) ينتظرون قدوم (المسيح) جيلاً بعد جيل، وتكرر الوعد بمجيئه في الزبور وكتب الأنبياء بالخصوص في (أشعيا). حتىٰ جاء (يحيىٰ) وبشّر بقدومه، لكن اليهود لم يفهموا تلك النبوءات، وكانوا يتصورون أن (المسيح) سيكون (سلطان الزمان) وينجيهم من جور الظالمين ويرفعهم إلى أعلى درجات المجد والجلال[1].

يشتكي مؤلف كتاب (قاموس الكتاب المقدس) وهو من اليهود، من أنهم لم يقبلوا دعوة (عيسىٰ المسيح) بعد كل ذلك الشوق والانتظار، ولم يعتبروه ـ المسيح الحقيقي ـ ولم يجدوه مطابقاً للمسيح الموعود الذي سيكون سلطان الزمن والمنجي الأخير، وقد وعد به كتابهم المقدس، وكانوا ينتظرونه بحرارة سنين طوال، لهذا أبغضوه وعادوه حتىٰ اعتبروه خائناً لأمة إسرائيل، وان تعاليمه مضادة لأهداف كتاب (العهد العتيق) المقدس، فعمدوا إلىٰ محاكمته، وحكموا عليه بالإعدام. وهكذا عادوا إلى انتظار (المسيح الموعود) و(مظهر النصر) والمنجي من الظلم والجور.

ورغم أن المسيحيين كانوا يعتبرون عيسىٰ (ع) هو (المسيح الموعود) لليهود، لكنهم أدركوا عدم انتصاره الكامل، لهذا انقطع أملهم عن (الحال الحاضر)، فبدأوا قصة الانتظار مرّة أخرىٰ، وباتوا بانتظار المسيح، وبانتظار عودته من السماء في نهاية العالم وفي آخر الزمان.

كما يذكر (المستر هاكس) الأمريكي في كتابه (قاموس الكتاب

= (العقيدة والشريعة في الإسلام) بواسطة ثلاثة من الأساتذة المصريين، وأخيراً ترجمت أربعة فصول من فصوله الخمسة إلى الفارسية بواسطة علي تقي المنزوي ابن المرحوم الحاج آقا بزرك الطهراني، في هذا الكتاب نظريات ظالمة حول الشيعة، وقد تأثر بكتاباته مؤلفون ذوو أغراض أمثال: أحمد أمين المصري، والدكتور النشاروكسروي في طهران.

(١) هاكس (قاموس الكتاب المقدس) بيروت، ص ٨٠٦.

المقدس) أنّ كلمة (ابن الإنسان) تكررت ٨٠ مرة في الإنجيل وملحقاته (العهد الجديد) و٣٠ مورداً منها يطابق المسيح فقط، والخمسون مورداً الأخرىٰ تتحدث عن المصلح والمنجي الذي سيخرج ويظهر في آخر الزمان[١].

المسيح الكاذب:

هذا (الاعتقاد والشوق) أصيل عند اليهود والنصارىٰ، حتىٰ انه أوجد على طول تاريخ هاتين الملتين مدّعين كثيرين، فادّعىٰ كثير من الرجال أنهم «المسيح الموعود» كذباً. يذكر صاحب «قاموس الكتاب المقدس»:

«ظهر في بني إسرائيل ٢٤ شخصاً يدّعون أنهم (المسيح) كذباً، وأشهرهم «بركوكية» الذي عاش في أوائل القرن الثاني، وكان ذلك الدجّال المعروف يدّعي أنه (رأس ورئيس وملك اليهود)... وفي القرن الثاني عشر ظهر حوالي عشرة أشخاص يدّعون المسيح، ومال إليهم جمع من الناس، وسبب هذا الأمر وقوع الفتنة والحرب، وقتل جمع في تلك المعارك، وآخر هؤلاء المدعين هو... مردخاي، وهو رجل ألماني ظهر عام ١٦٨٢م تسبب في إيجاد فتنة وأشعل نيران الفساد، وعندما اشتدّت نار الفتنة، فرّ وضاع أثره»[٢].

ومع هذا يكتب مؤلف كتاب (مقدمة للإمامة) بعد نقل هذا الموضوع من (قاموس الكتاب المقدس): «مع الأسف إن معلومات المؤلف الأمريكي لكتاب (قاموس الكتاب المقدّس) باللغة الفارسية والذي كان ساكناً في همدان سنينا، حول عدد المدّعين «للمسيح» وحول آخر من ادّعىٰ ذلك، قليلة جداً، وان عدد هؤلاء المدعين أكثر بكثير مما ذكره.

وان ظهور مردخاي الألماني في القرن السابع عشر ليس هو آخر ظهور يذكره تاريخ المسيحية. فخلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر ظهر

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠٨.

في إنكلترا حوالي ستة رجال باسم (المسيح الموعود) وأوجدوا الفتن وقد عوقب بعضهم[1] طبقاً لدين المسيح، وظهر في دين اليهود كثير ممن ادّعىٰ المسيح كذباً.

فممن ادّعىٰ المسيح من اليهود هو (داوُد آل روي) من يهود إيران ادعىٰ أنه المسيح الموعود في أواسط القرن الثاني عشر لدى يهود إيران[2].

بشرى الإسلام:

منذ أن بزغ الإسلام حتىٰ الآن وهو يبشر أتباعه بما سيحدث وبما سيكون، وأمَّلهم (بالغد الأفضل)، وفي الوقت الذي لم يستطع فيه الخلاص من ظلم وتعذيب قريش كان يبشر المسلمين (بحسن العاقبة) في المستقبل القريب، والخلاص من نير الظالمين وجورهم، ووصولهم إلىٰ أعلىٰ درجات المجد والحرية والجلال.

كان ذلك في زمن سيطرة المشركين على رقاب المسلمين وظلمهم لهم، وكان النبي (ص) آنذاك ضعيفاً وفاقداً للسلاح، رغم أنه كان من أسرة قوية وشجاعة، لكنه كان وحيداً، والشيء الوحيد الذي كان يفعله هو مواساة المسلمين الذين كانوا يتعرضون للتعذيب كل يوم، وليس لهم ملجأ إلاّ الله والإيمان بنبيّهم، وكانوا يُعذَّبون تعذيباً وحشياً بواسطة الظالمين، ولا يستطيع النبي أن يعترض أو يقوم بفعل، بل كان يذهب للقاء مَنْ يعذَّب بسبب عشقه لله كل يوم ويواسيهم، وفي حالة اليأس تلك والظلم والظلام الحاكم على الجميع كان يبشّرهم (بالسعادة واليوم السعيد) ويقول: إنكم ستملكون مصير التاريخ وستحكمون العالم وترثون الملوك والقوىٰ العظمىٰ، إنكم أنتم الذين تحكمون الدنيا كلها لا العالم العربي فقط، تحكمون مكة وقريش، بل إيران والروم واليمن ومصر وشرق الأرض وغربها.

كان هذا هو الوعد الوحيد الذي يقدمه القائد لأصحابه الذين يموتون

---

(١) مقدمة للإمامة، ص ٩٥ ـ ٩٦.
(٢) الكتاب نفسه، ص ١٠١ ـ ١٠٢.

تحت التعذيب والذين اضطروا لأجل الحفاظ على حياتهم والتخلص من ظلم قريش أن يهاجروا إلى الحبشة.

في تلك الظروف الصعبة كان قائد تلك الطائفة الصغيرة يقطع بل يبشر المسلمين بالتسلط على الكون وحكومة البشر، ووراثة الحضارات العظيمة، والحاكمية على الشرق والغرب، لكن ذوي الأفكار المتحجرة في زمنه كانوا يسخرون منه.

ولم تمرّ فترة حتىٰ تحققت الوعود واحداً تلو الآخر، سيطر على المدينة، ثم فتح مكة، وخضع له العرب وأسلموه قيادهم، واجتاز كلّ العقبات، وكان يُطمئِنُ أصحابه في كل تلك المراحل بأن النصف المنتظَر هو كالنصف السابق، الذي تحقق، كان المخالفون يسخرون ويستهزِئون، وكلما تحقق وعدٌ رأىٰ المسلمون أن نظرة المستهزئين تتحول إلى نظرة احترام.

نداء اليقظة:

والآن نتحدث عن حديث خطيب مكة القوي القوي (سهيل بن عمرو) وهو يبين بصراحة تامة شعوره وأهل مكة تجاه وعود الرسول (ص)، ويعتبر تحقق بعض وعود النبي دليلاً علىٰ تحقق الوعود الأخرىٰ وينصح أهل مكة الذين أسلموا حديثاً ولم يترك المنافقون الضغط عليهم وإضلالهم بعد وفاة النبي (ص) ينصحهم بعدم الارتداد.

إن أهل مكة حديثو الإسلام، الذين يئِسوا بعد رحلة النبي (ص) وكان من الممكن أن يرتدّوا عن الإسلام، سمعوا فجأة نداء اليقظة لخطيب مكة (سهيل بن عمرو) من عتبة باب الكعبة يقول:

يا أهل مكة، هلموا إليّ. فامتلأ المسجد الحرام بالناس كالبحر المتلاطم، يسرعون إليه، لم يصدّق أحدٌ أن يدافع خطيب مكة عن الإسلام بقوة، لأنه كان حديث الإسلام وفي تلك الأوضاع التي ساد الارتداد عن الإسلام والرجوع إلى الكفر، بدأ حديثه بعد ذكر وفاة النبي (ص) قائلاً:

أيها الناس! مَن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبد إله محمّد فإن إلهه حيٌّ لا يموت... أيّها الناس! إنني أعلم أن هذا الدين باق ما طلعت الشمس والقمر. يا أهل مكة! يكفيكم عاراً انكم آخر مَن دخل الإسلام، فلا تكونوا أوّل المرتدين عنه.

والله! كما وعد الرسول: إن هذا الدين سيبقىٰ ويستمر، إنني رأيته في بادىء الأمر كان وحيداً وقد وقف في موقفي هذا وقال: «قولوا لا إله إلاّ الله» لتخضع لكم العرب كلها، ويعطيكم العجم الجزية، وتُنفق خزائن كسرى وقيصر في سبيل الله، وفي ذلك اليوم كنا نحن أهل مكة منا المستهزىء ومنّا المصدّق، إنكم رأيتم أنه صار ما قال، وسيكون الباقي ويحدث والله فتوكّلوا على الله؛ لأن دين الله سيقوم وتتمُّ كلمته[1].

يمر الزمن، وتمضي الأيام والسنين وتتحقق وعود الإسلام وبشاراته واحدة تلو الأخرىٰ، يسيطر المسلمون علىٰ مصير الأمم، ويحكمون إيران والروم واليمن ومصر، وشرق الأرض وغربها في ذلك الوقت، والآن يمضي على الإسلام أربعة عشر قرناً، انتشر الإسلام فيها إلىٰ أقصىٰ نقاط الأرض، وارتفع صوته على كل الأصوات، وأصبحت كلمته هي العليا.

وإلى هنا، تحققت نصف مواعيد الإسلام، وبقي النصف الآخر في بوتقة الانتظار، فلو دققنا في تاريخ الإسلام، لوجدنا أن النصف المنتظَر هو كالنصف الماضي.

والآن يؤمل القرآن المسلمين بالمستقبل، ويعدهم بالنصر والسعادة، يخبر عن المستقبل الغامض على الجميع ويقول بصراحة تامة:

---

(١) هذا الخطيب سهيل بن عمرو الملقب بالأعلم، الذي كان ممسكاً بباب الكعبة، أُسِرَ في معركة بدر، طلب عمر من الرسول أن يمنحه إيّاه ليقلع ثناياه كي لا يمكنه الخطابة والتحدث ضد الإسلام ورسول الله بعد ذلك، قال رسول الله: «فإن له مقاماً محموداً»، وانه كان ممثل قريش في الحديبية، وكان في ذلك اليوم من أَلدّ أعداء الإسلام، حتىٰ أنه لم يسمح بكتابة اسم رسول الله في عقد الصلح بوصفه رسول الله، وبعد ثلاث سنين في عام فتح مكة، أسلَمَ، ويوم وفاة النبي (ص) منع أهل مكة عن الارتداد، يُقال: إن المقام المحمود الذي أشار إليه الرسول (ص) عند جوابه لعمر هو لخطبته المتينة تلك، (مقدمة بشرىٰ الإسلام) سيرة الحلبي وابن هشام.

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾[1].

يصرّح القرآن بأنّ إرادة الله قد تعلقت بأن يرث الصالحون والطاهرون الأرض في المستقبل ويحكمون العالم، وتُطهَّر الأرض من الفاسقين والظالمين.

﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[2].

ويقول في آية أخرىٰ: **﴿ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**[3].

ويستفاد من هذه الآيات أنّ العالم بانتظار يوم يحكم فيه الصالحون كلَّ العالم. وطبقاً للروايات، فإن ذلك العصر الوضّاء هو يوم قيام منجي البشرية المهدي الموعود.

إن الأحاديث الإسلامية تطبق بشارات القرآن بشأن عالمية الإسلام على ظهور الإمام القائم، عندما تقول:

«إذا قام القائم حكم بالعدل، وارتفع في أيامه الجور، وأُمِنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، وردّ كل حق إلى أهله، ولم يبق أهل دين حتىٰ يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان، أما سمعت الله سبحانه يقول: **﴿وله أسلم مَن في السمٰوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾**[4].

يؤكد النبي (ص) تحقق هذه الوعود، ويؤمل الناس بالانتظار بتعريفه لمنجي البشرية ومُظهر القدرة السماوية، وانتصار النور المطلق على الظلمة، وبذلك يحبب إليهم بشكل واضح وقاطع الانتظار الطويل والمُحرق،

---

(١) سورة النور: الآية ٥٥.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.
(٣) سورة القصص: الآية ٥.
(٤) الإرشاد للشيخ المفيد ـ ص ٣٤٤ ـ ٣٤٣ ـ بحار الأنوار ج ٥٢/ ٣٣٨.

ويؤمّلهم بانتظار المهدي الموعود، أفضل القادة ومنجي البشرية من الحيرة والضلالة.

يقول: أبشركم بالمهدي، يملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضىٰ عنه سكان السماء والأرض، يقسم المال صحاحا. فقال رجل: ما معنىٰ صحاحا؟ قال: بالسوية بين الناس، ويملأ قلوب أمة محمد (ص) غنىٰ، ويسعهم عدله حتىٰ يأمر منادياً ينادي يقول: مَن له بالمال حاجة فليقم، فما يقوم من الناس إلاّ رجل واحد آثم يأمر له بالمال فيأخذه ثم يندم ويرده»[1].

الاعتقاد «بالمنجي الأعظم» اعتقاد عام:

إن الاعتقاد بالمنجي الأعظم والمهدي الموعود، هو اعتقاد عام ومشترك، ولا يختص بقوم أو أمة أو دين، أخبر بظهوره بشكل عام في الأديان والمذاهب التي تحكم العالم، مع وجود الاختلاف في إسمه، ولو أخرجنا كلمة (المهدي) والعبارات الأخرىٰ المذكورة في الأديان والمذاهب المختلفة عن اصطلاحها الخاص وأطلقنا عليها مفهوماً أوسع باسم (المنجي الأعظم)، فعند ذلك يرتفع الاختلاف في الإسم.

ولكن ذكر هذا الأمر في الإسلام وبالأخص في مذهب الشيعة بشكل أعمق وأوسع بحيث يعتبر الاعتقاد بالمهدي وظهوره عند الشيعة بمستوى الاعتقاد بوقوع القيامة، وتكذيبه وتصديقه في صفّ تكذيب الرسول (ص) وتصديقه[2].

وهذا الموضوع من المواضيع التي اهتم بها الإسلام كثيراً. لذا فإضافة إلى الآيات العديدة التي فسّرها أئمة الدين بالمهدي الموعود، وردت

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٣/ ص ٣٧ ـ منتخب كنز العمال ج ٦، ص ٢٩، وذكر العلامة المجلسي مع تفاوت قليل عن «كشف الغمة» في بحار الأنوار ج ٥١/ ص ٨١.

(٢) قال رسول الله (ص): لا تقوم الساعة حتىٰ يقوم القائم الحق منا، وذلك حين يأذن الله عز وجل، ومن تبعه نجا ومَن تخلّف عنه هلك ـ البحار ج ٥١/ ص ٦٥، مَن أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني ج ٥١/ ص ٧٣.

أحاديث كثيرة عن طريق الفريقين (السني والشيعي) عن الرسول الأكرم والأئمة الأطهار بشأن ظهور المهدي وسائر خصائص ويمكن ادعاء التواتر فيها[1].

وقد ذكرت في هذه الروايات جميع خصائصه وأوصافه وتفصيلات حياته ونَسَبه وأنّ له غيبتين بعد ولادته، وسيظهر بعد الغيبة الكبرىٰ، ويملأ الأرض عدلاً بإيجاد حكومة عالمية واحدة.

مدَّعو المهدوية:

مما يؤسف له أنه قد اتخذ الانتظار الكبير في الإسلام وضعاً مشابهاً لما حدث في المسيحية، فقد ادّعىٰ كثيرون (المهدوية) على طول تاريخ الإسلام، ولعلّ مدعي المهدوية في الإسلام لا يقلون عما في المسيحية.

وفي هذا المجال يقول «دارمس تهتر» المستشرق الفرنسي، عند بحثه عن ظهور وقيام محمد أحمد (المتمهدي السوداني) قبل موت المتمهدي المفاجيء بأربعة أشهر، ضمن اعترافه بأصالة عقيدة (المنجي الأعظم) في بحثه الطويل في باريس قال:

«... في هذه الدنيا، وبالأخص في العالم الإسلامي، يتكرر التاريخ بشكل عجيب بحيث لو نقلوا إليكم قصة (المتمهديين) في الماضي فكأنهم ذكروا ماضي المهدي المعاصر وحاضره ومستقبله.

المتمهدي المعاصر ليس بأوّل نموذج يظهر، وطبعاً لن يكون الآخر. كان مدعو المهدوية كثيرون وسيوجدون بعده أيضاً، اشتهر تاريخ هذه الجماعة من الناس ونفوذهم، وتبشيرهم، وإخفاقهم في آخر الشوط، وسيتكرر هذا بعد أيضاً. انتظروا ظهور المهدي منذ الأيام الأولىٰ للإسلام، وما دام هناك حتىٰ مسلم واحد فإنه سيظهر مدعو المهدوية أيضاً»[2].

---

(١) يكتب ابن حجر العسقلاني في كتاب نزهة النظر، ص ١٢: الخبر المتواتر يفيد اليقين والعمل به لا يحتاج إلى البحث.

(٢) المهدي، دار المستر، ترجمة محسن جهانسوز، ص ٤ ـ ٣.

يكتب ابن خلدون (٨٠٨ ـ ٧٣٢هـ) ناظراً إلى رواج أرضية المهدوية في عصره قبل ستة قرون:

«إن كثيراً من الجهلاء يسرعون إلى ادعاء ذلك المقام والمنصب للدعوة والتبليغ رياءً ويحملون التخيلات الحمقىٰ التي لا فائدة منها ليصلوا إلى هدفهم ويوصلوا دعوتهم إلى الكمال في حين يفقد أكثر هؤلاء أنفسهم في هذا السبيل ويُقتلون»[١].

في عصر ابن خلدون ووجود الشروط الخاصة في عالم الإسلام، واتساع فكرة المهدوية، استفاد المغرضون من عنوان (المهدي الموعود) للوصول إلى أهدافهم، ولأجل الاستفادة السيئة من هذه الحقيقة، ترك ابن خلدون هذا الاعتقاد بهذه العقيدة، وأورد شبهة في صحة أحاديثها.

وقد خصص فصلاً من كتابه في حدود عشرين صفحة، للبحث عن «المهدوية» وانتظار الناس للمهدي الموعود، وبدأ بنقل الأحاديث الستة والثلاثين التي أوردها كبار علماء الحديث بشأن ظهور المهدي، وقال في بداية هذا الفصل:

المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون وسيتولى على الممالك الإسلامية، ويسمّىٰ بالمهدي»[٢].

ويُلاحظ عليه:

أولاً: ليست الأحاديث المنحصرة بالمهدي ستة وثلاثين حديثاً التي أوردها هو في كتابه.

ثانياً: اعترف كثير من علماء السنة بتواتر أحاديث المهدي ولو وجد ضعف في سند بعضهم فإن هذا التواتر يزيله.

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ١/ ٦٤١، ترجمة محمد بروين الكتابادي.
(٢) مقدمة ابن خلدون، الطبعة العربية، ص ٣١١ ـ طبع بغداد ـ الترجمة الفارسية ١/ ٦٠٧.

ثالثاً: إن استغلال حقيقة ما لا يبطلها، بل إن هذا الموضوع نفسه دليل على أصالة (المهدوية)، فإن لم تكن للشيء أصالة لم يوجد المغشوش منه.

فلو كان استغلال الحقيقة يوجب طرحها، فأية حقيقة ستبقى، وهل هناك حقيقة لم يتستر بها المبطلون؟

ألم يدعِ فرعون وأمثاله الربوبية؟ وما أكثر مَن ادّعى النبوة على طول التاريخ!

أجل، فحتى قيام (المهدي الموعود) أعظم منج وآخر منقذ، يملأ الشوق له قلوب الناس وبالأخص في لحظات الضيق والضغط، وما دام هذا الشوق موجوداً عند الناس فلا يخلو الجوّ من وجود المدعين الكذّابين، الذين يستغلونه لمآربهم الخاصة.

أصالة الاعتقاد «بالمنجي العظيم»:

الاعتقاد «بالمهدي الموعود» وبشكل أوسع «بالمنجي الأعظم» هو اعتقاد ديني عميق ورد الحديث عنه في مختلف أديان العالم. ولهذه العقيدة أصالة كباقي العقائد الدينية كالعقيدة بالتوحيد، والنبوة والمعاد و... في كل الأديان وخاصة في الإسلام. وقد ثبت في محلّه أنّ للاعتقادات الدينية جذوراً ضاربة في فطرة البشر، ولهذا نجد توافقاً وانسجاماً بين التعاليم الدينية وحاجات الإنسان الداخلية، وفي الحقيقة ان التعاليم الدينية محققة ومعينة لمتطلبات البشر ومكملة لخلقة البشر، وبهذا فإن العقيدة الدينية تكمن في أعماق الفطرة، وهي ميل باطني في داخل الإنسان.

وعلى رغم أنّ هذا الميل الباطني والحاجة الداخلية هي كسائر الميول الإنسانية تتغير وتزداد وتقل وتشتد وتضعف تبعاً للأحوال المختلفة، إلاّ أنّ أصل الحاجة للدين لا يمكن أن ينعدم كلياً.

فمثلاً إن (انتظار الفرج) والاعتقاد «بالمهدي الموعود» أو «المنجي الأخير» هو شوق وميل باطني وان الإسلام وسائر الأديان بوعدها بظهور

المنجي الأعظم لم تترك هذه الحاجة وهذا الشوق الداخلي دون إشباع، وقد تشتد هذه الحاجة كسائر الحاجات أو تضعف في ظروف معينة، إلاّ أن تدهور الأوضاع وانعدام الأمن جرّاء ذلك، والتمييز العنصري، والظلم السائد في المجتمع، يقوي الاعتقاد بظهور (المنجي الأعظم) بحيث انّ هذا الشوق القديم والانتظار يتبدل في لحظات الضغط والاختناق والضعف إلى لهيب محرق وحاجة شديدة، وهذه الظروف تزيد لهيب شوق الناس لظهور (المهدي الموعود) فيعمد المغرضون والعصاة للاستفادة من هذه الأوضاع لصالحهم ويدّعون المهدوية كذباً، لذا فكل زمن تشتد فيه الضغوط والحرمان الاجتماعي والسياسي والاقتصادي فإن أحلام القيادة والإمامة تخطر بأذهان الكثيرين، وكثير من الناس يقدّمون أنفسهم ضحية لهذا الأمر.

الخيبة والظلم: سبب شدّة الميل والرغبة:

قد تسبب هذه الظروف ارتفاع حمىٰ حب المنجي في المجتمع، وقد يستفيد البعض من هذه الفرصة ويدّعون المهدوية، ولكن هذا الأمر لا يؤثر في أصالة هذه العقيدة أبداً.

فالعقيدة بظهور المهدي أو المنجي الأعظم هي عقيدة دينية أصيلة وإنّ الإحساس بالخيبة والضغط والتمييز العنصري والظلم في مراحل التاريخ المختلفة، ليس هو سبب ظهور تلك العقيدة. لذا فالإحساس بعدم الأمن وشيوع الفتنة في المجتمع يمكنه أن يكون سبباً لزيادة الميل إلى أفضل منج، لكن لا يمكن أن يكون عاملاً لظهور أصل الإيمان بالمهدي والميل (للمنجي الموعود) لأن هذه عقيدة ثابتة دينياً، إن البشر حتىٰ بعيداً عن الفتنة، وفي ظروف الرفاه والأمن، يمكثون في انتظار «المهدي الموعود».

رأي مرجليوت حول ظهور المهدي:

وبالنظر لما سبق يتضح مدىٰ تفاهة قول بعض المستشرقين بشأن فكرة المهدي، من انها ناتجة عن تدهور الأوضاع والقلق وعدم الأمن.

يقول مؤلف كتاب (مقدمة للإمامة):

إن مرجليوت المستشرق الأوربي في مقالة عن المهدي كتبها (لدائرة معارف الدين والأخلاق) عام ١٩١٥م بعد نقده المفصّل للأحاديث المرتبطة بالمهدي، وتحليله كلمة المهدي وتعيين جذرها، يشكك في أصالة الأحاديث الواردة عن نبي الإسلام، ويرىٰ منشأ الاعتقاد بالمهدي يعود إلىٰ الخلافات التي حدثت بعد وفاة النبي في عالم الإسلام[١].

وهنا ينقل مؤلف المقدمة قول مرجليوت:

«كيفما فسرنا الأحاديث فلا يوجد دليل مقنع بأن نتصور أنّ نبي الإسلام اعتبر ظهور مهديٍّ لإحياء الإسلام وتحققه وإكماله وتقويته ضرورياً ولازماً، لكن اشتعال نار الحرب الداخلية بعد وفاة النبي، وتدهور أوضاع الإسلام الذي حدث بسبب اختلافهم فيما بينهم، سبّب في اقتباس فكرة ظهور المنجي من اليهود أو النصارىٰ الذين ينتظرون ظهور وعودة المسيح»[٢].

الشك في صدق المستشرقين:

لا شك أن أسلوب وطريقة تحقيق المستشرقين على أثر المشكلات والأوضاع والأحوال الخارجية الناتجة عن اللغة ومعرفة المجتمع هي بنحو لا يمكنهم من الوصول إلى نتيجة صحيحة، فإن لم نشك في صدق «مرجليوت» الباحث في الدين الإسلامي، لذهبنا إلى قصوره في هذا البحث من هذه الجهة.

ولكن عندما ينظر الإنسان إلى الكتب العديدة المؤلفة حول «المهدي الموعود» والأحاديث التي نقلت عن الشيعة والسنة وعددها ٦٢٠٧ حديثاً، يشك في صدقه وحسن نيته[٣]. فكيف لا تكون هذه الأحاديث الكثيرة دليلاً مقنعاً له؟! وهل كل هذه الأحاديث التي اعترف علماء الحديث بتواترها[٤].

---

(١) مقدمة للإمامة، ص ١٠٠ ـ ٢٠١.
(٢) مقدمة للإمامة، ص ١٠٠ ـ ٢٠١.
(٣) في كتاب منتخب الأثر تأليف لطف الله الصافي، ذكر ٦٢٠٧ أحاديث مع ذكر المصدر من ١٥٤ كتاب معتبر سني وشيعي، طبعة طهران ١٣٨٥هـ.
(٤) التاج الجامع للأصول، للشيخ منصور علي ناصف ٥/ ٣٢٧.

وفيها أحاديث صحيحة ومعتبرة اعترف محدّثو أهل السنة بصحتها، وحتىٰ «ابن خلدون» المعروف بمخالفته لأحاديث المهدي اعترف بشهرة هذه الأحاديث[1]. ألا يمكن لهذه الأحاديث أن تكون دليلاً على أصالة هذه العقيدة في الإسلام فلا نحتاج إلى اقتباسها من اليهود والنصارىٰ؟!

«دارمس تهتر» مستشرق القرن التاسع عشر الفرنسي و«د.ب. مكدونالد» الأوربي يبدون ما يشابه هذا الرأي في تحليلهما لقضية «المهدي» في (دائرة المعارف الإسلامية)[2].

ويظهر أنّ المستشرقين تأثّروا بكتابات (ابن خلدون) وانتقدوا الأحاديث المذكورة في حين انّ منطق ابن خلدون ضعيف في هذا المجال وغير صحيح، وان سبب ردّه هذه الأحاديث هو التعصّب المذهبي والمصالح النفسية التي لا دليل لها.

رأي السيد أمير علي:

والأكثر عجباً من هذا هو نظرية «سيد أمير علي» العالم الإسلامي في الهند، فإنه يذكر في كتاب (روح الإسلام) الذي ألّفه حول تاريخ تكوين العقائد الإسلامية، بعد بحث مختصر حول كيفية الاعتقاد «بالمهدي الموعود في الإسلام»:

«عندما يلاحظ المحقق والفيلسوف التشابه بين أفكار السنة والشيعة (حول المهدي) والأديان السابقة لا يواجه أية صعوبة في معرفة أنّ ظلم «السلوكيين» وقتلهم سبب ظهور عقيدة بين الزرتشتيين وهي انّ منجياً مبعوثاً سماوياً سيخرج من خراسان اسمه «سوسيوس» لينجيهم من أسر الأجانب. وأسباب مشابهة أدّت إلى ظهور هذا الأمل لدىٰ اليهود عند طلوع نجم «المسيح» ولا زال اليهود ينتظرون «مسيحهم الموعود».

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٣٢٢.

(٢) المهدي، دارمس تهتر، ترجمة: محسن جهانسوز ص ٩ ـ ١٠.

إنّ أهل السنة في الإسلام هم كاليهود يعتقدون بأن المهدي آخر منج في الإسلام لم تلدْه أمه بعد، ويقول الرهبان المسيحيون: جاء المسيح ورحل، لكنه سيأتي مرة أخرىٰ. والشيعة الاثنا عشرية هي بمثابة النصارىٰ ينتظرون عودة ورجعة المهدي الحي والغائب الذي يقوم لإقرار العدل والقسط.

ثم يبحث هذا العالم في أسباب ظهور هذا الانتظار المشابه، ويبين علل اختلاف تفصيلاته، لدىٰ كل دين ويقول:

«إن خصائص العصر الذي ظهرت فيه عقيدة (المهدي الموعود) في الإسلام بصورتها الموجودة لدى الشيعة والسنة هي نفس الخصائص التي تُشاهد في تاريخ الأديان الأخرىٰ، فكلما ارتفعت الأيدي إلى السماء في الإسلام فهي كشفاه أبناء إسرائيل وأتباع المسيح الداعية التي تلتمس ظهور المبعوث السماوي الموعود، لينجي العالم من الظلم والمعاصي»[1].

وبهذا فإن «سيد أمير علي» هو كبعض المستشرقين، يُرجع سبب ظهور المهدي في الإسلام إلى تدهور الأوضاع والحيرة في عالم الإسلام، غافلاً عن أنّ هذه العقيدة هي عقيدة أصيلة في الدين، ولها أدلة كثيرة في المصادر الإسلامية. يقول عالم أهل السنة المعروف «الشوكاني» مؤلف كتاب «التاج»: لو كان للإنسان ذرة إيمان وشيء من الإنصاف[2] لما تردد في أصالة هذه الأحاديث وصحة هذه العقيدة، وهي عقيدة دينية في كل الظروف سواء في حال الرفاه والراحة أم في المصيبة والخطر إلاّ أن الشرط الأساسي في ظهور (المهدي الموعود) هو أن يشيع الظلم والفساد وعدم الأمن في العالم وتمتلىء الأرض ظلماً وجوراً.

لذا عندما يشتد الظلم والضغط والحرمان في المجتمع فإن أفراده يظنّون أنّ ذلك من علائم الظهور، فيعدّون اللحظات لظهوره. وعندما تتهيأ

---

(١) نقلاً عن، مقدمة للإمامة ٢٠٣ ـ ٢٠٢.

(٢) التاج، ٥/ ٣٢٧.

ظروف تقبّل المهدي في محيط ما، تتواجد الأرضية لبعض المغرضين ليستفيدوا من عقائد الناس النظيفة الطاهرة لمقاصدهم السيئة.

استغلال العقيدة بالمهدي الموعود:

إن متابعة تاريخ ظهور فكرة حب المهدي، تعرّفنا هذه الحقيقة ألا وهي: كلما اشتد ميل الناس والتجاؤهم إلى المهدي، ظهر المدّعون لهذا المنصب أيضاً، وقد اشتبه بعض قصار النظر والجهلاء في مصداق (المهدي الموعود) وان بعض المدعين جعلوا اسم (المهدي) حجة لقيامهم ونهضتهم. فكانوا يصفون شخصاً بأنه (المهدي الموعود) من غير أن يدعي هو نفسه ذلك ويدّعون أنهم نوّابه!

فأوّل مَن ادُّعي في الإسلام انه (المهدي الموعود) هو «محمد بن الحنفية» ابن الإمام علي (ع) دون أن يدّعي هو نفسه ذلك، واستفاد البعض من وجوده سياسياً وقدموه للناس بعنوان «المهدي الموعود» وثاروا باسمه وأيّدهم كثير من المحرومين والفقراء.

إن محبي «محمد بن الحنفية» والهائمين به لم يصدقوا حتىٰ موته، وظلوا ينتظرون عودته، وكثير من منتظريه ماتوا إلى جانب الجبل (الرضوي) الذي يقال انه غاب فيه فقضوا حياتهم وهم يحترقون بنار الشوق إلى المهدي منتظَر «الكيسانية»[1].

وكان البعض يحتمل أن أحد الأئمة هو المهدي، لكنه كان يرد هذا الادعاء بالدليل والبرهان ويقول: «لست أنا المهدي الموعود...» يقول عبد الله بن العطار: قلت للإمام الباقر (ع): لماذا لا تخرج مع أن شيعتكم كثيرون؟ أجاب (ع): يا عبد الله لا تصغ إلى الكلام الذي لا طائل منه، والله لست أنا المهدي. راقبوا من تكون ولادته خفية ومستورة فهو صاحب الأمر[2].

---

(١) المختار الثقفي، الدكتور علي الحسني الخربوطلي.
(٢) بحار الأنوار، ٥١/ ٣٤.

وخلاصة القول: إن هذه الحقيقة تعرضت للاستغلال، لكن أية حقيقة لم تتعرض لذلك؟ وهل كان مدعو الألوهية أو النبوة أو سائر المناصب المعنوية في الدنيا قليلين؟ وهل تقل الأديان الكاذبة في العالم؟ فلو أردنا أن نترك هذه الحقائق بسبب سوء الاستفادة منها، لم تبق حقيقة في الدنيا، وليس هذا المنطق صائباً.

الفصل التاسع

شعبان شهر التبشير بالأمن والأمان

تأليف: السيد العفيقي البحشايشي ـ مدير مجلة بشارة الإسلام

إن شعبان هو شهر الولادة والبشارة، والأمل في تاريخ الإسلام ولا زال كذلك. كان ولا زال مقترناً بالأفراح والسرور والأمل والانتظار والنصر.

شعبان شهر طلوع نور المولود السعيد، شمس الحق والحقيقة، ويكون فيه شوق المستضعفين في العالم إلىٰ أقصىٰ حدوده.

الخامس عشر منه مبشّر بولادة المصلح الموعود لعالم البشرية وباسط العدل وناشر حكومة التوحيد، ومحقق العدالة العالمية ومعطي الحقوق الإنسانية المبشّر بحكومة المستضعفين على المستكبرين، ونصر المحرومين على المترفين والمسرفين.

انتصار الحق على الباطل:

خلافاً للأفكار الباعثة لليأس، ولأفكار أتباع مالتوس وأتباع الإلحاد والماديين، فإن فكرة النصر النهائي لقوة الحق على الباطل، وبسط العدل والسلام، وإزالة الظلم والجور واستقرار القيم الإنسانية الرفيعة، وإقامة المدنية الفاضلة والمجتمع النموذجي المعتدل، هي فكرة يؤمن بها وتعتقد بها كلّ الفرق والمذاهب الإسلامية مع اختلاف يسير.

إن فكرة انتصار الحق على الباطل هي أصل قرآني، وإن القرآن المجيد في آيات عديدة بشّر بانتصار الإيمان وغلبة الصالحين وقطع دابر الظالمين والجبارين إلى الأبد. وعُرف الأمل بتحقق هذه الفكرة المقدسة في الروايات الإسلامية باسم انتظار الفرج. إن الانتظار البنّاء والمحرّك هو

كانتظار المضيف المشتاق لضيفه بالاستعداد والتهيّؤ التام، لا انتظار الإهمال والبطالة والتخريب واللامبالاة.

كلمة للعلامة الطباطبائي:

يقول الأستاذ الجليل والمفسّر الحكيم الإسلامي المعاصر العلامة الطباطبائي رضوان الله عليه في هذا الشأن:

«قانون الهداية العامة، يسوق البشر نحو الكمال، ويُقاد النوع البشري بقوة الوحي والنبوة نحو الكمال الإنساني، ومسألة المهدي هي استمرار للإمامة والهداية الإلهية العامة، ولأن الهداية العامة لم تحدث في حياة البشر بشكل عام لحدّ الآن، ففي ذلك اليوم يمتلىء المجتمع البشري عدلاً، ويعيش في صفاء وصلح، ويغرق أفراد البشر في الفضيلة والكمال»[1].

إن تحقيق هذا الوضع سيكون بيد الإنسان نفسه، وسيكون قائد مجتمع كهذا المنقذ للبشرية ومصداق الروايات، هو المهدي الموعود (عج).

ورد الحديث عن (منقذ البشرية) في المذاهب المختلفة كالوثنية واليهودية والمجوسية والإسلام، وقد بشروا بظهوره بشكل عام، رغم أنهم يختلفون في مصداقه. والحديث الذي يتفق عليه المسلمون هو أن النبي الأكرم (ص) قال: المهدي من ولدي (من نسلي) يشير إلى هذا المعنىٰ.

ويقول المرحوم الأستاذ في جواب البروفسور هنري كوربن أستاذ الفلسفة في جامعة السوربون في فرنسا حول الغيبة.

«تحقق العدالة العالمية بمفهوم حصول كل شيء على حقه، أكبر فلسفة لظهور إمام العصر، والرائع أن أكبر فلسفة للظهور وُصفت في مئات الروايات النبوية وأحاديث الأئمة المعصومين باستقرار العدل ونشره وبسطه.

إن العُقدة الصماء التي لا يستطيع العلم بكل دقائقه أن يحلها عن

---

(١) الشيعة في الإسلام، ص ١٥.

جسم وروح البشرية، ولا العقل بدقته، ولا الفنّ والعاطفة بكل لطائفها، وإن الحروب والتفاوت الطبقي، والاستغلال بأشكاله المختلفة، وظلم الظالمين والمتسلطين، واختناق الحريات خلف جدران الشيوعية والصهيونية والرأسمالية، كلها تشهد بموت العدالة العالمية، وإن للعالم مهندساً وحارساً له موازين يعرف بها كل الأبعاد الإنسانية، ويحفظ شجرة العدالة العالمية مورقة، ويقيم صرح التكامل الإنساني. وتعتقد الشيعة بأن الإمام محمد بن الحسن العسكري العبد الصالح والقائم (عج) سيقيم هذه العدالة العالمية»[1].

وبذلك فإن العالم بشكل عام والشيعة وأتباع أهل البيت (ع) بشكل خاص في حالة انتظار، انتظار باعث للأمل، ومحرّك ملؤه النشاط والفعالية.

الانتظار العظيم:

للأستاذ الشهيد مرتضىٰ المطهري في هذا المجال بيان رائع فهو يقسّم الانتظار إلى نوعين مخرب وبنّاء ويقول:

«الانتظار نوع من فتح الطريق وتعبيده للمستقبل، ونوع من الأمل بالبناء، والتعلّق بالمستقبل، وإنّ رأي البعض في نهضته المهدي الموعود بأن لها ماهية انفجارية، وتحصل بشيوع ورواج الظلم، والتمييز العنصري وسحق الحقوق، وفي الحقيقة هي نوع من الوحدة المتسببة عن التفرقة. فعندما ينعدم الصلاح ولا يوجد مدافع عن الحق والحقيقة، وينتشر الباطل، ولا توجد حكومة إلاّ حكومة الباطل، ولا يوجد فرد صالح في العالم، يحدث هذا الانفجار وتمتدُّ يدُ الغيب لنصرة الحق...

إن هذا التفسير لنهضة المهدي الموعود وهذا الانتظار المسبب لتعطيل الحدود والمقررات الإسلامية لا يتفق مع الموازين الإسلامية والقرآنية أبداً»[2].

---

(١) مذهب التشيع، ص ٩٢.

(٢) قيام المهدي (عج) ونهضته، ص ٦٢.

إن للدكتور كوربن الفرنسي الذي يمتلك معلومات واسعة وقيمة من مطالعاته الإسلامية رأياً رائعاً، وقد تحدّث مع الأستاذ الفقيد العلامة الطباطبائي عام ١٣٣٠ شمسية في الموضوع الآنف وقال: إنّ مذهب التشيّع (لوجود المهدي الموعود (عج)) هو المذهب الوحيد الذي حفظ ارتباطه بين الله والخلق إلىٰ الأبد، وإنه يحيي الولاية بشكل مستمر ومتصل؛ لأن اليهود ختموا النبوة في رابطة حقيقية بين الله والعالم الإنساني في الكليم (ع) ولم يقرّوا بنبوّة المسيح ومحمد (ص) وقطعوا الرابطة المذكورة. وتوقف النصارىٰ على المسيح (ع)، وتوقف أهل السنة من المسلمين على النبي محمد (ص)، وبختم النبوة فيه لم يعتقدوا برابطة بعده بين الله والخلق، ومذهب التشيع وحده يرىٰ النبوة ختمت في محمد (ص)، ولكن الولاية وهي رابطة الهداية والتكميل تعتبر لديهم حية إلى الأبد من بعد النبي (ص)، وهي الرابطة الناتجة عن اتصال العالم الإنساني بالعالم الربوبي، وأن خلفاء النبي محمد (ص) كانوا أحياءً ولا يزالون بواسطة الولاية.

إن وجوده حقيقة حية، ولا يمكن للعلم أن يحذفه من الحقائق ويعتبره من الخرافات، وبرأيي إن كل الأديان هي حقيقة، وكلها تتابع حقيقة «حية»، وتشترك جميعها في إثبات أصل هذه الحقيقة الحية، ومذهب التشيع وحده الذي ألبس حياة هذه الحقيقة لباس الاستمرار والدوام. ويعتقد أنّ هذه الحقيقة بين العالم الإنساني والعالم الربوبي باقية وقائمة، هذا رأيي...[1].

الانتظار البناء:

يستفاد من الآيات العديدة أن ظهور المهدي الموعود، حلقة من حلقات مجابهة أهل الحق لأهل الباطل التي ستنتهي بانتصار أهل الحق الكامل.

شرط اشتراك الفرد في هذه السعادة الموعودة هو أن يكون في صف

---

(١) مذهب التشيع، السنوية الثانية، ص ٢١ ـ ٢٠.

أهل الإيمان بشكل عملي ومظهراً لنصرة أهل الإيمان معادياً ورافضاً لأهل الباطل.

كما يقول القرآن:

﴿وعد الله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّننَّ لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم وليُبْدِلَنَّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومَن كفَر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[1].

إنّ ظهور المهدي منة على المستضعفين ولطف للمحرومين ووسيلة لرفعتهم ومقدمة لوراثتهم الحكم.

ظهور المهدي تحقق لما وعد الله به الصالحين والمتقين من أن الأرض لهم والعاقبة للمتقين. والحديث المعروف: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً» شاهد على ادعائنا، لأن هذا الحديث أشار إلى الظلم والظالمين، وذلك يستلزم وجود المظلوم ويفيد أنّ ظهور المهدي هو لحماية المظلومين الذين يستحقون الدفاع والحماية.

جاء في الروايات الإسلامية الحديث عن الجماعة الحية التي تلتحق بالإمام بمجرد ظهوره ويتضح أنه في عين انتشار الظلم وإشاعة الفساد، توجد أرضيات جيدة وفاضلة أيضاً، وأن أهل الحق والحقيقة وإن كانوا قليلين من حيث الكمية، لكنهم أفضل أهل الإيمان من حيث الكيفية، وفي مستوىٰ أصحاب سيد الشهداء (ع).

ويستفاد من مجموع الآيات والروايات أن ظهور المهدي الموعود (ع) آخر حلقة من حلقات صراع الحق والباطل القائم منذ ابتداء العالم، وان المهدي الموعود محقق لأهداف كل الأنبياء والأولياء وأهل الحق.

---

(١) سورة النور: الآية ٥٥.

ولادة النور:

نعم، في ليلة الخامس عشر من شعبان عام ٢٥٥هـ أنعم الله تعالىٰ علىٰ الإمام الحادي عشر الحسن العسكري (ع) بولد أسموه «محمداً» أمُّه من بلاد الروم اسمها «نرجس» وهي امرأة في كمال العفة والتقوىٰ لها صفات ذاتية ومكتسبة من الإمام العاشر (ع)، وبسبب فضائلها أصبحت عروساً لابنه الإمام الحسن العسكري (ع).

وُلد إمام الشيعة الموعود من أبٍ له كل تلك الفضائل والكرامات ومن أمٍّ فاضلة وعفيفة، وبطلوعه أضاء نور الأمل في قلوب المستضعفين والمحبين، كفله أبوه حتىٰ عام ٢٦٠هـ، وكان مخفياً عن الأنظار لكي لا يعلم به حكام الدولة العباسية، وعدا خواص الشيعة لم يعلم به أحد.

بعد شهادة أبيه استقرت الإمامة له بأمر الله، فاختار الغيبة، وكان نوابه الخواص يلتقون به، ولم يظهر لأحد غيرهم.

يكتب الإمام العلامة (ابن الصباغ) أحد علماء أهل السنة عن قول العلماء الإسلاميين:

لم يكن للإمام الحادي عشر ابن سوىٰ «محمد»، الحجة المهدي، كان عمره خمس سنوات عند وفاة أبيه، وقد جعله الله مقرَّ الحكمة، بلغ منصب الإمامة في سن الطفولة كيحيىٰ وكعيسىٰ (ع) الذي حصل على مقام النبوة في المهد، ونرىٰ بوضوح أن جميع الأنبياء والأوصياء، وبالأخص نبي الإسلام (ص) وصفوه بصاحب السيف القائم والعبد الصالح[1].

وبظهوره تستقر حكومة العدل الإلهية في جميع أنحاء العالم، ويعيش الناس السلام والصفاء والأخوة والمساواة معاً. وتنتهي الحروب والنزاعات، وينعدم الظلم والإجرام والفحشاء والفقر والجوع وينال المستضعفون بكل معاني الكلمة من الاستضعاف الفكري والاقتصادي والسياسي والاجتماعي،

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ، ص ٢٩١.

ينالون الإمامة والقيادة والسيادة الفكرية والمعنوية للعالم، وتشملهم العناية الربانية، ويصبحون قادة العالم، وتُرفرفُ راية الأمن على جميع أنحاء المعمورة، وينعم الجميع بفيض ذلك الوجود المقدس.

وإن سُمّيَ الخامس عشر من شعبان بيوم المستضعفين العالمي فليس في ذلك مبالغة وإغراق بل إنّها حقيقة ثابتة وأصيلة.

السلام علىٰ المهدي (عج)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

تأليف: أحمد فدائيي المهدي الموعود (عج)

إلىٰ الإمام المهدي (عج) الذي:

نهضتهُ بداية لنمو الأفكار وبشرىٰ لمحو الباطل.

وإلىٰ قائد الثورة الإسلامية في إيران الخميني الكبير الذي:

قيادتهُ تجلّي نيابة المهدي (عج) في غيبته، وسعيه لتحقيق أهداف ذلك الإمام.

وإلىٰ أمتنا الإسلامية التي بذلت الجهد بأتباعها لأوامر نائب الإمام الخميني، وتلاحمت مع ثورتها ضد الإستكبار العالمي، وبإيجاد بارقة أمل في قلب المستضعفين في الأرض تسير نحو حكومة الإمام المهدي (عج) العالمية...

«والسلام علىٰ ربيع الأنام ونضرة الأيام... المنتهي إليه مواريث الأنبياء»

«السلام علىٰ المهدي».

* «السلام علىٰ المولود في نصف شعبان، الذي ولد ليلاً عام ٢٥٥هـ.ق في بيت الإمام العسكري (ع).

* السلام علىٰ المولود في نصف شعبان، آخر ثمار شجرة الإمامة الطيبة ورافع راية الخلافة الإلهية علىٰ الأرض.

* السلام علىٰ تلك النجمة، آخر كواكب سماء الولاية والدرّ النيّر الوحيد المتبقي من خزانة العصمة.

* السلام علىٰ ذلك البدر، المضيء في ظلمة الليل، الذي يبعث نور الأمل في زوايا قلوب أتباعه.

* السلام علىٰ تلك الشمس، المحجوبة خلف ستار الغيبة، ورغم أن العيون لا يمكنها أن تراها جميعاً فإن ضياءها يملأ العالم أجمع.

* السلام علىٰ حجة الله الذي لا تستقرُّ الأرض لولاه لحظة، ولا ينمو الزرع دون بركة وجوده أبداً.

* السلام علىٰ ذلك الإمام المتعهّد بمسؤولية الأنبياء والأئمة المعصومين، والذي يحقق أهدافهم بظهورهِ.

* السلام علىٰ المهدي (عج) يوسف الرحمٰن الأسير في سجن الغيبة، ينتظر أصحابهُ ليزيلوا هذه القيود ويكسروا السجن...

* السلام علىٰ ربّان السفينة، الذي هو كنوح يقود سفينة النجاة، وبإعصار نهضته يمحق الكفروالظلم والنفاق، ويرفع شعار (لا إله إلاّ الله) فوق الأرض.

* السلام علىٰ المهدي (عج) الذي يذلُّ فرعون والفرعونيون لاستكبارهم كما فعل موسىٰ (ع).

* السلام علىٰ المُحيي، الذي يحيي الأرض الميتة من الكفر والظلم بأنفاسه كالمسيح، ويقذفُ روح الحياة في جسم البشرية الميّت.

* السلام علىٰ المهدي (عج) الذي يتحقق بنهضته انتصار الحق ويحكمُ عباد الله الصالحون في عهده ويرثون الأرض...

إرسال الرسل:

منذ وجد الإنسان في هذا الوجود وهو يفكّر في سبب خلقه وخلق العالم، ويسأل في نفسه (من أين جئتُ، ولماذا، وإلىٰ أين أذهب) يبحث

عن هدف الخلقة؛ ليحصل على جواب يُريح ضميرهُ ويتخلّص من الحيرة والتيه، ويسير نحو هدفٍ معين، والأشخاص الوحيدون الذين عرفوا الله بفطرتهم وبآتباعهم لأقوال الأنبياء الإلهيين الذين لا ينكرهم التاريخ، قبلوا إبلاغهم، هم الذين آستطاعوا أن يجدوا سبيلاً للخروج من وادي الحيرة والضلالة، أمّا الذين آبتعدوا عن هذا الخط وآتخذوا العناد، ومالوا إلىٰ الجهل وتاهوا في زوايا أفكارهم الضيقة المظلمة، وظَنّوا أنَّ عالم الخلقة عبث وبلا هدف.

إنَّ الأنبياء الذين بُعثوا من قبل الله لهداية الإنسان أنذروا البشر مراراً، أنْ يا أيها الإنسان:

﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾[1] و**﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلىٰ ربّك كدحاً فملاقيه﴾**[2].

وأيها الناس إن الله تعالىٰ يقول:

﴿أفَحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لا ترجعون﴾[3].

﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾[4].

وجاء الأنبياء بنداء التوحيد ليهدوا الناس إلىٰ عبادة الله.

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلاّ نوحي إليه أنه لا إله إلاّ أنا فآعبدون﴾[5]، ولييبنوا لهم هدف الخلقة بكلام الله إذ يقول:

﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلاّ لِيعبُدون﴾[6].

فليس لخلق الإنسان والعالم هدف سوىٰ عبادة الله تعالىٰ، وجُعِلَ

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٦.
(٢) سورة الإنشقاق: الآية ٦.
(٣) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.
(٤) سورة الدهر: الآية ٣.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.
(٦) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

الإنسان في حيِّز التجربة قبال الهداية الإلهية والإختيار الذي منحهُ الله تعالىٰ ليُعرف الموحّد والشاكر من الكافر المشرك ويتميَّزَ الإنسان الصالح الذي يعمل الصالحات عن غيره.

﴿... الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسنُ عملاً...﴾[1].

والأنبياء هم الواسطة بين الله والبشر بُعثوا بالرسالة لتحقيق هدف الخلق وتحقق الخضوع التام لله تعالىٰ، وتقع علىٰ عاتقهم مسؤوليتان في هذه الرسالة العظيمة:

١ ـ هداية البشر وإعادتهم إلىٰ فطرتهم الإلهية.

٢ ـ إقامة العدل والقسط بين الناس.

أولاً ـ هداية البشر وإعادتهم إلىٰ فطرتهم الإلهية:

إن الهداية في الأصل بيد الله تعالىٰ، ولا يجوز لأحد التدخّل في أمر الله تعالىٰ هذا. لكن الأنبياء الإلهيين وهم واسطة، يهيّئون الأرضية لهداية البشر، بإبلاغهم كلام الله ومنحهم ما يحتاجون من الهداية، ودعوتهم إلىٰ الله الواحد. يبيّن القرآن هذه الحقيقة مخاطباً الرسول:

﴿إنَّك لا تهدي مَن أحبَبتَ ولكنَّ الله يهدي مَن يشاء﴾[2].

فأمر الهداية هو من قبل الله فقط ولا أثر لهدايةٍ سوىٰ هدايتهُ **﴿إنَّ هُدىٰ الله هو الهُدىٰ اللّهِ﴾**[3] ولكن وظيفة الأنبياء هي إعادة الناس إلىٰ فطرتهم الإلهية وإعدادهم لأخذ الهداية الربّانية. ويقول الإمام علي (ع) في بيان علّة إرسال الرسل الإلهيين:

«فبعث فيهم رُسلهُ وواتر إليهم أنبياءهُ ليستأدوهم ميثاق فطرته

---

(١) سورة الملك: الآية ٢.
(٢) سورة القصص: الآية ٥٦.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٠.

ويذكروهم منسّي نعمته ويحتجّوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول»[1].

تتحدث العبارة المذكورة أعلاه عن سبب بعث الرسل وتبيّن هداية الناس من الحُجب الفطرية إلىٰ الفطرة الإلهية الخالصة.

وبهذا يستعمل لفظ (الهداية) اصطلاحاً بالنسبة للأنبياء أيضاً، وهم هُداة البشر من الآلهة المزيفة إلىٰ الإله الواحد. وكانت هذه الهداية تحصل بأمر الله وبواسطة كتاب هدايةٍ نازلٍ من قبل الله، وقد أكّد القرآن هذا بقوله:

﴿... وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا...﴾[2].

وجاء لفظ الهداية في الكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل واعتُبرت هذه الكتب، كتب هداية:

﴿وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدىً للناس وأنزل الفرقان﴾[3].

ونقرأ في القرآن: **﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدىً للناس وبيناتٍ من الهدىٰ والفرقان﴾**[4].

لذا فجميع الأنبياء هُداة أُمّتهم، ولهذا يقول ابراهيم الخليل لعمّهِ المشرك ـ آذر ـ:

﴿فاتّبعني أهدك صراطاً سوياً﴾[5]، ويخاطب الله الرسول الأكرم (ص): **﴿وإنكَ لتهدي إلىٰ صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السماوات الأرض﴾**[6].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.
(٣) سورة آل عمران: الآيتين ٣ ـ ٤. وتدلّ علىٰ الأمر آيات أخرىٰ كالآية ٤٤ ـ ٤٦ من سورة المائدة.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٥. والآيات ٨٩/ النحل، ٢/ النمل، ٧٧/ النمل، تدلّ علىٰ ذلك أيضاً.
(٥) سورة مريم: الآية ٤٣.
(٦) سورة الشورىٰ: الآيتين ٥٢ ـ ٥٣.

ويقول أمير المؤمنين (ع) عنهُ (ص):

«فبعثَ اللّهُ محمداً (ص) بالحق ليخرج عبادهُ من عبادة الأوثان إلىٰ عبادتهِ ومِن طاعة الشيطان إلىٰ طاعتهِ»[1].

ثانياً ـ إقامة القسط والعدل:

أحد أهداف إرسال الأنبياء هو إعداد الأرضية المناسبة ليُحاربَ الإنسانُ التمييز العنصري الظالم في المجتمع الإنساني، وينشر العدل فيه. وعلىٰ هذا الأساس ولتحقق هذا الأمر المهم آصطفى الله الأنبياء وأعطاهم الموازين وأُمِروا ليدعوا البشر إلىٰ العدل بما لديهم من الأدلّة وبيّنات وميزان إلهي وكتابِ هدايةٍ، يقول القرآن في هذا المجال:

﴿لقد أرسلنا رُسُلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾[2].

وهذه الآية تتحدث عن الأدلة والمعاجز التي كان الأنبياء يقدّمونها لرسالاتهم، وتتحدث أيضاً عن كتاب الهداية والميزان الذي أعطاهم الله إيّاهُ ليقوم الناس بالقسط والعدل.

كتاب الهداية الذي كان الله تعالىٰ ينزله علىٰ أنبيائه: هو وسيلة، وبأخذ الناس به، يمكنهم حلُّ آختلافاتهم والحكم علىٰ أساسِه:

﴿فبعث الله النبيّينَ مبشّرين ومُنْذِرين وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكُمَ بين الناس فيما آختلفوا فيه...﴾[3].

فكتب الهداية هذه وسيلة لرفع الاختلافات وتوثيق الأواصر بين الناس وإشاعة التفاهم والتعاون فيما بينهم.

وخاطب الله نبيّهُ الأكرم بشأن القرآن:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.
(٢) سورة الحديد: الآية ٢٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبيّن لهم الذي ٱختلفوا فيه وهدىٰ ورحمة لقوم يؤمنون﴾[1].

والجدير بالذكر أن رفع الاختلاف بواسطة كتاب الهداية كالقرآن الكريم يحتاج إلىٰ مفسّرين عالمين برموزه، وأسرارهِ، والذي يستفاد من آيات القرآن الأخرىٰ، وتأكيدات النبي في الأحاديث المتواترة (كحديث الثقلين). أن العارفين بكتاب الله حقاً هُم عترة النبي وخلفاؤهُ من بعدهِ، وما نبحثهُ الآن هو نفسُ موضوع رفع الاختلاف الذي ذكرهُ الله في القرآن وأرسل أنبياءهُ لتحقيقه وإقامة العدل.

وذكر القرآن موضوع إقامة العدل بالنسبة للنبي (ص)، عندما يُؤمَر النبي من قبل الله يقولَ: **﴿وأمِرتُ لأعدلَ بينكم﴾**[2].

فإقامة العدل من أهداف إرسال الأنبياء، وجميع الأنبياء كانوا يُتابعون هذا الهدف.

الحقائق:

قلنا ان الهدف من إرسال الرسل هو هداية البشر إلىٰ الله، وكسر قيود العبودية لغيره. ولإقامة العدل والقسط في المجتمع البشري، ويتضح من مطالعة تاريخ حياة الأنبياء وكيفية دعوتهم أنهم لم يبخلوا ببذل الجهود الحثيثة لأداء رسالتهم وهداية الناس وإقامة نظام العدل. وقد تحمّلوا كثيراً من المصائب والمتاعب والآلام في هذا السبيل.

أمّا ما يظهر من تاريخ الأنبياء وأمَمهم، فهو يتحدث عن حقيقة مُرّة ألَا وهي عدم موفقية الأنبياء التامّة علىٰ صعيد تحقيق أهدافهم المقدسة، وبعبارة أخرىٰ: إن أنبياء الله في طريق مأموريتهم لهداية الناس وتحريك فطرتهم الميتة واجهوا مخالفة الغالبية أو البعض من الناس، وكانوا يتعرَّضون إلى الضرب والشتم والسخرية والتكذيب. حتىٰ اتُّهم نوح النبي الذي كان يدعو

---

(١) سورة النحل: الآية ٦٤.
(٢) سورة الشورىٰ: الآية ١٥.

قومه إلىٰ التوحيد، اتُّهم بالكذب، وكانت عاقبة تكذيبهم وإيذائهم ومخالفتهم هي الطوفان الهائل الذي أصابهم، ونجا منهم نوح والقلّة من أصحابه بعون الله.

وكذلك النبي هود الذي دعا قومه إلىٰ التوحيد وثار علىٰ الشرك وعبادة الأصنام، لم يصغوا إلىٰ كلامهِ فحسب بل كذّبوهُ وقالوا له: هل أصابك من أصنامنا الضرُّ حتىٰ أصبحت عدواً لها! وكان عاقبة أمرهم الهلاك.

والنبي صالح أيضاً دعا قوم ثمود إلىٰ عبادة الله الواحد، لكنهم قالوا له: كنّا نأمل بك خيراً قبل أن تدّعي النبوة. لكننا الآن نشك فيما تدعونا إليه، وهلكوا بعد أن عقروا الناقة ونجا أصحاب صالح.

وكان ابراهيم الخليل (ع) يحذّر قومه من عبادة القمر والنجوم والأصنام التي يصنعونها بأيديهم، وكان يسعىٰ كثيراً لهدايتهم عن طريق المناقشة والاحتجاج وتعريفهم بالآيات في الآفاق وفي أنفسهم، ولكن لم يصغ إليه إلاّ القليل، وكانوا يهدّدونه بالتعذيب، ثم ألقوهُ في النار. وقد جعل الله تعالىٰ النار له برداً وسلاماً. لكنَّ هذا التعامل يبيّن حقيقة مرّة وهي إعراض الناس وعدم قبولهم للحق والهداية الإلهية.

وتعرّض لوط (ع) من قبل قومه إلىٰ الإيذاء الشديد ولم يتوانوا عن الإستهزاء والسخرية به، وكانت عاقبة أمرهم نزول البلاء السماوي عليهم وهلاكهم.

وشعيب أيضاً كان يدعو الناس إلىٰ عبودية الله وينهاهم عن الاحتكار وخسران الميزان، ويدعوهم إلىٰ العدل، تعرّض لتهديد قومهِ فقالوا له: إننا لا نفهم كلامك ولولا رهطك لرجمناك! وهدّدهُ كبار قومهِ بإخراجه من البلدة، حتىٰ أصابتهم الصيحة والعذاب وأُهلكوا بها.

وخصّ الله موسىٰ بالأدلة والبيّنات وبعثه إلىٰ فرعون وقومه، ليحذّرهم من الظلم والاستكبار، ويدعوهم إلىٰ عبودية الله الواحد، لكنهم لم يرتضوا كلامه، وهدّدوه بالقتل، وتعرّض لأنواع الضغوط من قبل فرعون وقارون،

ورغم أنّه انتصر علىٰ السحرة الماهرين، إلاّ أن فرعون لم يترك إيذاءهُ وأصحابه، حتىٰ وجب عليهم غضب الله وأغرقوا في النيل.

إن موسىٰ (ع) مع كل تلك الآلام التي تحملها ذلك الوقت والتشريد والظلم الذي تعرّض له، فبعد غرق فرعون وأتباعهُ آبتُلي بمصيبة أُخرىٰ من قبل أصحابه الجهلاء، وأصيب بالعذاب النّفسي لمقابلتهم له بالحجج الصبيانيّة، والعناد، والطلبات الحمقاء كطلب معبود جديد بهيئة الصنم! وكان يتلوّىٰ من حمقهم وجهلهم حتىٰ أنهم في زمن غيبته التي آستمرت عدّة أيام مالُوا إلىٰ عجل السامري وعبدوهُ. وبالتالي لم يستطع موسىٰ (ع) أن يمنع قومه من العناد والمخالفة بشكل تام، ويسوقهم إلىٰ العبودية الخالصة. وبعد وفاة موسىٰ عاقبهم الله تعالىٰ وأنزل عليهم بلاءً كثيراً.

وتعرّض يونس للإيذاء الشديد من قبل قومه حتىٰ ترك المدينة... وهكذا واجه جميع الأنبياء في طريق رسالتهم مخالفة قومهم وإيذاءهم، ولم ينجحوا بالمستوىٰ المطلوب لتحقيق أهداف السماء[1].

والنبي الأكرم (ص) بعد مواجهته لعناد المشركين عدّة سنين، وتحمّلهِ لإيذائهم. استطاع أن ينشر التوحيد في قسم محدود من شبه الجزيرة العربية، وقد آنتشر الإسلام من بعدهِ في مناطق أخرىٰ. لكن النفاق وهو غطاء الإسلام الظاهري يستر الكفر، كان منتشراً في مجتمع المسلمين، وبعد وفاة النبي الأكرم (ص) وجَّهَ ضربات مهلكة إلىٰ هيكل الإسلام، وأوجد موانع كثيرة من إقامة مجتمع متوازن قائم علىٰ أساس العبودية لله، ويحكمه العدل والقسط.

وبذلك فإن ما تُبيّنُهُ حقيقة تاريخ الأنبياء هو المخالفة الشديدة التي تبديها أمم الأنبياء تجاههم، وتبعاً لذلك عدم تنفيذ أوامرهم، وعدم تحقيق أهدافهم المقدسة، والقرآن يبيّن هذه الحقيقة بقوله:

---

(١) يمكنكم مطالعة قصص هؤلاء الأنبياء في سورة البقرة، والأعراف، والأنعام، ومريم، وطه، والأنبياء، والمؤمنون، والشعراء، والنمل، والقصص والعنكبوت و... وفي تفاسير القرآن و(قصص القرآن) وتاريخ الأنبياء.

﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوهُ. . .﴾[1].

ويقول في مكان آخر: ﴿وما يأتيهم مِن نبي إلاّ كانوا به يستهزؤون﴾[2].

وكان نبيّنا (ص) أيضاً يتعرض لاستهزاء وسخرية المشركين وكان يخاطبه الله تعالىٰ: ﴿ولقد استُهزىء برسل من قبلك﴾[3].

إن نزول البلاء السماوي علىٰ الأمم السابقة التي أشرنا إليها، يبيّن حقيقة مرّة، وهي أن الناس غالباً لم يستسلموا لتوجيهات الأنبياء الإلهية، وكانوا يختارون سبيل العصيان والطغيان.

نعم، لم تتحقق أهداف الأنبياء الإلهية في المجتمعات البشرية، ولم يتوفّقوا تماماً في حربهم ضد الكفر والنفاق والظلم وتكوين المجتمع الرافض لعبادة الأصنام والظلم واللامساواة، وكذلك الأوصياء وخلفاء الأنبياء والأئمة المعصومين (ع) أيضاً، لم يتوفقوا في ذلك، ولم يستطيعوا إحقاق الحق ودحر الباطل بشكل تام، فقد غُصِبتْ حقوقهم حتى في خلافة النبي الأكرم (ص) التي أوصىٰ بها لهم، وقد تعرّضوا لأنواع التعذيب والإيذاء من قبل حكام الجور في زمنهم، حتىٰ اُستشهد أحد عشر منهم، وحُرِمَ المجتمع من نور وجودهم وأحرقوا بذلك قلوب شيعتهم، فلَعَنَهُم الله.

استمرّتْ هذه المصائب المؤلمة في تاريخ الأئمة المعصومين حتىٰ استشهاد الإمام العسكري (ع) والتحق ذلك الإمام بآبائهِ الأطهار علىٰ يد خلفاء الجور العباسيين.

لكن الله تعالىٰ أخفىٰ آخر درّةٍ وجوهرةٍ من هذه الخزانة ـ كما سنشير قادماً ـ ليحقق له ما وعدهُ.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٤٤.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٧ وسورة الحجر: الآية ١١.

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٢، وسورة الأنبياء: الآية ٤١، وسورة الأنعام: الآية ١٠.

وعد الله الحتمي:

رغم أن الأنبياء والأئمة المعصومين لم يتمكنوا خلال حياتهم من تحقيق هدف الخلقة والإنتصار علىٰ الباطل، إلاّ أن وعد الله وإرادتهُ الذي لم يتغير منذ الأزل هو أن يمحو الباطل ويحقُّ الحق.

بشَّرَ زبور داود بأن الأرض يرثها عبادُ الله الصالحون[1].

كتاب (الزند) وهو صحيفة الزرادشتيين الدينية، اعتبر النصر العظيم لعباد الله علىٰ أتباع الشيطان، وبشّر بني آدم بالسعادة[2].

وكتاب (الباسك) من كتب الهنود السماوية اعتبر انتهاء الدنيا بظهور إمام وقائد يقف مع الحق والحقيقة، وأنّهُ يظهر ما أُخفي في البرّ والبحر والجبل، وتقبلُهُ الملائكة والإنس والجنُّ بالزعامة والإمامة[3].

والقرآن كتاب الإسلام السماوي، صرّح بأنَّ دين الإسلام آخر الأديان السماوية وهو الدين الوحيد الذي يرتضيه الله[4] من جهةٍ، وختم النبوة بمحمد (ص)[5]. ومن جهة أخرىٰ تحدّث عن انتصار الإسلام وغلبته علىٰ كل أديان العالم وقال:

﴿هو الذي أرسل رسولهُ بالهدىٰ ودين الحقّ ليظهرهُ علىٰ الدين كله ولو كره المشركون﴾[6].

---

(١) بشارات العهدين، ص ٢٣٦، وتدلُّ على هذه البشارة الآية القرآنية: **﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾** (سورة الأنبياء: الآية ١٠٥).

(٢) بشارات العهدين، ص ٢٣٧.

(٣) الأديان والمهدوية، ص ١٩، ويمكنكم أن تراجعوا في هذا الصدد كتاب (بشارات العهدين) تأليف الدكتور محمد صادقي صفحة ٢٣٤ وما بعدها.

(٤) **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾** (سورة آل عمران: الآية ١٩).
﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه﴾ (سورة آل عمران: الآية ٨٥).

(٥) **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾** (سورة الأحزاب: الآية ٤٠).

(٦) سورة التوبة: الآية ٣٣ وسورة الصف: الآية ٩. فسُرت هذه الآية بالإمام المهدي (عج) (بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٥٠).

وبشّر القرآن بتحقق إرادة الله لحاكمية المستضعفين وعباد الله الصالحين على الأرض، وأخبر عن تكوين مجتمع قائم على أساس عبودية الله، وليس للشرك فيه مجال وقال: **﴿وعدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي آرتضىٰ لهم وليبدلنَّهم مِنْ بعد خوفهم أمنا يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً﴾**[1].

قال المفضل: يظنُّ النواصب[2] ان الآية المذكورة تخص الخلفاء الراشدين فأجابهُ الإمام الصادق (ع): كلا، لا هدىٰ الله قلوبهم، في أيّ زمنٍ أُقيم دين الله ورسولهِ، وآنتشر أمر الله في الأمة ولم يكن في القلوب خوف ولم يوجد في الصدور شكٌّ؟ في عهد أيٍّ منهم كان ذلك؟ أم في عهد علي (ع)؟ مع أن المسلمين آرتدّوا عن الدين وحدثت الفتن في عهدهم وأُثيرت الحروب بينهم وبين الكفار؟ ثم تلا الإمام الصادق (ع) هذه الآية:

﴿حتىٰ إذا آستيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾[3].

كانت هذه نماذج للبشارات التي ذكرتها الأديان السماوية والكتب الإلهية بظهور الحق والعدالة في آخر الدنيا، ووعدت البشر بإقامة مجتمع لا يُعبد فيه إلاّ الله ولا يُعمل فيه إلاّ بالعدل.

لكن هذا النصر العظيم الذي بشّرت به الكتب السماوية، لم يحصل حتىٰ الآن، ولم يرَ البشر مجتمعاً كهذا. وإنما يتحقق ذلك بقيام الموعود، الذي يحمل معه التأييد الإلهي، والذي ينشر دين الحق في جميع أرجاء المعمورة، بآستناده إلىٰ القوة الإلهية الأزلية، والذي يزيل الظلم والجور والفساد، ويبسط العدل والقسط، وعند ذلك لا يطوي الإنسان سوىٰ سبيل العبودية، وسيتحقق بذلك هدف الأنبياء.

---

(١) سورة النور: الآية ٥٥ ـ فُسّرت هذه الآية بالإمام المهدي (عج) (بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٥٤).
(٢) النواصب هم مجموعة من المسلمين كانوا يُعادون أهل بيت العصمة (ع) عداوة شديدة، هي في حدّ الكفر.
(٣) كمال الدين، ج ٢، الباب ٣٤، الحديث ٥١، ص ٢٥. والآية في سورة يوسف ـ ١١٠.

هذا الرجل الإلهي وطبقاً للروايات الإسلامية الواردة عن السنة والشيعة اسمهُ (المهدي) وهو من سلالة فاطمة الزهراء (ع)، ومن نسل الإمام الحسين (ع) وأهل بيته المعصومين وثاني عشرهم[1]. أهل البيت الذين أوصىٰ بهم النبي في حديث الثقلين وجعلهم بمستوىٰ القرآن وأوصى من يطلب الهداية والنجاة من الضلال بالتمسك بهم وبالقرآن، وهما لن يفترقا، ومَن تركهما أو فرّق بينهم ضلّ[2].

وجاء في حديث قدسي[3] ويوجد في بعض مصادر أهل السنة، بعد ذكر الأئمة الأربعة عشر المعصومين:

«... ومحمد المهدي بن الحسن كأنه كوكب دريّ بينهم... المهدي منهم الثائر علىٰ من قاتل عترتك وعزتي وجلالي انه المنتقم من أعدائي والممد لأوليائي»[4].

كما يظهر من الروايات المتواترة أن المهدي يحيي دين الله بظهورهِ وينشر الإسلام في العالم، ويطهّر الأرض من الكفر والجور والنفاق، ويبسط العدل والقسط، ويتحقق هدف الخلقة وهو عبودية الله الواحد، في حكومته، وتتحقق عملياً أهداف كل الأنبياء التي لم يمكنوا من تحقيقها.

وهذا هو وعد الله الحتمي الذي يتحقق في أن يكون المهدي بطل ساحة انتصار الحق علىٰ الباطل، ويسيطر علىٰ شرق الأرض وغربها، ويرفع نداء الله من أول الدنيا إلىٰ آخرها، وسيمضي العالم علىٰ ذلك السبيل حتىٰ يوم القيامة.

---

(١) سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ٢٦٩: قال الرسول (ص): المهدي منا أهل البيت، وفي فضائل الخمسة ج ٣، ص ٣٢٧، أن المهدي من أهل بيت النبي من ولد فاطمة عليها السلام... من ولد الحسين (ع). وفي هذا المورد يمكن مراجعة كتاب إحقاق الحق ج١٣ ـ ص ٩٨، ١١١، ١١٩.

(٢) صحيح الترمذي المجلد ١٣، ص ٢٠٠. وصحيح مسلم المجلد ٧، ص ١٢٢.

(٣) الحديث الذي هو من كلام الله النازل علىٰ الأنبياء.

(٤) المهدي، ص ٢٣٧ نقلاً عن ينابيع المودة ص ٤٨٦.

نقل الإمام الرضا (ع) عن آبائهِ عن الرسول (ص) أنه قال الله عز وجل في المعراج: «اللهمَّ مَن هم خلفائي؟ وجاء النداء: أن يا محمد إن خلفاءك مكتوبون علىٰ لوح العرش، أولهم علي (ع) وآخرهم المهدي (ع)، وعزتي وجلالي سأُطهّر الأرض بآخرهم من الظلم والجور وأُملّكُهُ الأرض شرقها وغربها، وأسخّرَ له الهواء و... وأنصرهُ بجُندي، وأُمدّهُ بملائكتي، ليقيموا دولة الحق، ويدعوا الخلق للتوحيد ثم أُتمم ملكه وحكومته حتىٰ يوم القيامة»[1].

والآن نبحث في تحقيق أهداف الأنبياء علىٰ يد الإمام المهدي (ع)، وفي أمر هداية البشر نحو الله وإقامة العدل والقسط:

١ ـ هداية البشر إلىٰ فطرتهم الإلهية وإقامة نداء الحق:

إيجاد مجتمع قائم على أساس عبودية الله الواحد هو من الأمور التي تتحقق علىٰ يد الإمام المهدي (عج)، وتدلّ علىٰ ذلك أقوال النبي الأكرم (ص) وسائر المعصومين (ع) التي وردت عن طريق أهل السنة والشيعة، وٱعتبرت عهد المهدي عهداً خالياً من شوائب الشرك والإلحاد والكفر، بنحو لا يبقىٰ في الأرض مكان لا يرتفع فيه نداء (لا إله إلاّ الله) والشهادة برسالة محمد (ص) (محمداً رسول الله)[2]. ولا يبقىٰ يهودي ولا نصراني ولا أهل ملّة إلاّ وٱعتنق الإسلام[3]، ويصبح الإسلام أمّة واحدة، وستحترق كل الأصنام والأوثان في نار غضب الله وتهلك وتفنىٰ[4].

عند ذلك يدعو المهديُ الناسَ إلىٰ الهداية والقرآن وسنة النبي الأكرم (ص)[5] ويبدأُ أمرَ الهداية، كما كانَ كلُّ إمامٍ هادياً ومرشداً في زمنِهِ[6].

---

(١) المهدي، ص ٢٣٧ نقلاً عن (ينابيع المودة).
(٢) إحقاق الحق المجلد ١٣، ص ٢٥٣ و٣٢٥ ومنتخب الأثر، نقلاً عن ينابيع المودة.
(٣) منتخب الأثر ص ٢٩٥ و٤٧١ وإحقاق الحق المجلد ١٣ ص ٣٣٤.
(٤) منتخب الأثر ص ٤٣٦ ج ١٥ ومكيال المكارم المجلد ١ ص ٢٠٠.
(٥) منتخب الأثر، ص ٢٩٧.
(٦) كمال الدين، ص ٦٦٧.

وسيطبق في زمنه قول الله في القرآن: **﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾** بشكل تام[1].

ففي زمن المهدي (عج) تحيا الأرضُ بعد موتها، قال تعالىٰ: **﴿إعلموا أنَّ اللّهَ يحيي الأرض بعد موتها﴾**[2].

ولن يصلحَ دين الله إلاّ بيده (ع)[3]، وعند ظهورهِ لا يُعبد سوىٰ الله[4]، ويبلغَ دين محمدٍ جميع أرجاء الأرض حتىٰ لا يبقىٰ أيّ شرك بعدهُ، ويتحقق قوله تعالىٰ: **﴿ويكون الدين كلّهُ لله﴾**[5].

ويُستجابُ دعاء نوح مرة أخرىٰ في حكومة المهدي (عج)، الذي دعا ربّه: **﴿ربّ لا تذر علىٰ الأرض من الكافرين ديّاراً﴾**[6].

وفي ذلك الوقت لا يمكن حتىٰ للمنافق مع ريائهِ أن يفرَّ من قبضة عدل المهدي (عج) لأنَّ هذه الآية تتحقق في ذلك اليوم:

﴿يُعرَفُ المُجرِمُونَ بِسِيمَاهُم فَيُؤخَذُ بالنَّواصي والأَقدَامِ﴾[7] وكما يقول الإمام الصادق (ع) يُقتَل المنافقين والكفار في ذلك اليوم بسيف عدالة المهدي (عج)[8].

والجدير بالذكر أن المهدي (عج) يتمُّ الحجة علىٰ أعداء الله عند

---

(١) تفسير البرهان ج ٢ ص ٤٤١ ومنتخب الأثر ص ٤٧١ وبحار الأنوار ج ٥١ ص ٦٢ ـ إذا قام القائم ذهب دولة الباطل.

(٢) بحار الأنوار المجلد ٥١، ص ٥٤، ج ٣٧، وكمال الدين المجلد ٢ ص ٦٦٨ (عن الإمام الباقر (ع)).

(٣) إحقاق الحق المجلد ١٣، ص ٢٦٠.

(٤) منتخب الأثر، ص ٤٧١.

(٥) بحار الأنوار المجلد ٥١ ص ٦٠ ومنتخب الأثر ص ٢٩٠ نقلاً عن ينابيع المودة.

(٦) مكيال المكارم المجلد ١، ص ١٧٢.

(٧) بحار الأنوار، المجلد ٥٢، ص ٣٢٠، ج ٢٦

(٨) إحقاق الحق المجلد ١٣، ص ٣٥٣.

ظهورهِ، ولا يَدَعَ أقلّ عذرٍ بإظهارهِ لمعاجز الأنبياء وأوصيائهم[1]. ثم يطهّر الأرض من أعداء الله، ويرضىٰ الله بتطهيره للأرض منهم[2].

٢ ـ إقامة القسط والعدل:

من أهداف الأنبياء الذين أرسلوا إلى الناس مع الكتاب الإلهي والميزان إقامة العدل بين الناس. انتُخِبَ الأنبياء طبقاً للموازين الإلهية ليقيم الناس القسط والعدل، ولكننا رأينا أن أيّاً من الأمم لم تخضع تماماً للأنبياء، ولم يتّبعهم سوىٰ القلّة المعدودة، ومن ثمّ لم يتحقق هدف الأنبياء في إقامة العدل والقسط.

وكما ورد في الروايات المتواترة يحصل هذا الأمر المهم في زمن المهدي (عج) فتمتلىء الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، ويهلك الظالمون والجبابرة في عصرهِ، ولا يبقىٰ للظلم والإستكبار عين ولا أثر، وهذه الحقيقة من البديهيات بالنسبة للإمام المهدي (عج) حتىٰ اقترن اسمهُ في الروايات الخاصة والعامة بإقامة العدل والقسط: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً»[3].

نعم، إن المهدي (عج) يذلُّ المستكبرين وينتقم للمستضعفين من طواغيت الدهر، ويهلكُ الجبابرة الذين أُمهِلُوا إلىٰ ذلك الوقت، وتُطَهَّرُ الأرض من وجود الظلم والظالمين، و«إنه المهدي (عج) ينتقم من طغاة ومستكبري قريش، وبني أمية وسائر الجبابرة»[4].

يحكم العدل في زمنه حتىٰ تجد الوحوش والحيوانات الأمن فيه وتُقسَّم المال بعدالة ويشيع الغنىٰ، ويرضىٰ عنه أهل السماء وأهل

---

(١) ما من معجزة من معجزات الأنبياء والأوصياء إلاّ ويظهر الله تبارك وتعالى مثلها علىٰ يد قائمنا لإتمام الحجة علىٰ الأعداء. عن الإمام الباقر (ع). (مكيال المكارم ج ١، ص ١٦٧).

(٢) منتخب الأثر ص ٦٢ ومكيال المكارم المجلد ١ ص ٧٩.

(٣) سنن أبي داود المجلد ٢، ص ٤٢٢ و٢٠٨ ومسند أحمد بن حنبل المجلد ٣ ص ١٧ وفضائل الخمسة المجلد ٣ ص ٣٢٧.

(٤) مكيال المكارم المجلد ١، ص ٢١٣.

الأرض[1]. ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربها**﴾[2]، قال الإمام الباقر (ع): «يحييها القائم (ع) فيعدل فيها فيحيي الأرض بالعدل بعد موتها بالظلم»[3]وبذلك يحقق هدف الأنبياء.

يفتح الله بظهوره شرق الأرض وغربها، وينزل عيسىٰ المسيح من السماء ويقتدي به، ويصلي خلفه[4].

ويكون أصحاب الكهف أنصاره وأعوانه[5]. ويمدّه الله بالقوىٰ الغيبية الإلهية ويسهّلَ أعمالهُ[6]؛ لأنّ أثره عظيم ومسؤوليته خطيرة، بقدر أهمية نتيجة ظهوره وبعظمة الهدف الذي ينفّذهُ المهدي (عج)، ولم يتوفق أنبياء الله لتنفيذه. لذا فالمهدي يحمل علىٰ عاتقهِ رسالات كل الأنبياء وعبئها الثقيل، وتجتمع فيه سُنّة كل الأنبياء[7] ويُظهر الله علىٰ يديه معاجز كل الأنبياء لتتم الحجة علىٰ كل أعداء الله[8]. وهذا الأمر الخطير، أي تحقيق أهداف الأنبياء، يرتبط بهذا الموضوع، وهو أن المهدي عند ظهوره يستند إلىٰ الكعبة ويقول:

«أيها الناس، مَن أراد منكم أن ينظر إلى آدم وشيت، فأنا الآن آدم وشيت، ومَن أراد أن يرىٰ نوحاً وابنه سام، فأنا نوح وسام، ومَن أراد أن ينظر إلىٰ ابراهيم واسماعيل، فأنا ابراهيم واسماعيل، ومن أراد أن يرىٰ موسىٰ ويوشع، فأنا موسىٰ ويوشع، ومَن أراد أن يرىٰ عيسى وشمعون، فأنا عيسىٰ وشمعون، ومَن أراد أن ينظر إلىٰ محمد (ص) وعلي (ع)، فأنا الآن محمد (ص) وأمير المؤمنين (ع) ومَن أراد أن يرىٰ وجه الحسن والحسين

---

(١) فضائل الخمسة المجلد ٣، ص ٣٣٦ وص ٣٤٠ وإحقاق الحق المجلد ١٣ ص ١٨٧.
(٢) ينابيع المودة ص ٤٤٨ ومنتخب الأثر ص ٢٤٠.
(٣) منتخب الأثر ص ٤٧٨ نقلاً عن ينابيع المودة.
(٤) سنن ابن ماجة المجلد ٢ ص ٢٦٧.
(٥) إحقاق الحق المجلد ١٣ ص ٢٦٦.
(٦) كمال الدين ص ٦٧٤ ومنتخب الأثر ص ٤٨٣ و٢٩٢.
(٧) منتخب الأثر ص ٢٤٠ و٣٠١.
(٨) مكيال المكارم ج ١، ص ١٦٧.

(ع) فأنا الحسن والحسين، ومن طلب رؤية الأئمة من نسل الحسين (ع) فأنا الأئمة (ع). نفّذوا أوامري، فسأخبركم بما تعلمون وما لا تعلمون»[1].

أجل، هو الذي يرتدي رسالة الأنبياء، ويؤدي مسؤوليتهم الخطيرة، فهو ابراهيم الخليل الذي أُمِرَ بإخراج الناس من عبادة الأصنام، وهو عيسىٰ ابن مريم الذي يحيي بأنفاسه أموات الأرض، الذين أهلكوا من شدة الكفر والظلم، وهو موسىٰ الكليم الذي خلّص قوم بني إسرائيل الضعفاء من ظلم فرعون وجنوده. والمهدي (عج) سيعزُّ الشيعة المستضعفين ويُذلُّ الكفار والمستكبرين حتىٰ تناديه الشيعة:

«يا معز المؤمنين المستضعفين، ويا مذلَّ الكافرين المستكبرين»[2].

فهو كجدّهِ العظيم محمد المصطفى (ص) وقد تقبّل دعوته ويهدي بهدايتهِ ويعمل بطريقتهِ وقد ورث (السيف) منه يهدّم أسس الجاهلية كرسول الله (ص) ويعرض الإسلام بصورة حية بعيداً عن الإنحراف[3] ويكون الدين الوحيد للأمة الواحدة في ذلك الوقت، ويتلو القرآن للناس كما نزل علىٰ رسول الله[4]، وقد ظهرَ فيه الشبه برسول الله حتىٰ في الإسم والكنية والخَلق والخُلق، وان النبي (ص) قال: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقَاً وخُلُقاً»[5].

وقد ورث المهدي (عج) من آبائه المعصومين صفات عديدة[6]. وإن

---

(١) مكيال المكارم ج ١، ص ١٦٧.

(٢) جملة من دعاء العهد.

(٣) منتخب الأثر ص ٣٠١ و٣٠٥، قال الصادق (ع): وأما سنة من محمد فالسيف. واما سنة من محمد فيهتدي بهداه ويسير بسيرته، يصنع كما صنع رسول الله (ص) يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام جديداً. فضائل الخمسة ج ٣ ص ٣٣٢ قال الرسول: يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان...

(٤) مكيال المكارم المجلد ١، ص ٢١٨.

(٥) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ٣٢٤ ومكيال المكارم ج ١ ص ٢٢٦.

(٦) مكيال المكارم.

مسؤولية إمامته التي بدأت من سن الخامسة، هي مجموعة من مسؤوليات آبائهِ، وبظهوره تتّسع إمامته لكل العالم، وإن إمامة المهدي (عج) هي مجموعة من رسالات كل الأنبياء وإمامة كل الأوصياء وتحقيق لأهدافهم.

«اللهم أصلح عبدك وخليفتك بما أصلحت به أنبياءك ورسلك».

نعم إن ظهور المهدي (عج) هو وعد الله الحتمي، وأنهُ يحقق أهداف الأنبياء ولو بقي يوم واحد من عمر الدنيا. وهذه الحتمية أكيدة بحيث ورد أن من أنكر خروج المهدي فقد كفر»[1].

ولكن ما دام البشر معانداً ومخالفاً لكلام الله كالأمم السابقة، ولا يريد الخضوع للحق، ولم يوجد في نفسه روح تقبّل كلام المهدي (عج) الحق، وبالتالي لم يُعدّ الأرضية لظهور الإمام، فهل يُؤمَلُ بظهوره وقيامه، وحكمهِ بين الناس؟

فلو كان من المقرّر أن يظهر المهدي (عج) من غير أن يتقبّلهُ الناس وكالأئمة والأنبياء السابقين يبلّغ كلام الله بين الناس، فما هو الفرق في العمل بينه وبين الأنبياء والأوصياء السابقين الذين جاؤوا وكذّبتهم أقوامهم؟ في هذه الحالة لماذا أخفاهُ الله عن الأنظار وختم به سلالة الأوصياء الذين جاؤوا وكذّبوا واُستُشْهِدوا؟

ألم تكن حياة المهدي (عج) الخفية وغيبته عن الأنظار لأجل عدم استحقاق هذا الإنسان الذي خاصم الأنبياء وأولياء الله على طول التاريخ؟ أليست هذه الغيبة لأجل الظلم وإسراف الإنسان على نفسه؟ قال الإمام علي (ع):

«اعلموا أن الأرض لا تخلوا من حجة لله عز وجلَّ، ولكن الله عز وجل سيعمي خلقه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم»[2].

فمن الحق أن نقول «وجودهُ لطف وغيبتهُ منّا».

---

(١) منتخب الأثر، الفصل ٢، الباب ١، نقلاً عن العرف الوردي في أخبار المهدي.
(٢) كتاب الغيبة (محمد بن ابراهيم النعماني) ص ١٤١.

. . . ألم يؤكد أئمتنا مسألة إعداد أرضية الفرج، ألم يؤكّدوا أنه أفضل العبادات:

«أفضل العبادة أنتظار الفرج» و«انتظار الفرج من أعظم الفرج»[1]، ألم يكن كل ذلك للإستعداد وحصول روح التسليم للحق وقبول حجة الله المهدي (عج)؟

وهل يمكن إيجاد أرضية قبول المهدي من آل محمد (ص) إلاّ عن طريق إيجاد العطش الشديد والحاجة الشديدة لذلك الإمام الصالح؟

ألا يجب أن يصل هذا الإستعداد إلىٰ حدّ نستعدُّ فيه للتضحية بأرواحنا من أجله وكما قال الإمام الصادق: «المنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله»[2].

هل يمكن القيام بعملٍ يمنع تأخير الظهور، في حين أنه ليس لظهوره (عج) وقت معيّن؟

أليس من المؤسف أن يسعىٰ الإنسان المختار الذي له أثر في تعجيل الظهور وبإمكانه ذلك لتحقيق ما جاء من أجله عشرات الآلاف من الأنبياء؟

أيّها البشر الغافل ماذا جنيت من مخالفتك لأنبياء الله علىٰ طول التاريخ، ولا زلت غافلاً لم تُجبْ نداء الذين ينادونك من خلال القرون والعصور؟

أيّها الإنسان، ألا تنظر للسابقين كيف أُذلّوا وهلكوا مع كل حضاراتهم العظيمة لمخالفتهم الحق؟

ألا تجد في التاريخ عبرة، لترىٰ أنك لو نهجت نهج آبائك وأجدادك فستحترق بالنار التي أوقدْتَها بنفسك! ولا معين لك عند ذلك؟

أيّها الإنسان عُدْ إلىٰ صوابك، وفكّرْ قليلاً، بأن هؤلاء الأنبياء لم يأتوا

---

(١) بحار الأنوار، المجلد ٥٢.
(٢) كمال الدين، ص ٤٩٦.

عبثاً ولا لأجل مصلحة، أو لأهواء شخصيّة، بل لأجل الإصلاح وإنقاذك من العذاب الذي تعيشه، وإيصالك إلىٰ السعادة المنشودة، لكنّك لم تقبل مع الأسف وكذَّبْتَهم وسخرت منهم، ولم تتبع خلفاءهم أيضاً رغم أنهم كانوا حجة الله علىٰ الأرض، وتسير الأفلاك بواسطتهم وانهم لم يبلغوك سوىٰ كلام الله ولم يريدوا سوىٰ سعادتك!!

نعم، لم يتبعوا المعصومين أيضاً، رغم أن القرآن أوجب طاعتهم، وجعلها بمستوىٰ طاعة الله، ولم يعرفوا حقّهم، بل غصبوهُ وقتلوهم، رغم أنهم كانوا خلفاء الله، وآياته علىٰ الأرض، حتىٰ أن الأرض لا تستقرّ لحظة بغير وجودهم، بل تخسف بأهلها، لكنَّ لطف الله العظيم شملهم ولم تخلُ الأرض من وجودهم لحظة علىٰ الرغم من كفرهم وطغيانهم.

والآن احتفظ المهدي (عج) خلف حجب الغيبة، لعلَّ الإنسان يستيقظ ويعقل ويسعىٰ لقبول إمامة ذلك الإمام وآية الله ويخضع لهُ، لتحصل الأرضية لعبادة الله الواحد وعدم الشرك به.

فيا أيها المسلم، تعالى لنسعَ أكثر من ذي قبل كي لا نكون من مكذّبي الأنبياء والأئمة المعصومين لأن «مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

تعال لنمنع تأخير ظهور الإمام وننال المطلوب الحقيقي، بمعرفة الإمام التامة وتعريفه للآخرين والسعي لإيجاد أرضية الظهور.

ليكونَ ما نقوله بألسنتنا: (اللهم عجل فرج إمام الزمان) من أعماق قلوبنا ونثبته علمياً.

تعال كي لا نكون في زمرة الأمم السابقة التي كذّبت الرُسُل، ونعاهد إمام زماننا علىٰ الوفاء، وفي هذا السبيل نصغي إلىٰ قول الإمام الصادق (ع) بأرواحنا:

«مَن سره أن يكون من أصحاب القائم فلينظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده، كان له من الأجر مثل أجر

مَن أدركه، فجدوا وأنتظروا هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة...»[1].

والآن وقد أنتصرت ثورتنا الإسلامية بقيادة الإمام الخميني، يحسن بكل واحد منّا أن يعتبر نفسه حارساً وجندياً لهذه الثورة، ونسعىٰ لنشرها في أرجاء العالم، لنجعل الدنيا مهيّأة لقبول نهضة المهدي العالمية، ونعتبر أنفسنا مُخاطبي قائد الثورة الذي قال في لقائه حرس الثورة:

«إن عليكم مسؤولية ثقيلة الآن، وإن الله تعالىٰ والمهدي سلام الله عليه ينظران إليكم، تحفظكم الملائكة، وتُعرضُ صُحُف أعمالكم علىٰ إمام العصر سلام الله عليه»[2].

وقال أيضاً:

«إننا جميعاً ننتظر الفرج، وعلينا أن نخدم في الإنتظار، إنتظار الفرج، هو انتظار سلطة الإسلام، وعلينا أن نسعىٰ لتحقُّق قدرة الإسلام في العالم وتتهيّأ مقدمات الظهور»[3].

«فجدوا وانتظروا هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة...».

---

(١) منتخب الأثر، ص ٤٩٧.

(٢) كلام الإمام الخميني في لقائه حرس الثورة/ فرع قرجك وورامين.

(٣) كلام الإمام الخميني في لقائه مع رياضيّي مشهد.

الفصل الحادي عشر

رئيس المصرف الشعبي في إيران

صورة عن حكومة وليّ الله الأعظم العالميّة

بقلم: الدكتور كريم كيائي

﴿وعدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾[1].

هذا وعد الله لعبادِه المؤمنين الصالحين، ويشهد القرآن بأن الله تعالىٰ وعَد ذلك عبادهِ الصالحين في زبور داود ـ من قبلُ أيضاً ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنَّ الأرضَ يرثُها عبادي الصالحون**﴾[2].

لنبتعد أكثر، فهل يعرف تاريخ البشر عصراً خالياً من نزاعِ أهل الحق والباطل؟ منذُ اليوم الأول من خلق البشر سعىٰ الطاغوت الداخلي والشيطان الخارجي في إعاقةِ حركة حجج الله، ودفاع رجال الله عن أنفسهم طوال التاريخ أوجدَ أفضل الصور الحماسية في تاريخ الإنسان. ونقاط القوّة هذهِ ـ في أشد شروط الزمن ـ تبين آنتصار كلمة الحق وعباد الله المخلصين، قال الله تعالىٰ: ﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المُرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهُم الغالبون**﴾[3].

---

(١) سورة النور: الآية ٥٥.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.

(٣) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.

كان هذا الحكم القاطع مبعث أملٍ لرسل الله وأوليائه. لا شك أن انتصار الحق علىٰ الباطل يتم بواسطة قيام المهدي (ع) السماوي العظيم.

يقول الشهيد المطهري: ـ يُستفادُ من مجموع الآيات والروايات أنَّ ظهورَ المهدي الموعود (عج) آخر حلقةٍ من حلقات الصراع بين الحق والباطل الذي نشبَ منذُ بدء العالم. المهدي الموعود تحقق للأنبياء والأولياء ورجال مجاهدة الحق ضد الباطل[1].

ولهذا تعتبر الحكومة الإسلاميةُ والمجتمع في زمن الظهور قدوة لأتباعِ كلّ الأنبياء والأئمة (ع)، والثورة الإسلامية في إيران بوصفها شعاعاً مِن تلك الشمس عليها أن تُفكّر في إيجاد ذلك المجتمع، ليتمّ إصلاح المصلح بعونِ الله وسعي الصالحين كما قال مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران في خطابه في نصف شعبان عام ١٤٠٠هـ: ـ «لا يمكننا التعبير عنهُ [الإمام المهدي] بأي تعبير، إلا أنه المهدي الموعود الذي ادّخرهُ الله للبشر، وعلينا أن نعدُّ أنفسنا حتىٰ إذا قابلناه أو زُرناهُ نكون بوجهٍ أبيض أمامهُ، إن الأجهزة التي تعمل في بلادنا الآن نتمنىٰ أن تشمل البلدان الأخرىٰ وعليهم أن يعدوا أنفسهم للقاء الإمام المهدي سلام الله عليه».

وبالاستفادة من الآيات القرآنية وروايات المعصومين (ع) نذكر بشكل إجمالي بعض خصائص المجتمع الذي يقيمهُ عِندَ ظهوره.

وتجب الإشارة في بدء البحث إلىٰ أنّ ما يقال حول مجتمع زمن الظهور لن يوجد فجأة. بل أن المهدي (عج) كسائر الأئمة المعصومين (ع) يهدي الناس خلال فترة من الزمن، وان الفرق بينهُ وبين سائر الأئمة (ع) هوَ أنهُ بعد إتمام الحجة علىٰ المخالفين الداخليين والأعداء في الخارج، لا يتقي بعد ذلك، ويقابل الأعداء بالسيف.

جاءَ في الروايات: «يصلح الله أمرهُ في ليلة واحدة» ذكر مضمون هذهِ الرواية في أحاديث كثيرة، وهي تفيد استمرار الانتظار، وأنه لا يوجد وقت معين لهُ، وعلىٰ الأمة الإسلامية أن تنتظر ظهور إمامها الموعود كُل لحظة.

---

(١) قيام المهدي ـ الشهيد مُطهري ص ٦٨.

إن ما يصلح في ليلة واحدة هو ظهور الفرج. وتوجد فترة بين زمن الظهور إلىٰ أن يبدأ الإمام الحرب، وتستغرق هذهِ الفترة في هداية الناس وإتمام الحجة عليهم، وذكر لعدم تعيين زمن الظهور توضيحٌ في رواية عن الإمام الجواد (ع):

«وإن الله تبارك وتعالىٰ ليصلح له أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمه موسىٰ عليه السلام إذ ذهب يقتبس ناراً فرجع وهو رسول نبي»[1].

من البديهي أنّ ما تعيّن في تلك الليلة هو أنْ أُمِرَ موسىٰ بالذهاب إلىٰ فرعون فقط، وقد مرت سنين إلىٰ أن هلك فرعون، ووجدت الأمة الموحدة، وفي الأسطر اللاحقة سنشير إلىٰ مشاكل إمام العصر (عج) بين مجتمع زمن ظهورهِ كما أوردتها الروايات، وان لهُ مسؤولية كرسالة النبيّ الأكرم (ص) بالنسبة لأفراد زمانهِ، وأن هذا التغيير والإصلاح تدريجي ويبدأ بإتمام حجتهِ عليهم[2].

وإليكم بعض خصائص المجتمع الإسلامي في زمن ظهور المهدي (عج):

١ ـ الحكومة الإلهية العالمية:

كانت حكومة الإسلام العالمية، هدف أنبياء الله وأوصيائهم، الهدف الذي لم يحققوه إلاّ فترات قصيرة، وواجهوا في تلك الفترة القصيرة أنواع المؤامرات الخارجية، والمقاومة الداخلية، لكنَّ قيام المهدي (عج) يكون في وقت تكون الأمّة فيه مستعدّة لقبوله من الداخل، وقد سُحِقَ الأعداءُ من الخارج، فيؤدّي ذلك إلىٰ قيام حكومة مبتنية علىٰ التوحيد، والقضاء علىٰ الشرك والكفر والنفاق في جميع أنحاء العالم.

قال تعالى: **﴿وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدينُ كلّه لله﴾**[3].

---

(١) كمال الدين للصدوق، الترجمة الفارسية، ج ٢، ص ٤٩. يشير إلىٰ القصة المذكورة في القرآن.
(٢) العالم في عصر الموعود، الدكتور سروش، ص ٦٣ ـ ٦٤.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٩.

وقال الإمام الباقر (ع) في تفسير هذه الآية: «لم يأتِ تأويل هذه الآية بعدُ، لو قام قائمنا فإنّ مَنْ يدركه سيرىٰ أنَّ دين محمّدٍ (ص) سيأتي كما يأتي الليل، لكي لا يبقىٰ علىٰ الأرضِ شركٌ»[1].

بُشّرَ العالمَ بشمولية دين الله في مواردَ أخرىٰ، من جملتها الآية الآتية التي ذكرت في مواقع ثلاثة من القرآن: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحقّ ليظهره علىٰ الدين كلّه﴾**[2].

وقد أرجع أئمتنا (ع) تأويل هذه الآية إلىٰ ظهور الإمام المهدي (ع) أيضاً[3]. يبيّن الإمام الصادق (ع) سعة نداء الشهادتين في زمن الظهور بهذه العبارة: «عندما يقوم القائم لم يبقَ مكانٌ في الأرض إلاّ وسُمع فيه نداء الشهادتين ـ (لا إله إلاّ الله، ومحمّد رسول الله) ـ»[4].

ويقول الإمام الباقر (ع) في رواية طويلة حول ظهور المهدي (ع): «يقاتلون والله حتّىٰ يوحَّد الله ولا يشرك به شيء، ولولا ما يدركهم من السعادة لبغوا»[5].

الأمر الرائع في هذه الرواية هو أن السعادة والتوفيق الإلهي يمنع من بغيهم واعتدائهم. فمن الآفات التي تصيب الثورات هو عودتها إلىٰ الظلم والبغي بعد انتصار الثورة، وأساس ذلك هو عدم تزكية الباطن. إن (عدم التزكية) هذا يؤدي إلىٰ أن يتحول الذين ثاروا علىٰ الظالمين السابقين بعد فترة من انتصارهم إلىٰ ظالمين جدد، وهكذا تتكرر الأحوال. وكما في دعاء الإمام علي (ع) عند توجهه لحرب صفين من عبرةٍ ونصيحة: ـ

«اللهم إنْ أظهرتنا علىٰ عدونا فجنّبنا البغي، وسددنا للحق، وإن

---

(١) منتخب الأثر ـ لطف الله الصافي ص ٣١٢ ـ ٣١٣، ينقل خمسة أحاديث في هذا الصدد.
(٢) سورة التوبة: الآية ٣٣، سورة الفتح: الآية ٢٨، سورة الصف: الآية ٩.
(٣) الزام الناصب، ج ١ ص ٦٤.
(٤) بحار الأنوار ـ ج ٥٢، ص ٣٤٠.
(٥) بحار الأنوار ـ ج ٥٢، ص ٣٤٥.

أظهرتهم علينا فأرزقنا الشهادة وأعصمنا من الفتنة»[1]. وجاء في كتاب (قاموس القرآن) حول معنىٰ (البغي):

«البغي: طلبٌ مع تجاوزٍ عن الحدّ...»[2] فالبغي حالة توجد عند انعدام التوحيد، لأنّ التوحيد أكبر مانع من التجاوز علىٰ حريم الحق.

من خصائص الأمة في زمن الظهور أنها لا تصاب بالتجاوز علىٰ الحقوق بسبب ما حصلت عليه من القدرة.

عندما تستقرُّ حكومة المهدي العالمية الإلهية، يبدأ بإقامة الحدود الإلهية، وهي أحكام أنزلها الله إلىٰ الناس بواسطة الأنبياء لإقامة النظام الإجتماعي، وجعل خير دنياهم وآخرتهم في تنفيذها، لأنها تشكل الجانب العملي للدين. طبعاً إنّ مجال (حدود الله) وسيع جداً، وتشمل ارتباط الإنسان بربهِ ونفسه والمجتمع والحكومة. إن المجموعتين الأوليين لا تُعطّلان أبداً، وعلىٰ الإنسان أن يحفظ الحدود بينه وبين الله وبين نفسهِ لكن إقامة المجموعة الثالثة من الحدود (بالنسبة للمجتمع والحكومة و...) تلزمها اليد وإيجاد القدرة والحكومة الإسلامية، وعلىٰ المسلمين أن يسعوا لإيجادها وأن يعدّوا الشروط لظهور حكومة الإسلام المطلقة ودولة المهدي (عج). وثورة إيران الإسلامية خطوة واسعة في طريق تحقيق هذا الهدف، إن تنفيذ هذه الحدود في فترة صدر الإسلام القصيرة أدّى إلىٰ ظهور جماعة مخالفة وبالأخص لحكومة الإمام علي (ع)، وكان الإمام يُجيب هؤلاء: «من ضاق عليه العدلُ فالظلم عليهِ أضيق».

وبعد ذلك عندما جاء وقت التلاعب بالخلافة وطلب السلطة لا الإسلام، عُطّلت الحدود والأحكام، وفوضت إلىٰ عالم النسيان. ولهذا نرىٰ الأدعية المرتبطة بإمام العصر (ع) أن عبارات «الحدود المعطلة» والأحكام المهملة قد ذكرت مراراً.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٠.

(٢) قاموس القرآن، ج ١، ص ٢٠٧.

يقول الإمام الكاظم (ع) في تفسير الآية ﴿**يحيي الله الأرض بعد موتها**﴾ وحول حكومة المهدي (ع): ـ

ليس القصد هو إحياء الأرض بالمطر، بل إن الله يصطفي رجالاً يمنحون الأرض حياة بإحياء العدل وإقامة الحدّ. وإقامة الحدّ أنفعُ للأرض من نزول المطر أربعين يوماً متصلاً[1]. وإن إقامة الحدود الإلهية هي من أهداف الأئمة (ع).

قال أمير المؤمنين (ع): «اللهم إنكَ تعلمُ أنهُ لم يكن الذي كان مِنّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردَّ المعالمَ من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»[2] وقال الإمام الحسين (ع) ما شابه هذا المضمون عند تركه مكة وتوجهه للعراق[3]. إن هذا الهدف المقدس يتمُّ في حكومة المهدي (عج) بشكل تام ويتحقق خيرهُ الدنيوي والأخروي.

٢ ـ تجديد الإسلام:

إن الأديان الإلهية بعد فترة معينة أصبحت ألعوبة بيد المفسرين الذين استخدموا الدين لخدمة الدنيا، ولهذا كان استمرار إرسال الأنبياء متصلاً ليحفظوا خط الأنبياء السابقين صحيحاً ويطهروه من الانحرافات والخرافات.

وكلما كانت الأديان الإلهية تتكامل، فإن التحريفات والخرافات تصبح أعقد معها. لهذا فإن مسؤولية الإمام المهدي (عج) من هذه الجهة أصعب من مسؤوليات كل الأنبياء والأئمة السابقين؛ لأنه (ع) يحمل مضافاً إلىٰ ذلك مسؤولية (التطهير وإزالة البدع) من الإسلام. ويمحو كل تحريف رسخ في أذهان الناس بوصفه حقيقة في زمن الغيبة، ليعيد الناس ثانية إلىٰ صراط

---

(١) مكيال المكارم، ج ١، ص ٨١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١.

(٣) تحف العقول، ص ٢٤٣.

الدين المستقيم، وسبيل القرآن وعترة النبي، وتبدأ «العترة» هذه المرّة بتفسير القرآن دون أية تقية... قال الإمام الباقر (ع):

لو ظهر صاحب هذا الأمر، فإنهُ يرىٰ ما رأىٰ رسول الله (ص) من الناس وأكثر[1].

وذكرَ سبب هذا الأمر في روايات أخرىٰ من جملتها رواية الإمام الصادق (ع):

«جاء النبي إلىٰ الناس وهم يعبدون الأصنام الحجرية والخشبية، ولكن يخرجون ضد القائم ويؤوّلون كتاب الله ضدهُ، ويحاربونهُ استناداً إلى آية التأويل[2] ويتكرر التاريخ مَرّة أخرىٰ، هذهِ المرّة بشكل أوسع، وقبل هذا حارب الإمام علي مَن أول القرآن ضدّه، وكانوا يستنتجون من القرآن أن علياً (ع) مشرك تجب محاربته، وكان النبي (ص) قد قال لعلي (ع): «يا علي أنا أُحارب علىٰ تنزيل القرآن، وأنت تحارب علىٰ تأويله». أي أنا أحاربُ الذين ينكرون تنزيل القرآن من قبل الله، وأنت تحارب الذين يحركون التأويل والتفسير عن موضعهِ الصحيح.

كان النبي (ص) يحارب في أُحد وبدر وحنين، وعلي (ع) يحارب في صفين والجمل والنهروان، في وقت لم يمضِ علىٰ ظهور الإسلام نصف قرن فقط، لكن المهدي عليه السلام يظهر في وقتٍ مضىٰ علىٰ ظهور الإسلام مئات السنين علىٰ الأقل، وظهرت اثنتان وسبعون أُمة في الإسلام، وكلهم يستند إلىٰ القرآن، ولهذا تكررت هكذا عبارات في الروايات: «يصلح المهدي ما صنعه الرسول وخرّبهُ التاريخ، يعرض الإسلام بصورة جديدة للناس. فقد شاع الباطل بين الناس حتى اعتبر الحق عليهم جديداً».

يغدو الإسلام في آخر الزمان، كما كان غريباً عند بعثةِ النبي (ص).

يوضح العالم القرآني العظيم، المرحوم الشيخ «مجتبىٰ القزويني» هذا

---

(١) الغيبة للنعماني، الترجمة الفارسية، سيد أحمد الفهري، ص ٣٥٠.
(٢) الغيبة للنعماني، الترجمة الفارسية، سيد أحمد الفهري، ص ٣٥٠.

الأمر بقوله[1]:

«من البديهي أن العمل بقوانين الإسلام هو عين العدل ورفع الظلم والجور، وكما شوهد بالعيان كُلما قلّ العمل بقوانين الإسلام ازداد الظلم في العالم. ويتضح من ذلك أن سيرة ذلك الإمام روحي فداه ستكون بنحوٍ يظنُّ الناسُ أنه جاء بدعوة جديدة وكتاب وحكم جديد، فمثلاً لو قيل اليوم: إنهُ يجب قطع يد السارق، أو يجب إقامة الحدود الإلهية، أو أنه حاكم أغنياء المسلمين كما فعل جدّه أمير المؤمنين (ع) وأخذ بحقوق البؤساء، ونشر المساواة الحقيقية الإسلامية، ودافع عن الطبقات المحرومة وأقام عدالتهُ الإجتماعية، لقال البعض: ـ إن هذا الأمرَ قانونٌ جديد»[2].

ويُبين الإمام أمير المؤمنين (ع) عودة الهداية إلىٰ مسيرها الأصلي في زمن الإمام المهدي (عج) ويقول: «يعطف الهوىٰ علىٰ الهدىٰ، إذا عطفوا الهدىٰ علىٰ الهوىٰ، ويعطف الرأي علىٰ القرآن، إذا عطفوا القرآن علىٰ الرأي»[3].

يتحمّل الإسلام كلّ هذه الضربات من جانب المتظاهرين باتباعه، لهذا قال الإمام الصادق (ع): «وعندما يقوم قائمنا، يدعو الناس إلىٰ الإسلام مرّة أخرىٰ، ويهدي إلىٰ أمرٍ انقرض من الوجود، وضلَّ الناسُ عنه، وسمّي المهدي؛ لأنه يهدي إلىٰ أمرٍ ضالّ، وسمي القائم لأنه يقوم بالحقّ»[4].

٣ ـ اتحاد الأُمّة:

كان اتحاد المجتمع البشري منذ القِدم هدف أنبياء الله والمصلحين، ولا تحصل هذه الوحدة إلاّ في ظلّ تنفيذ الأحكام الإلهية، وطاعة النبي وأوصيائه بشكل كامل وعالمي، وكانت موانع تقف في هذه السبيل منذ

---

(١) كتب هذا الموضوع قبل ٢٠ سنة تقريباً.

(٢) بيان القرآن، المجلد الخامس، ص ٢٠٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٨.

(٤) مكيال المكارم، ج ١، ص ٥٦ ـ ٥٧. ويوضّح مؤلّف المكيال ويقول: «يجاهد الإمام المهدي الكفار ويحارب المخالفين، أعم من أهل كلمة الإسلام ـ مكيال المكارم المجلد الأوّل ص ٧٨.

البداية، وتعود بشكل كلّي إلىٰ ابتعاد الناس عن الله واقترابهم من الدنيا واتباع الهوىٰ. لا تصل الأمّة البشرية إلىٰ الوحدة الحقيقية إلاّ أنْ تعمل بالتعاليم الإلهية، كما حصل في بداية بعثة نبي الإسلام (ص)، وسمّاها القرآن «نعمة إلهيّة». يقول تعالىٰ: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم علىٰ شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّنُ اللّهُ لكم آياته لعلّكم تهتدون﴾**[1].

وبعد وفاة النبي (ص) تبدّلت الوحدة إلىٰ فرقة، بسبب طلب السلطة والمصلحة وترك وصايا النبي (ص)، وفي ذلك الوقت خطبت فاطمة الزهراء (ع) في مسجد المدينة الناس وقالت: جعل الله طاعتنا نظاماً للأمة وإمامتنا أماناً من الفرقة[2].

وقد تعجب الإمام علي (ع) من أخطاء واختلاف المجموعات المسلمة رغم نزول الحجج الإلهية المتصلة وبين سبب هذهِ الأخطاء المسببة للتفرقة بقولهِ:

«لا يقتصون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصيّ. المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا... كأن كُلَّ امرء منهم إمام نفسه»[3].

ألا يجب أن يسأل الإمام علي (ع) في تعجبه ذلك: «فأين تذهبون؟ وأنىٰ تؤفكون؟ والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة. فأين يتاه بكم؟ بل كيف تعمهون؟ وبينكم عترة نبيكم؟...»[4].

وأما في زمن المهدي (ع) فتحصل الوحدة العالمية والإسلامية.

٤ ـ النمو العقلي:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.
(٢) الخطبة الفدكية للزهراء (ع) ويوجد ما يشابه هذا المضمون في الحكمة ٢٤٤ من نهج البلاغة.
(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.
(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٨٦.

خلق العقل منذ بدء الخلق بوصفهِ (حجة باطنة) وعوناً (للحجة الظاهرة). قال الإمام موسىٰ بن جعفر (ع): «إن لله حجتين علىٰ الناس، حجة ظاهرة وأخرىٰ باطنة، الحجة الظاهرة هُم الأنبياء والرسل والأئمة، والحجة الباطنة هي العقل»[1].

فلو آستخدم العقل في مسارهِ الصحيح، فإنهُ يستفيد من ضياء النبوّة والولاية بعون العلم، ويهدي الإنسان لطريق عبادة الله وهو السبيل الحقيقي للخلقة وهدفها السامي. ولكن كلما آبتعد الإنسان عن الوحي اقترب عقلهُ من الهوىٰ أكثر ووقع في أسر عبودية الطاغوت، كما شاهدنا في معاوية وأمثاله علىٰ طول التاريخ. لكن عقل البشر وفكرهم يصل إلىٰ أقصىٰ حدٍ في عصر حكومة المهدي (ع) بنحو لم يصل إليه في عهد أي من الأنبياء والأوصياء. قال الإمام الصادق (ع):

«العلم، سبع وعشرون حرفاً. كل ما جاء به الأنبياء لحد اليوم، هو حرفين فقط. فعندما يظهر قائمنا، يأتي بخمس وعشرين حرفاً المتبقية ويظهرها للناس»[2].

وبشر الإمام الباقر (ع) بمستقبل يكون فيه:

«تحكم المرأة في بيتها، علىٰ أساس كتاب الله وسنة رسول الله (ص)»[3].

وتتسع العلوم كثيراً حتىٰ يستغني المؤمن عن علم أخيه المؤمن[4]، وكل ذلك شعاع من نور الولاية الذي يضيء للناس في ذلك اليوم من دون ستارٍ وحجاب. كما قال الإمام الباقر (ع).

«وإذا قام قائمنا وضع الله يدهُ علىٰ رؤوس العباد فجمع بها عقولهم

---

(١) تحف العقول، ص ٤٠٧.
(٢) بحار الأنوار، المجلد ٥٢ ص ٣٣٦.
(٣) بحار الأنوار، المجلد ٥٢ ص ٣٥٢.
(٤) مكيال المكارم، المجلد الأول، ص ٢٣٦.

وكملت بهِ أحلامهم»[1].

إن الأفكار والعقول والعلوم المتطورة، تبيّن الرقي الفكري للبشر في المجتمع النموذجي الإسلامي والإنساني.

٥ ـ إقامة العدالة:

العدالة أوضح خط في ثورة الإمام المهدي (ع) وأفضل دليل على ذلك حديث الرسول (ص) الذي قال فيه:

«المهدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً».

لقد اتضح مفهوم العدالة في بُعد (العدالة الإجتماعية) فقط بسبب حكم الظلم في العالم لسنين طوال واتصال الناس بالمسائل الاجتماعية مباشرة. في حين ان للعدل مفهوماً واسعاً لا يتضح معناه إلا في ساحة التوحيد. وفسروا العدالة بأنها: «وضع الشيء في محلّه» ومن البديهي أن سعة هذا المعنىٰ كبيرة بحيث تشمل مقابلة الحق والباطل طوال التاريخ، «والقسط» هو قسمٌ من هذهِ المقابلة في ساحة الحقوق الاجتماعية. ولا يشمل القسط مجموعة ارتباط الإنسان بربّهِ وبنفسهِ.

يقول مؤلّف (مكيال المكارم) بشأن اختلاف مفهوم العدل والقسط، بالاعتماد علىٰ الآيات والروايات: «إنَّ ما ظهر لي من التحقيق في موارد استعمال (العدل والقسط) هو أنَّ العدل أعمّ من القسط؛ لأنَّ القسط يفيد في مقام أداء الشهادة، والقضاء، وعدم غصب حقوق الآخرين، وأمثالها، في حين أن العدل، إضافة إلىٰ هذهِ الموارد يشمل أموراً أخرىٰ، وبعبارة أخرىٰ، يستخدم القسط بالنسبة للآخرين فقط، والعدل يستعمل في ارتباط الإنسان بنفسهِ وبالآخرين، فالعدل هو موافقة الحق مطلقاً، والقسط موافقة الحق بالنسبة إلىٰ المخلوقات، ولو أردتم الشاهد علىٰ ذلك فراجعوا الآيات القرآنية التي ذكر فيها العدل والقسط.

---

(١) منتخب الأثر، ص ٤٨٣.

الجور ضد القسط، والظلم ضد العدل. وبالنظر لما قلنا، فإن الظلم تجاوز علىٰ الحق مطلقاً، والجور تجاوز عن الحق المرتبط بالآخرين[1].

علىٰ هذا الأساس (فظلم النفس) ليس لهُ معنىٰ واسعاً إلاّ في المجتمع الإسلامي، ولهذا يقول القرآن: **﴿ومَن يتعدَّ حدودَ الله فأولئك هم الظالمون﴾**[2].

﴿ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه﴾[3].

﴿والكافرون هم الظالمون﴾[4]. **﴿إن الشركَ لظلمٌ عظيم﴾**[5]. وهناك أكثر من عشر آيات أخرىٰ في هذا المضمون.

وبهذا يبدأ الإنسان بالثورةِ علىٰ ظلم النفس أولاً، ليتسنىٰ لهُ الثورة علىٰ ظلم الآخرين. كما عادَ قوم ابراهيم (ع) إلىٰ أنفسهم عندما علموا ببطلان عملهم وعبادتهم للأصنام.

﴿فرجعوا إلىٰ أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون﴾[6].

الثورةُ علىٰ (ظلم النفس) هيَ التوبة، أي عندما يتوب الإنسان عن ظلم النفس، ولا يمكن للإنسان أن يقيم العدالة بالمجتمع ما لم يخرج من الظلم إلىٰ العدل، وإصلاح الآخرين مرحلة تقع بعدَ إصلاح النفس، ومعها، ولهذا لا يفرض الأنبياءُ القسط علىٰ الناس، بل يحرّضونهم ليقوموا بأنفسهم بالقسط.

﴿ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقومَ الناس بالقسط﴾[7].

---

(١) مكيال المكارم، المجلد الأول ص ١١٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.
(٣) سورة الطلاق: الآية ١.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٤.
(٥) سورة لقمان: الآية ١٣.
(٦) سورة الأنبياء: الآية ٦٤.
(٧) سورة الحديد: الآية ٢٥.

العدالة أمر تدريجي يجب علىٰ منتظري مجتمع الإمام المهدي (ع) أن يوجودهُ في أنفسهم. قال المعصومون بشأن المنتظرين، يجب عليهم أن يعملوا بالورع والأخلاق الحسنة في زمن الغيبة، ليتسنىٰ لهم حمل ثقل الانتظار؛ لأن المنتظر يحسبُ كل لحظة هي ساعة الظهور، وقلنا: إن وقت الظهور يرتبط بإرادة الله، ولقد وردت العدالة الاجتماعية في زمن المهدي (ع) في بعض الموارد، قال الإمام الصادق (ع): «يا مفضل اعلم لو كانت الحكومةُ بأيدينا، لم تكن فيها إلا سياسة الليل وسياسة النهار وأكل الأطعمة اليابسة، وارتداء الملابس الخشنة كما كان أمير المؤمنين (ع)، ولو كان غير هذا فإن جزاءهُ نار جهنم»[1].

يقول العلاّمة المجلسي في توضيح هذا الحديث: ـ سياسة الليل تعني سياسة وتدبير أمور الناس، وحفظهم في الليل مِن الشرّ، وتحمّلهم التعب والنصب للاهتمام بأمور الناس وتدبير معاشهم ومعادهم، إضافةً إلىٰ العبادة البدنية. وتعني سياسة النهار الدعوة إلىٰ الحق والجهاد، والسعي لأداء حوائج المؤمنين، والسير في الأرض لهذا الهدف[2].

٦ ـ الرفاه والراحة:

في المجتمع الذي تنفّذ فيه أحكام الله بعيداً عن مصالح الحكّام والطواغيت ومنافعهم الشخصية، ويكون الناس فيه مستعدين لقبول الحدود الإلهية وإقامتها، تحكم العدالة في كل جوانب الحياة وتصل الراحةُ والرفاه فيه إلىٰ أقصاها، ويكون الأمن علىٰ أتمّهِ.

المضامين التالية لبعض الروايات العديدة التي تبيّن هذا المعنىٰ:

«في ضوء حكومة الإسلام» يأمن الذئبُ والبقر والأسد والإنسان والثعبان والغنم وسيرضىٰ أهل السماء والأرض وطيور الهواء بخلافة المهدي[3].

---

(١) بحار الأنوار، المجلد ٥٢، ص ٣٥٩.
(٢) بحار الأنوار، المجلد ٥٢ ص ٣٥٩.
(٣) مكيال المكارم، المجلد الأول ص ١٠٠ ـ ١٠١.

يحكم المهدي بين الناس كداود (ع) ومُحمّد (ص)، وفي ذلك اليوم تُخرج الأرضُ كنوزها، وتظهر بركاتها، وبسبب شمول الغنى بين المؤمنين لن تجد مورداً للصدقة[1].

ليس الرفاه والراحةُ والأمن هدفاً نهائياً للحكومة الإسلامية، بل من نتائجها، النتيجة التي يجب أن تستخدم في الطريق النهائي، أي عبادة الله، ولذلك يقسم المال بالتساوي[2].

سنتحدث في الأسطر القادمة عن أثر التوحيد وإقامة الحدود الإلهية في كثرة البركة ونِعَمَ الأرض، وسنرىٰ كيف تحيا الأرض بالعدل والإيمان ويتحقق ربيع البشر.

نختم هذا الفصل بحديث جميل عن النبي الأكرم (ص):

«تتمنىٰ الأموات الإحياء مما صنع الله عَزّ وجل بأهل الأرض من خيرة»[3].

٧ ـ حياة الأرض مَرّة ثانية:

عندما يحكم الإسلام، وتُنفَّذُ الحدود الالهية، وتجري العدالة، ويتحسن الاقتصاد، ويتساوىٰ الناسُ، وتتبدل البغضاء بالصفاء، واليأس بالأمل وتستبدل الظلمة بالنور، عند ذلك يتحرك دمُ الحياة في عروق الإنسان والمجتمع، تحيا الدُّنيا والبر والبحر، من جديد بعد أن ملئت[4] بالفساد من ذنوب البشر.

وَعَدَ الله في القرآن بأن يحيي الأرض بعد موتها:

﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾[5].

---

(١) بحار الأنوار، المجلد ٥٢ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩.
(٢) منتخب الأثر، ص ١٤٦.
(٣) بحار الأنوار، المجلد ٥١ ـ ص ٧٨.
(٤) مضمون الآية ٤١ من سورة الروم.
(٥) مكيال المكارم، المجلد الأول، ص ٨٢ ـ ٨١.

وفسر الإمام الباقر (ع) موت الأرض «بكفر أهلها» وقال: «الكافر ميّت». وفسَّرَ الإمام الصادق (ع) حياة الأرض بعد موتها «بالعدل بعد الجور»[1].

عندما يعيش الإنسان مستقلاً ومرفوع الرأس ومتحرراً من القيود الداخلية والخارجية وفي طاعة الله يصل إلىٰ الحياة ويقهر الموت، يقول الإمام علي (ع):

«الموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين»[2].

سعادة البشر في ذلك الوقت هي أن ينال الغلبة «في الحياة الدنيوية الظاهرية»، ذلك العصر رائع وجميل يطلب الإمام الصادق (ع) أن يعمر المدن بظهور المهدي ويحيي عبادهُ بهِ[3].

خاتمة الحديث:

كانت هذه صورة عن خصائص مجتمع الإمام المهدي (عج)، ومن البديهي أن هذهِ الصورة تنعش قلب كل مؤمن وتوجد في قلبهِ أُمنية الحضور في ذلك العصر، فمن المناسب أن نذكر في ختام هذا البحث من يجدد بهم الوجود في ذلك العصر؟ كما عرّفهم الله تعالىٰ بقولهِ:

﴿... يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبونه أذِلة علىٰ المؤمنين أعزّة علىٰ الكافرين يجاهدون في سبيلَ الله، ولا يخافون لومةَ لائم...﴾[4].

وقد عَرّف أئمتنا هؤلاءِ الأفراد بأنهم أصحاب المهدي (ع) وكما يقول الإمام السجاد (ع): «إنهم رجال أقوياء بقلوبٍ حديدية تساوي قوتهم أربعين رجلاً». نعم لنسعَ لأن نجعل من أمتنا الأمة اللائقة لإدراك المهدي إن شاء الله.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٥١.
(٢) مفاتيح الجنان، دعاء العهد.
(٣) بحار الأنوار، المجلد ٥٢ ص ٣١٧.
(٤) سورة المائدة: الآية ٥٤.

الفصل الثاني عشر

المهدي الموعود من وجهة نظر أحاديث السُنّة والشيعة

تأليف: حسين العقاني الزنجاني

لا تختص مسألة (المهدي الموعود) وانتظار فرجه وإيجاد حكومة الإسلام العالمية للمستضعفين بالشيعة فقط، فإنها قبل أن تُدرَسَ من وجهة نظر المذهب الشيعي وأتباع أهل البيت (ع) قد دُرِستْ في تاريخ العالم الإسلامي وأتباع محمد (ص) بوصفهِ (المنذر) و(المبشر) و(المصلح العالمي) ومقيم حكومة العدل الحقيقي، ودرست من وجهة نظر العلماء والمؤرّخين وأصحاب الأديان السماوية بوصفها مسألة حقيقية وجدّيّة.

ولا يصعب إثبات هذا الأمر، لأن مراجعة أحاديث أهل السنة وروايات الشيعة وسائر الأمم المتوفرة كتبها في متناول الأيدي يغنينا عن الاستدلال الطويل.

وعن هذا نبحث المسألة من وجهة نظر أحاديث أهل السنة والشيعة فقط، وسنبحثها في مجال آخر من وجهة نظر العلماء وأتباع الأديان الأخرىٰ.

كثرت الأحاديث الواردة عن الرسول (ص) في خصوص (المهدي الموعود) حتىٰ اعتبرها كثير من العلماء متواترة، ويمكننا تقسيم تلك الروايات بشكل مختصر إلىٰ ثلاث طوائف[1]:

---

(١) وللتفصيل يمكنكم مراجعة كتاب (محاضرات في تفسير القرآن) تأليف اسماعيل الصدر وكتاب: أعيان الشيعة ج ٢.

١ ـ الروايات المتواترة لدىٰ كل المسلمين.

٢ ـ الروايات المتواترة لدىٰ أهل السنة فقط.

٣ ـ الرويات المتواترة لدىٰ علماء الشيعة.

ويمكن القول: إن تواتر الروايات عند أهل السّنة والشيعة هو بمنزلة تواترها عند كل المسلمين. ومن هنا فإن بعض علماء السنة كالمرحوم أبي الأعلىٰ المودودي رغم انه لم يصرح بتواتر هذهِ الروايات، لكنهُ يعترف بصحتها عندما يقول:

«من الصعب أن نقول: إن كل هذهِ الروايات الواردة في خصوص المهدي الموعود ووجودهُ وظهورهِ وكيفية تشكيل حكومته العالمية، لا واقع لها» وبذلك يؤيّد هذا العالم الإسلامي صحة الروايات الواردة بشأن (المهدي الموعود).

ينقل حذيفة عن الرسول الأكرم (ص) أنه قال: «الأئمة من بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل، تسع من صلب الحسين (ع) ومنا مهدي هذهِ الأمة، ألا إنهم مع الحق والحق معهم، فانظروا كيف تخلفوني»[١].

ويقول آبن سيرين: «المهدي الموعود مِن هذهِ الأمة»[٢].

ونستنتج من مطالعة مجموع هذهِ الروايات المتواترة حقيقة كلية وهي: أن الرسول الأكرم (ص) أخبرَ بأنهُ يظهر في آخر الزمان إمام وزعيم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويمحو الظلم والعدوان ويرتقي الإسلام في زمنهِ ويحكمُ العالم، وأن السعادة والراحة والرفاه تسود العالم كلّهُ[٣].

ومع أن هذهِ الروايات مشتركة في الحقيقة المذكورة أعلاه، إلاّ أنها تختلف بعض الشيء عن بعضها، فمثلاً لم تصرّح بعض الروايات بآسم

---

(١) إثبات الهدىٰ، ج ٢/ ٥٣٣.
(٢) مقاتل الطالبيين ص١٦٧.
(٣) البيانات ص ١١٦.

المهدي، وذكر اسمه (ع) في بعضها، وحمل العلماء الطائفة الأولىٰ من الروايات بوصفها (مطلقة) علىٰ الطائفة الثانية من الروايات بوصفها (مقيّدة)، وبذلك جمعوا بين الطائفتين.

والرائع أن يقول الكاتب الإسلامي المرحوم (المودودي) في كتابه (البيانات ص ١٦١) في هذا الباب:

ذكرنا في هذا الباب (باب ظهور المهدي) نوعين من الأحاديث، الأحاديث التي صرّحت باسم المهدي، والأحاديث التي أخبرت بظهور خليفة عادل فقط، من غير أن تذكر اسم (المهدي). ثمّ يكتب: ولمّا كانت هذه الأحاديث من النوع الثاني تشابه الأحاديث من النوع الأوّل في موضوعها، فقد ذهب المحدّثون إلىٰ أنَّ المراد بالخليفة العادل فيها هو المهدي

التفاسير المختلفة للروايات بشأن الإمام المهدي (ع):

إنَّ تلك الروايات التي صُرّح فيها باسم المهدي لها عدّة تفاسير:

١ ـ إنَّ المهدي من الأمّة، كما ذكرنا بعضها أعلاه.

٢ ـ إنَّ المهدي من العرب.

٣ ـ إنَّ الإمام المهدي من كنانة.

٤ ـ في بعض الروايات أنَّ الإمام المهدي من قريش.

٥ ـ وورد في بعضها أنّه من بني هاشم.

٦ ـ وجاء في بعضها الآخر أنَّ الإمام المهدي من أولاد عبد المطلب.

إنَّ التأمّل في هذه التفاسير ومقايستها ببعضها يدلّنا علىٰ حقيقتين:

الحقيقة الأولىٰ: أن الروايات المرتبطة بالإمام المهدي (ع) متواترة كما يكتب (ابن حجر العسقلاني) أحد كبار علماء السنة: «الخبر المتواتر الوارد حول المهدي يفيد العلم ولا يحتاج العمل بهِ إلىٰ البحث والتحقيق»[1].

---

(١) نزهة النظر، تأليف أحمد بن حجر العسقلاني ص ١٢.

ويكتب السيد أحمد شيخ الإسلام الشافعي: «أن الآيات التي وردت حول المهدي (ع) كثيرة وبحدّ التواتر، ثم يقول: يوجد بينها الحديث الصحيح والحديث الحسن والضعيف وأكثرها ضعيف ولكن بما أنها كثيرة ورواتها أكثر، فإن بعض الأحاديث تقوّي وتسندُ البعض الآخر فتفيد اليقين»[1].

بل اعتبر كثير من علماء أهل السنة الأحاديث المرتبطة بالمهدي (ع) متواترة، ونقلوا التواتر ولم يعترضوا عليه مثل «ابن حجر الهيثمي» في «الصواعق المحرقة» ـ الشبلنجي في (نور الأبصار) وابن الصباغ في (الفصول المهمة) ومحمد الصبان في (إسعاف الراغبين) والكنجي الشافعي في (البيان) والشيخ منصور علي في (نهاية المأمول) والسويدي في (سبائك الذهب) حتىٰ ابن خلدون مع كل عنادِه لأهل البيت يقول في مقدمة كتابهِ:

«كان بين المسلمين ولا زال أنه يظهر في آخر الزمان رجل من أهل بيت النبي يؤيد الدين ويظهر العدل ويحكم كل البلدان الإسلامية...».

ويستفاد من هذهِ الأحاديث وسائر الأحاديث المتواترة عن الشيعة والسنة أنّ مسألة المهدي الموعود كانت أمراً بديهياً ومسلّماً في زمن النبي (ص) وبعده، وكان المسلمون ينتظرون رجلاً ينهض لإقامة الحق، وإصلاح العالم، ونشر الدين، ونصرة المظلومين، ولم يكن الاختلاف والبحث إلاّ في فروع تلك المسألة، وهي أنه من أيّة سلالة يكون هذا الرجل؟ فكانوا يسألون عن آسمهِ وكنيته، ولماذا سُمّي بالمهدي؟ وما هي علائم ظهورهِ؟ وكانوا يسألون عن سبب غيبتهِ والتكاليف المنوطة بهِ، وعن كيفية تشكيل الحكومة؟ وكانت هذهِ المسألة مورد بحث كبار الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس لمعاوية يوماً: «يحكم رجل منّا في آخر الزمان مدة أربعين سنة...»[2].

---

(١) الفتوحات الإسلامية، ج ٢/ ٢٥٠.
(٢) الملاحم ص ٦٣.

يقول أبو سعيد لابن عباس: «قل لي عن المهدي، أجابه: لن تمضي فترةٌ حتىٰ يبعث الله رجلاً من أسرتنا ليقضي علىٰ الفتن...»[1].

وكان عمار بن ياسر يقول: «وعندما تُقتل النفس الزكيةُ ينادي المنادي من السماء أنَّ أميركم هو الرجل الفلاني، وبعد ذلك يظهر المهدي، ويملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً»[2].

أما الحقيقة الثانية فهي: أنَّ التفاسير المذكورة تشتركُ كُلها في التفسير الأخير، وهو أنَّ المهدي من أولاد عبد المطلب، بمعنىٰ أن سائر التفاسير بالنسبة للتفسير الأخير هي بحكم المُطلق بالنسبة للمقيّد، ولو اعتبرنا التفسير الأخير ملاكاً، أي قلنا: إنَّ المهدي من ولد عبد المطلب، فإنه لا ينافي أن نقول: إن المهدي من الأمة، ومن جنس العرب، ومن أولاد كنانة، وقريش، وإنهُ ينتسب إلى بني هاشم أيضاً.

نعم يوجد بين هذا النوع من الروايات المصرّحة بأن المهدي من ولد عبد المطلب روايات بأن من ولد عبد المطلب الإمام المهدي من نسل أبي طالب ومن ولده، مع وجود التفاسير المختلفة فيه، كوجود بعض الروايات القائلة: إن المهدي من آل محمد (ص)، وجاء في بعضها أنه من العترة، وفي البعض الآخر: إن الإمام المهدي من أهل السّنّة أو من (ذوي القربىٰ)، وورد في بعض الروايات أن المهدي من ذرية رسول الله (ص) أو من ولد علي أو من وُلدِ الزهراء.

وطبعاً يسهلُ جمع هذهِ التفاسير السابقة، كما يقول الزُهري: المهدي من ولد فاطمة (ع)[3].

ومن البديهي أيضاً أن الإمام المهدي (ع) هو من وِلد فاطمة ومن نسل الإمام الحسين (ع) ومن ولدهِ، فهو من ولد الإمام الصادق والإمام الرضا وابن الإمام الحسن العسكري (ع).

---

(١) الملاحم ص ١٦٩.
(٢) الملاحم ص ٤٤.
(٣) الحاوي ج ٢ ص ١٥٥.

فلسفة اختلاف الروايات في المهدي الموعود!

وقد يطرح هذا السؤال للقُرّاء، وهو: لماذا توجد كل هذهِ الاختلافات والتفاسير الواردة عن الأئمة الأطهار والنبي الأكرم (ص)، وبشكل عام في أحاديث المسلمين حول (المهدي الموعود)؟ ولماذا لم يذكر اسمهُ (ع) أول الأمر حتىٰ لا تختلف الأحاديث فيه؟

وفي الجواب نقول بشكل إجمالي: هناك سببان لاختلاف التعابير وكتمان اسم الإمام المهدي (ع) والتحدث عنه بكناية:

السبب الأول:

وجود الاختلاف في زعامة المسلمين، والتصدّي لمقام إمامتهم، فمنذُ بزوغ فجر الإسلام كان أصحاب أهل البيت (ع) يرون الخلافة حقاً لأهل البيت (ع) وأولاد علي (ع) ولم تقبل ذلك جماعة كبيرة من أهل السنة لأسباب مختلفة، واتّسع هذا الاختلاف بعد وفاة الرسول (ص) وسبب اشتعال نار الحرب، وغمط الحقوق وإيجاد فجوة عميقة بين صفوف المسلمين، وسعىٰ أئمتنا من علي (ع) وحتىٰ سائر الأئمة لحفظ الإسلام والمجتمع الإسلامي من مضاعفات الاختلاف، وبذلوا الجهد لسدّ هذهِ الفجوة، حتىٰ عُزِل الإمام علي (ع) عن الخلافة ٢٥ عاماً وأصبح جليس دارهِ، وغضَّ النظر عن حقهِ، حتىٰ لا يشتت المجتمع الجاهل والغافل في ذلك العصر، وبذلك لم يتضرّر الإسلام، وسعىٰ أئمتنا كلٌّ بدورهِ لحفظ وحدة المسلمين وحفظ الدين الإسلامي ما بوسعهم حتىٰ أنهم أغمضوا عن حقوقهم والمطالعة الإجمالية لتاريخ الأئمة (ع) تبيّن هذهِ الحقيقة.

العامل الثاني:

هو العامل السياسي، وقد تمثل هذا العامل في الروابط بين الأئمة (ع) وبين حكام بني أُمية والخلفاء العباسيين، أي أن خلفاء بني أُمية المجرمين وحكام بني العباس كانوا يبدون العداوة والبغضاء لحملة الوحي وأهل البيت العصمة، ذلك لخوفهم وحذرهم منهم، لذا كانوا يراقبون أعمال الأئمة (ع) دائماً، وكانوا يواجهونهم بأشدّ أسلوب لأدنىٰ حركة تصدر منهم (ع)، وسبب

خوفهم هو نفوذ كلام الأئمة (ع) لدىٰ الأمة الإسلامية والتفات وتوجّه المسلمين إليهم، لأن المسلمين كانوا يعلمون أن الخلافة والزعامة ومقام قيادة الأمة الإسلامية هو حق أهل البيت (ع) فقط، فهم العارفون بالوحي وقوانين الإسلام ودين محمد (ص)، والعاملون به، وهم مصادر الأدب والعقل والعفة ومورد اعتماد الناس، وفي المقابل لم يكن لخلفاء بني أمية وبني العباس حق في قيادة المجتمع الإسلامي، وقد سيطروا على الأمة والترغيب الترهيب، وقد استقرّت الظلمة أمام النور، الناس ينزعون إلىٰ النور بفطرتهم لكي يستفيدوا من ضيائِه، لكنَّ شياطين الإنس حققوا التفاف الناس حولهم بمختلف الحيل، ومنعوهم من مشاهدة نور الأئمة، ولهذا تقرأ في التاريخ المعتبر: لقد سيطر عليهم الخوف الشديد من مقام ومنزلة أئمة الدين عند المسلمين، ولم يكتفوا بالعداوة والبغضاء والتعذيب والإيذاء، بل بادروا إلى قتلهم وسمّهم بوسائل مختلفة.

إمامةُ المهدي (ع):

ولد الإمام المهدي في مدينة (سامراء) إحدىٰ مدن العراق في النصف من شعبان عام ٢٥٥هـ، وهو الإبن الوحيد للإمام الحسن العسكري (ع).

بعد وفاة أبيه عام ٢٦٠ هجري وصل إلىٰ مقام الإمامة ولهُ من العمر خمس سنوات، أي أنهُ كان طفلاً صغيراً، وقال الإمام الحسن العسكري (ع) في إمامة ابنه:

«وأبني مُحمّد هو الإمام والحجّة بعدي من مات ولم يعرفهُ مات ميتة جاهلية»[1].

وهنا يُطرح سؤال ألا وهو: كيف يمكن أن يكون إمام الأمة طفلاً صغيراً، في حين أن الإمامة مسؤولية تحتاج إلىٰ التجربة والعقل والرشد والنضوج الفكري والقدرة والإرادة والتصميم، وليس لطفلٍ في الخامسة من عمرهِ مثل هذهِ المواصفات؟

---

(١) في انتظار الإمام ص ٢٢.

وهذهِ مسألة كلامية يحسن البحث عنها بالتفصيل في محلّهِ، ولكن نقول بشكل إجمالي نحن الشيعة لأدلّة قطعية نعتقد بأن الله تعالىٰ يمنح أمر الرسالة والإمامة والنبوة والخلافة لمن شاء، أي أن هذهِ هبة إلهيّة يعطيها الله من يشاءُ، وليس المراد أن الله يفعل أمراً ليس معقولاً أو في غير محلّه، لأن ذلك مُحال علىٰ الله العليم الحكيم، بل القصد هو أن الله يمكنه أن يُوجِد الأرضية المناسبة لقبول منصب الإمامة، والقيادة حتى لدىٰ الإنسان الصغير والضعيف، ويمكنه أن يوجد لدىٰ الطفل الصغير غير البالغ ظاهراً روحاً عظيمة وقوية بمنزلة البحر المائج، ويجمع فيه شروط الإمامة والرسالة.

وليس ذلك بالأمر المستحيل في الواقع الخارجي كما يذكر القرآن أن الله أعطىٰ منصب الحكم ليحيىٰ وهو صغير:

﴿يا يحيىٰ خُذ الكتابَ بقوّةٍ وآتيناه الحكم صبيّاً﴾[1].

وقد نال عيسىٰ (ع) هذهِ الموهبة كما جاء في السورة نفسها.

﴿فأشارت إليه قالوا كيف نُكلّمُ من كان في المهد صبيّاً * قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً﴾[2].

وكما نلاحظ فإن يحيىٰ وعيسىٰ كلاهما نال منصب الإمامة والنبوة، في سن الطفولة وجاء في التواريخ المعتبرة أن الإمام محمد الجواد (ع) وعلي الهادي (ع) وصل كلٌّ منهما إلىٰ مقام الإمامة في سن الثامنة من عمرهِ كما وصل أبوهُ الإمام الحسن العسكري (ع) إلىٰ مقام الإمامة الشامخ وتصدّىٰ لقيادة الأمة الإسلامية في سن العاشرة من عمرهِ.

ونتيجة الكلام هي أن الشرط الأساسي في الإمامة والنبوة والتصدّي لمقام قيادة الأمة الإسلامية هو القدرة علىٰ الإدارة، والارتباط بالوحي ومعرفة أسس الإسلام و... وقد ثبت في التاريخ أن الأئمة (ع) كانوا

---

(١) سورة مريم: الآية ١٢.
(٢) سورة مريم: الآيتين ٢٩ ـ ٣٠.

عالمين بالشريعة الإسلامية، وكانت لهم القدرة على تنفيذها في المجتمع وتدبيره، رغم أنهم كانوا صغاراً من حيث العمر؛ لأن الملاك في التصدّي وإحراز مقام الإمام هو اللياقة الأخلاقية والروحية والعصمة، والورع عن الذنب والخطأ، والقدرة على الهداية، وكانت هذهِ الشروط متوفرة فيهم بشكل تام حتىٰ اعترف لهم الأعداء بذلك.

ومن ذلك اعتراف أحمد بن عبيد الله بن خاقان أحد عملاء الخليفة العباسي (المعتمد) والمسؤول عن جمع الزكوات في أطراف قُم بالإمام الحسن العسكري، وأسرة الوحي، إذ قال في حضور جماعة في شهر شعبان عام ٢٧٨هـ بعد مضيّ ٨ سنوات علىٰ وفاة الحسن العسكري (ع)، وكان الحديث عن ولدِ أبي طالب في سامراء وصلاحياتهم: «لا أعرف رجلاً في مدينة سر مَنْ رأىٰ (أي سامراء) أفضل من الحسن بن علي بن محمّد بن الرضا في الهداية والوقار والعفاف والكرامة و... كان بنو هاشم يقدّمونه علىٰ أنفسهم مع صغرِ سنّهِ».

الفصل الثالث عشر

لسنا بصدد بيان كلّ أبعاد مقام الشيعة ومنزلتهم؛ لأنَّ أداء هذا الحقّ خارج عن نطاق المقالة القصيرة، ويحتاج إلىٰ تأليف كتاب مفصّلٍ، ونكتفي في هذا القسم بالأحاديث الواردة عن أهل السنة:

يكتب ابن حجر العالم المتعصّب المتطرف من أهل السنة، في كتابه المعروف (الصواعق المحرقة)[1].

ينقل (الحافظ جمال الدين الزرندي) عن ابن عباس:

عندما نزلت الآية: **﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربّهم جنات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربَّهُ﴾**[2]. نظر الرسولُ الأكرم إلىٰ علي بن أبي طالب (ع) وقال: «هم أنتَ وشيعتك، تأتي أنتَ وشيعتُك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوّك غضابىٰ مقمحين».

وينقل الحاكم، من مفسري أهل السنة الكبار في (شواهد التنزيل) عن ابن عبّاس أَنَّ هذه الآية من الآيات النازلة في شأن عليّ (ع) وأهل بيته، ثم يكتب: قال علي (ع): كنت عند النبي في آخر لحظة من عمره الشريف، وكان رأسُهُ الشريف علىٰ صدري فقال: هل تأمّلت في الآية: **﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة هم شيعتك...﴾**.

---

(١) الصواعق المحرقة طبعة مصر ١٣٢٤هـ. ص ٩٦.

(٢) البيّنة: الآيتين ٧ ـ ٨.

وقد أظهر هذه الحقيقة الخوارزمي في (المناقب) الفصل ١٧ والشافعي في (كفاية الطالب) ص ١١٩، والسبط ابن الجوزي في (خواص الأمة في معرفة الأئمة) ص ٣١، (الحافظ أبو نعيم) من كبار علماء أهل السنة في (حلية الأولياء) في ذيل هذه الآية الشريفة.

وينقلُ (جلال الدين السيوطي) من علماء ومفسّري أهل السنّة المعروفين في تفسير: «الدرّ المنثور» عن جابر بن عبد الله الأنصاري الذي كان من كبار صحابة الرسول الأكرم (ص): «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة» ثم نزلت هذهِ الآية: ﴿**إن الذين آمنوا**...﴾.

ونقل في ذلك التفسير: أن عدي وابن عباس قالا: قال الرسول الأكرم: «يا علي! تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين».

مصطلح الشيعة في كلام الرسول (ص):

ونلاحظ أعلاه، مضافاً إلى الأخذ بنظر الاعتبار منزلة ومقام الشيعة الشامخ، أن استعمال مصطلح ولفظ (الشيعة) من قبل الرسول (ص) هو أمرٌ مهمّ آخر، وجوابٌ محكمٌ لمن يعتبر الشيعة جماعة جديدة وحديثة الوجود! ولم يذكروا هذه الحقيقة: وهي ان الشيعة يعني المسلمين والمسلمون يعني الشيعة والتشيع يعني الإسلام المحمدي والعلوي لا غيرهُ!

وذكرت أمور كثيرة عن أهل السنة في هذا الصدد تبيّن منزلة ومقام الشيعة، وإضافة إلىٰ ذلك ثبت أهتمام الرسول (ص) بهذه الكلمة واستعماله لها، ووجود مصطلح «الشيعة» في صدر الإسلام.

ينقل الخوارزمي، عن ابن عباس: كُنّا عند رسول الله (ص) حتىٰ دخل علي (ع) عند ذلك قال الرسول (ص): «قد أتاكم أخي» ثم أخذ بيد علي (ع) وتوجه نحو الكعبة: «والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»[1].

---

(١) المناقب، فصل «٩».

ويكتب الخوارزمي أيضاً: قال الرسول الأكرم (ص) لعلي (ع): «مثلك في أمتي مثل المسيح عيسىٰ ابن مريم» الذي انقسم قومه إلى ثلاثة أقسام وجماعات، جماعة المؤمنين، والأعداء، «والغلاة» وأما عنكَ: فرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة عدوك وهم الناكثون، وفرقة «الغلاة»! «فأنت يا علي وشيعتك في الجنة ومحبو شيعتك في الجنة، وعدوك والمغالي فيك في النار»[1].

لو يستطع ابن حجر أن يخفي الحقيقة في بعض الموارد، فقال: عندما نزلت الآية: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾** قال النبي (ص): «يا علي، أنت وشيعتك خير البرية، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين، فقال: مَن عدويّ؟ قال: مَن تبرأ منك ولعنك»[2].

ونقلَ أيضاً عن أم المؤمنين (أم سلمة) زوجة الرسول الأكرم (ص) إنه قال: «يا علي أنت وأصحابك في الجنة وشيعتك في الجنة»[3].

تبيّن هذهِ الاعترفات والإقرارت، سعة اهتمام الرسول الأكرم (ص) بالشيعة وأنَّ الشيعة هم عبارة عن الإسلام بكل أبعادهِ وقال أبلغت هذهِ الحقيقة علىٰ لسان الوحي والإلهام وبيّنها الرسول الأعظم (ص).

ويكتب ابن حجر في «الصواعق المحرقة» نقلَ الديلمي أنَّ رسول الله (ص) قال: «يا علي إن الله قد غفر لكَ ولولدك ولذريتك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك، فأبشر...»[4].

ونقلَ الطبراني وكثير من المحدثين أنَّ علياً (ع) قال في البصرة: «إن خليلي رسول الله قال: يا علي إنك ستقدم علىٰ الله وشيعتك راضين

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) الصواعق المحرقة/ الباب ١١.
(٣) الصواعق المحرقة/ الباب ١١.
(٤) الصواعق المحرقة ص ٩٢ نقلاً عن «الفصول المهمة» ص ٣٩.

مرضيين ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين...»[1].

ويروي الطبراني نقلاً عن (الصواعق) أن الرسول الأكرم (ص) قال لعلي (ع): «أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا».

ويكتب أحمد بن حنبل من كبار شخصيات أهل السنّة وإمام الحنابلة في (المناقب): قال الرسول الأكرم (ص) مخاطباً علي (ع): أما ترضىٰ أنكَ معي في الجنة والحسن والحسين وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا»؟![2].

ويقول (الحاكم) في تفسير آية: **﴿المودة في القربىٰ﴾** استناداً إلىٰ (أبي أمامة الباهلي): قال رسول الله (ص): «إن الله تعالىٰ خلق الأنبياء من أشجار شتىٰ، وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة، أنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها وأشياعنا أوراقها، فمن تعلق بغصنين من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوىٰ، ولو أن عبداً عبدَ الله ألف عام ثم ألف عام حتىٰ يصير كالشن البالي وهو لا يحبنا كبّه الله علىٰ منخريه في النار ثم تلا: **﴿قُل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربىٰ﴾**[3].

رويت هذهِ الروايات كلها عن طريق إخوتنا من أهل السنّة، وهي قسم من مئات الأحاديث الثابتة بشأن مقام الشيعة، وتفيد أن التشيع ظهر بظهور الإسلام، ونكتفي بهذا القدر ونؤجل التفصيل إلىٰ فرصة أخرىٰ.

ومع أن عامة علماء أهل السنّة عارفون بمقام ومنزلة الشيعة وقد اعترفوا في كتبهم المعتبرة بهذهِ الحقيقة، فقد سعىٰ المستعمرون وعملاؤهم المتظاهرون بالإسلام والخائنون للأمة ليحذّوا من اتساع التشيع ويمنعوا الناس من معرفة هذا المذهب الإسلامي الحقيقي!

---

(١) الفصول المهمة ص ٤٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق نقلاً عن «الصواعق المحرقة» ص ٩٦.
(٤) الفصول المهمة ص ٤٠ ـ ٤١.

فحاربوا الشيعة والتشيع في كل عصر، بأساليب متنوعة، ووقفوا ضدّهُ بشتىٰ الوسائِل، وسعوا لجعل المسلمين أنفسهم في غفلة عن هذا المذهب وهو روح الإسلام، وقد أُحبطت مساعيهم مؤخراً بانتصارات الثورة الإسلامية في إيران، المبنية علىٰ أساس (التشيّع) الحقيقي الذي حقق لها النصر، واستيقظت الشعوب المسلمة من غفلتها، وأتضحت لها حقيقة التشيع، وانهُ روح الإسلام والمذهب المحيي والمحرّك، ولنا أمل بأن بناء الاستعمار وأسسهُ ستنهار بأتساع الإسلام وانتشار الفكر الإسلامي وتقطع يد الغاصب المستعمر من البلدان والثروات الإسلامية!.

لماذا يحارب الإستعمار التشيع؟

منذُ بزوغ فجر الإسلام خالف الماديون والنفعيون، والفاسدون الحكومات الغاصبة الأموية والعباسية ثم الاستعمار وعملاؤه في داخل اا الإسلامية وخارجها، خالفوا الشيعة والتشيّع.

ومن الجدير بالذكر معرفة لماذا حارب الاستعمار وعملاؤه الث زالوا يحاربونهم؟!

والجواب عن ذلك يتلخص في جملة واحدة كررها ق الإسلامية في إيران الإمام الخميني مراراً:

«إنهم يخافون من الإسلام ويخشونه».

نعم، لا يخاف الاستعمار من الأفراد والأمة، (الأم ثقافتها الأصيلة، وتحلت بروح العبودية الجديدة وباعت نف بل هو يخشىٰ الإسلام! الإسلام المحيي والثائر والمُنبّه، الإ الشعور بعزة النفس واستقلال الروح والوحدة والمحبة وحب النوع البشري و... ويحارب الشرك وعبادة الم الشخصية، والظلم والاستعمار، والجهل و...، إنهُ يخ وعليه أن يحاربهُ!

إنهم يرون هذا الإسلام في أهل بيت النبي (ه

ومذهبِهِ، ويرون هذا الإسلام في مذهب التشيع وفي اتباع الإمام الذي قال:

«لو أعطيت العالم كلهُ في نملة أسلبُها حبة قمحٍ ظلماً ما فعلت»[1].

وجدوا الإسلام في دين الحسن والحسين (ع) اللذين ضحوا بأنفسهم وأولادهم ومالهم وشرفهم وكل ما لديهم في سبيل الإسلام، وجدوا الإسلام عند أتباع وأصحاب ذلك العظيم الذي قال للظالمين: «فوالله ما أرىٰ الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً». إنّ هؤلاء يخافون من الإسلام العلوي الحسيني، ومن مذهب الإمام الصادق (ع)، الذي يعتبر الشرط الأساسي للعقيدة هو البصيرة والإدراك والفهم الصحيح والعمل هو الركن الأساسي للإيمان، ويرىٰ أن الخوف من الحوادث والأشخاص والسلطات ناتج عن ضعف الإيمان وتزلزلهُ، ويرىٰ الإيمان: ألاّ تخاف مع الله شيئاً»[2].

يخشىٰ الاستعمار مذهباً كهذا وثقافة كهذه إنهُ يحارب الدين الذي نفذ إلىٰ عروق الشيعة واختلط بدمهم بواسطة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (ع) فشعروا من أعماق وجودهم: أن «هيهات منّا الذلّة» وبهذا الشعور وبهذهِ الثقافة لم تخضع الشيعة للاستعمار ووقفوا بوجههِ حتىٰ الموت والشهادة، و... بالإلتفات إلىٰ هذه الحقائق يتضح سبب معاداة الاستعمار ومرتزقته للشيعة والتشيع دائماً!!؟

الاستعمار والثورة الإسلامية في إيران:

إن معاداة القوىٰ الاستعمارية العالمية وعملائها في المنطقة، للثورة الإسلامية في إيران واستخدامها لكل وسائل الاتصال الجماعية والإعلاميّة ضدّها، يعود بشكل دقيق إلىٰ ما ذكرناه، إنهم يخشون امتداد ثقافة الإسلام الثورية إلىٰ كل الأمم، فتتحدّ ضد المجرمين والتماثيل التي جعلوها ألعوبة بيدهم في المنطقة، وتقطع أيديهم من نهب المصادر والثروات الطبيعية التي

---

(١) يشير إلىٰ قول الإمام علي بن أبي طالب (ع).

(٢) قول الإمام الصادق (ع) في جواب سؤال: فما حدّ اليقين.

خلقها الله لتلك الأمم، إنهم يشعلون نار الحرب على يد عميل من عملائهم «كصدام» لإيجاد سدٍّ بوجه صدور الثقافة الإسلامية من إيران، ولكنهم لن يُوفقوا في ذلك أبداً؛ لأن هذه الثقافة ستنتشر وتتسع بالتدريج[1].

بقاء التشيع وخلوده:

وهنا يطرح هذا السؤال: مع عمق الكراهية التي أبدوها للشيعة والتشيع، واختلاف المذاهب والمسالك المختلفة كالبابية والبهائية والقاديانية و... لتشويه التشيع، كيف بقي التشيّعُ قوياً وثابتاً حتى الآن وانتشر أوسع من ذي قبل، وأصبح أعمق تأثيراً في العالم؟!

يجب الإشارة إلى نكتة مهمة في الجواب عن هذا السؤال، ثم ذكر ثلاث عوامل لذلك، والنكتة هي: أن التشيّع يعني الإسلام بكل أبعادهِ، والإسلام يعني التشيع، فالعظمة التي يمتلكها الإسلام في كل الجوانب والأبعاد المختلفة، تجعل أهميتهُ تتضح ونفوذهُ يتعمق أكثر من ذي قبل بتقدم العلوم والمعارف وتطور الأمم، وليس بإمكان أيّة قوة الوقوف أمام زحف الإسلام الفكري، وبسبب كون الأحكام والقوانين الإسلامية الهيّة وفطرية، فإنها تجذب إليها كل يوم أفراداً كثيرين وبالأخص من المستضعفين في العالم، لأن الإسلام والتشيّع بشرهم بالخلافة في الأرض وتطبيق العدل والسلام العالمي تحت لواء المهدي (أرواحنا فداه) وانهُ يقضي على عوامل الاختلاف والتميّيز، ويطهر الأفكار الإنسانية من الشرك والجهل وعبادة الأصنام.

ويمكن ذكر ثلاثة عوامل هي سرّ بقاء التشيع:

١ ـ القرآن والعترة:

لم يفصل الشيعة بين القرآن والعترة، وقد تمسكوا بكليهما، وطبقاً لوصية النبي الأكرم (ص)[2] تعتقد الشيعة بأنَّ القرآن وأهل البيت يجب

---

(١) لاحظوا في هذا المجال كُتيب أو ملزمة للمؤلف بعنوان «لماذا يخاف الاستعمار من الإيديولوجية الإسلامية».

(٢) وهي قولهِ (ص): إني تاركٌ فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

الالتزام بهما معاً إلى يوم القيامة، ولو افترقا فلن يمثل أيّاً منهما الإسلام.

٢ ـ تعاليم أهل البيت (ع):

لقَدْ تربّتْ الشيعة علىٰ مذهب أهل البيت (ع)، ومع تمسكها بالقرآن أصغت إلىٰ تعاليمهم، وأن الأئمة المعصومين قدوة الإسلام الحقيقي، هم أسوة الشيعة ومقتداهم، ويرون طاعة سنة النبي والأئمة (ع) واجبة كطاعة القرآن، لذا لم يتعرّضوا للانحراف أبداً.

٣ ـ الدفاع عن الإسلام:

لم تتقيّد الشيعة بقومٍ أو جنسٍ أو حدٍّ خاص، خلافاً لأكثر فرق وأمم العالم، لذا فهم يدافعون عن الإسلام الذي وصلهم عن النبي الأكرم (ص) وعن علي (ع) وسائر الأئمة المعصومين (ع)، ويعرضون روح الإسلام للعالم، وفي المقابل فإن لحقيقة الإسلام وواقعيته أثراً كبيراً في تقدم التشيع وبقائه.

عامل انتصار الثورات وبقائها:

في ختام هذا القسم من (رسالة الشيعة) يجدر بنا أن نذكر: أن أول عامل لانتصار الثورة الإيرانية هو المعنوية (الإيمان والإسلام) فلو اهتم بهذا العالم بشكل عميق ودقيق، وعرضنا للناس الإسلام وعملنا بهِ، مع مراعاة الاهتمام بالعوامل الأخرىٰ المؤثرة في النصرة والمأخوذة، في الوقت ذاته من الإسلام، فإنّ بقاء ودوام الثورة سيكون مضموناً، وستكون أعمالنا وأساليبنا الصحيحة والإسلامية أفضل عامل لتصدير الثورة إلىٰ العالم[1].

لا شك أنه سيتحقق هذا بعون الله تعالىٰ، وتوجه وليّ العصر أرواحنا فداه، وقيادة العلماء الخبراء. والأمر الذي يجب ذكره هو: يجب علىٰ كل المسلمين والمستضعفين في الثوارت والحركات، أن يهتموا بإسلامية ثورتهم

---

(١) راجعوا ملزمة المؤلف بعنوان (رسالة الثوريين).

ويمنحوا الثورة روحاً بالايديولوجية الإسلامية (تلك الإيديولوجية التي ألقت الرعب في قلوب القوىٰ العظمى حتىٰ أعلنت الخوف منها) ويسحقوا الطواغيت والظالمين كما فعلت الأمة الإسلامية في إيران.

وقد ذكرت مرّات عديدة في الماضي القريب والبعيد: لن ينال الشعب الفلسطيني النصر حتىٰ يكون رجالهم وقائدهم «إسلامياً» ويتحركون بعقيدة إلهيّة وإسلامية، وإلاّ وقعوا كل يوم تحت سيطرة سلطة طاغوتية، وطلبوا المعونة من هذه الجهة أو تلك، وقد بدأ وبحمد الله هذا التفكير يتسرب للشعب الفلسطيني أخيراً، ونحنُ نأمل من الشعب الفلسطيني أن يدرك الإسلام ويفهمه على حقيقته وعند ذلك فإن الإسلام سيدركهم وينجيهم حتماً.

الفصل الرابع عشر

رسالة من آية الله الحائري ـ قم
إلىٰ مركز إقامة إحتفالات مولد المهدي (عج)

مرتضى الحائري / ج ١/ ٤٠٢/ ١٢/ ٦٠

بأسمهِ تعالىٰ وهو المستعان ومنه التوفيق وبهِ الاعتصام وبخلفائه وأمنائه المتوسل إليهِ بهم في كل ما يستعان، عليهم منه الصلوات والرحمة والرضوان.

إلى حضرة مسؤول مركز إقامة احتفالات مولد خليفة الله الحجة بن الحسن المهدي صلوات الله عليهِ وعلىٰ جدهِ وآبائهِ الطاهرين.

بعد السلام والتحيات، فإنني في معزل عن كثير من مسؤولياتي بسبب المرض وضعف القلب والأعصاب، لذا أعتذر عن كتابة مقالة مفصّلة تتناسب وشأن وليّ الله الأعظم، ولكن لكي أقوم بواجب الخدمة في أدنىٰ حدٍ ممكن أكتب عدة كلمات حول هذا الموضوع العظيم. بعونه تعالى وتوفيقه.

إضافة إلىٰ آلاف الأدلة الواردة عن أمناء الوحي، والمذكورة منذ التوارة حتىٰ الإمام الحادي عشر، وكلها تبشّر بوجودهِ المبارك، وإضافةً إلىٰ العدد الكبير من الذين زاروه وشاهدوهُ قبل غيبته وفي غيبتهِ الصغرىٰ والكبرىٰ (وفي كتاب النجم الثاقب مائة قصة حول من شاهدهُ في الغيبة الكبرىٰ). وإضافة إلىٰ الذين أعلم أنا بأنهم شاهدوه، ممن يعيش في هذا العصر ولا أصرح بأسمائهم، فهناك دليل قرآني لم أجد أحداً يذكرهُ بهذا المعنىٰ وهذا البيان، وهو الآيات (٣٠ ـ ٣١) من سورة البقرة[1]. وأولها: **﴿وإذ قال ربك**

---

(١) **﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها مَن يفسد فيها**

للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾.

وخلاصة ذلك هي أنهُ تعالىٰ قال: **﴿إني جاعل في الأرض خليفة** ـ فقالت الملائكة ـ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾**. لأنها كانت تعلم بأن خلقة الخليفة لا تكون وحدها الهدف لأنها كانت تعرف حكمة الله الحكيم في مقابل هذا الفساد، **﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾** (ويظهر أنها خصائص وحقائق الموجودات ثم أنبأ آدم الملائكة بالأسماء، وعند ذلك عرفت الملائكة سِرّ خلق البشر وخليفة الله وان الفساد الذي هو من لوازم خلقة البشر لا شيء في مقابل خلق (خليفة الله). وبيان الدلالة من أربع طرق:

١ ـ يقال ـ وظاهر الكلام كذلك ـ أن الجملة الإسمية تدل علىٰ الدوام أي أن جملة ـ **﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾** تشمل كل عصر وزمان.

٢ ـ وجود سبب جعل خليفة وهو معالجة فساد المجتمع البشري، يرتبط بوجود خليفة الله في الأرض العالم بحقائق الموجودات في كل العصور، لأن فساد المجتمع البشري، يتسع ويزداد عبر العصور.

٣ ـ بغض النظر عن معالجة الفساد البشري فإن قابلية إدراك حقائق الموجودات وتعليمها للملائكة أمرٌ مستمر ودائمي، فيجب أن يكون هذا اللّطف دائماً؛ لأن فائدتهُ دائميّة ومستمرة.

٤ ـ يتضح من الآية الكريمة أن أحد الموجودات البشرية يكون ذا شأن عظيم بحيث يكون عارفاً بحقائق الموجودات إلىٰ حدٍّ تتعلّم منهُ الملائكة، لذا يجب وجود هذا الموجود دائماً؛ لأنهُ مع وجود الاستعداد والقابلية يُستقبح قطع الفيض من واجب الوجود المستعد للفيض وأنه يفيض حتماً.

= ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (٣٠) ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم علىٰ الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ (٣١) ﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ (٣٢) ﴾قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلمُ غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (٣٣).

الفصل الخامس عشر

عوامل انتصار ثورة المهدي (عج) الكبرىٰ

تأليف: مهدي بيشوائي - قم

من البحوث التي ترتبط بظهور الإمام (عج) والتي كثرت حولها الأسئلة، هي كيفيّة انتصار الإمام على المخالفين وأعداء الثورة، وهل ستكون بالأسلحة القديمة التي كانت بالعصور السابقة، أم بأسلحة العصر الحديثة، أو بالقوة الغيبية والمعنوية؟

أثبت علماؤنا بتحقيقاتهم في هذا المجال، أن عوامل مختلفة تساعد علىٰ انتصار الإمام (ع)، من جملتها سقوط الأنظمة السياسيّة المختلفة والمذاهب الفكرية علىٰ أعتاب ظهورهِ، واستعداد البشرية لقبول ثورة عادلة وعالمية، بسبب معاناتها للظلم والجور والفساد المنتشر في العالم، واستخدام الأسلحة المتطورة جداً، وهيمنة الرعب والفزع علىٰ الأعداء، وانحياز القوىٰ المؤمنة إلىٰ صف الثورة مع كل معدّاتها الحربية.

وكنت قررت أن أكتب هنا حول هذا الموضوع، لولا أنه ظهر أخيراً كتاب (يوم الخلاص) بقلم «كامل سليمان» من الكتاب اللبنانيين الحاذقين، وقد بحث هذا الموضوع في أحد فصوله بشكل رائع وجميل، وبتحليل واضح وتقديم نماذج حيّة، فترك التفصيل في هذا المجال إلى فرصة أخرىٰ، ونقدم للقراء الأعزاء ترجمة الفصل المذكور:

هل ينتصر واحد على الدنيا بثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً يأتون من أقاصي المعمورة بلا عُدّة ولا عديد إلىٰ بلدٍ حرام ليس فيها سلاح، وفي مناطق جرداء يجهلون دروبها ومسالكها ومخارجها؟؟؟

الجواب الفوري: لا.. ونحن نقول بذلك.. وسترىٰ نوعية سلاحه الهائل تحت عنوان يوم الخلاص. ولكننا نشير هنا إلىٰ ظواهر تقتضي إعمال الفكر قبل الجواب الفوريّ، منها:

ـ أن القائم (ع) سيقاتل بعقيدة..

ـ أن أنصاره ـ الثلاثمائة وثلاثة عشر ـ قد ركبوا العقيدة ذاتها من أوطانهم إلىٰ مكّة فما أحسّوا بوعثاء السفر، وسيقاتلون بها... حتىٰ الموت!.

ـ أنهُ يبايعه أكثر من تسعة آلاف في مكة بعد بيعة الأنصار بلا فصل كما سيجيء.

ـ أنَّ هذا الثائر يحمل مواريث النبوّة من عهود اليهودية والمسيحية والإسلام. وهذه المواريث هي ما هي في مجال الحروب والتدمير والانتصارات كما سترىٰ.. مضافةً إلىٰ وسائل حديثة تعدّ بسيطة إذا قسناها بما يحمل هو وأنصاره من إيمان سيوقظ البشرية الغافية علىٰ سكر حياتها الخادعة.. ومضافةً إلى ما يقبض بيديه من عدّةٍ ووسائل تموين ذات طاقة لا تخطر في بال مخلوق!

وإننا لن نحكي حكي عجائز فنصوّر نصر إمامنا المنتظر بالدعاء علىٰ الظالمين، فيقف دعاؤه في وجه مدافع أعدائه وقذائفهم وصواريخهم ومدمراتهم ووسائل حربهم المُفنية!. بل نعرض للقارىء صورةً بسيطةً غير مبسّطةً نتمثَّل بها، دون أن ننسىٰ تذكير القارىء بثورة إيران الإسلامية التي كانت فاتحة الخير كما ستلاحظ في موضوع: الفتن، فقد نجحت هذه الثورة بتحطيم أقوىٰ وأمنع امبراطورية في الشّرق، تملك أكبر وأقوىٰ جيش مدرَّب وأحدث سلاح فتاك، نجحت علىٰ أيدي شباب وكهول عُزّل كان يسيرهم شيخ جليل طاعن في السن من وراء الابعاد والبحار والآفاق، وهو آية الله السيد الخميني: القائد بعقيدته، لملايين الجماهير المنقادة بعقيدتها!!! وبتذكير القارىء بهذهِ الثورة نضعه في جوٍ جديدٍ لم تألف البشرية مثيلاً له في تاريخها القديم، ولا في تاريخها الحديث!. فيصير ـ

القارىء ـ علىٰ شبه بيّنة من أن الإيمان الرفيع الذي تجلّىٰ في ثورة إيران هو الذي أقصىٰ الشاه محمد رضا بهلوي عن عرشه بسهولةٍ ويسر، ومما ذكر امبراطورية تمتد جذورها في التاريخ إلى عمق آلافٍ وآلافٍ من السنين، وبذلك تنفتح آفاق الفكر فلا يصعب علىٰ القارىء أن يتصور خطوطاً كبرىٰ لثورة الإمام (ع) بعد المفاجأة المذهلة التي تخلق أجواء وأجواء حين سماع النداء باسمه من السماء، بصوتٍ يأتي من فوق، ومن تحت، وعن اليمين الشمال، ومن الوراء والأمام[1]، وبذلك لا يتعجّب قارىء المُنصف من عرضي المتواضع التالي:

يبايعه صبيحة يوم السبت في العاشر من محرّم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، هم أنصاره.

تهزُّ المفاجأة السعيدةُ لدعوة الحق ضمائر أهل مكة ومن فيها من الغرباء ـ وهم خائفون مرعوبون من جيش السفياني الذي يقتل بلا شفقة ـ فيستجيب للبيعة عدد كبير منهم فلا يغادر مكة إلا وقد أصبح جيشه عشرة آلاف نسمة في أيام لا تصل إلىٰ أصابع اليد الواحد عدّاً كما سترىٰ في الأخبار التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها..

يزحف بالعشرة آلاف نحو يثرب، ولا يكون بين مسيره من مكة إلىٰ المدينة فالقدس فالشام فالكوفة ـ حيث يحرز انتصارات مذهلة ـ وبين أن يدخل العرب في طاعته سلماً وحرباً، إلا مدىٰ شهرين أو أكثر بقليل لِمَا يسدّد من ضربات قاصمةٍ، ولما يسير بين يديه من رعب مخيف.. الأمر الذي يحدد دعوة الحق في أذهان الناس بوضوح، فيتسابق إليه الأصحاب والأبدال المؤمنين والتواقين إلىٰ العدل، فيصبح الشرق الأوسط ـ أكثرهُ ـ جيشاً منصوباً تحت رايته، إلا القليل القليل ممن يقع بين فكّي الأسد فيسحقه سحقاً كما سنبيّن في البحوث التالية..

يفيق الضمير العالمي من حالة الصرع التي يعيشها، وتتفتح الآمال

---

(١) انظر الملاحم والفتن ص ٢١ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٤ وبشارة الإسلام ص ٩٩.

للعدل بعد الظلم الذي يدمر بعض القارات من جرّاء حرب عالمية تسبق ظهوره المبارك.. فتهفو النفوس إلىٰ حاكم عادل.. وتتمهد الطريق لقبول الدعوة.. ويصير الإمام والخصم علىٰ الخصم..

يظهر انقلابٌ فكري وتغيير عقائدي ومفاهيم جديدة لدىٰ انتشار نص خطاب عرش المجد الذي يلفظهُ أثناء البيعة في مكة ويبين فيه دستور دولة الحق.. فيقرر عدد لا يحصىٰ من الناس السير تحت راية العدل للتخلص من معاناة الظلم.

يسبق ذلك الفتن والانقلابات العسكرية إبّان الثورة السفيانية، وتنتشر الفوضىٰ ويسيطر الوهن علىٰ الناس فتتاح الفرصة لمن يلمّ الشمل ويرتق الفتقَ.

يسبق عدهُ بفترة خاطفة حرب عالمية تفني ثلث العالم!. ثم يعقبها مرض طاعون فيفني ثلثاً ثانياً كما سترىٰ!.

يكون قد سئم الناس من الفتن التي هزت أطراف الأرض كما أصابنا في لبنان وكما أصاب الشرق الأقصىٰ وإيران وأصاب مناطق كثيرة في افريقيا وأميركا وغيرها ثم عقبها الحرب العامة والأمراض فتصير القوىٰ خائرة متفرقة متفككة، ويصبح باستطاعة ضابط عادي قوي في نفسه أن يقوم بالانقلاب ويحقق الانتصارات في مناطق محدودة فأحرى بمن يتسلحون بإيمانٍ يزيل الجبال، ويعمر قلوباً كزبر الحديد، أن ينتصروا ويحققوا هدفهم المقدس.

يفتتن الناس بالدعوة الكريمة لكثرة ما تجرعوا من الباطل، ويطمعون بالدعة والراحة، وبحكم عادلٍ بيدهِ سيف كحريق النار!. يؤمن لهم دعة الدنيا والآخرة!!!

هذا، والحوادث اليومية التي عايشناها منذُ بدء الانقلابات العسكرية في أقطار الأرض، تعطينا خير مثالٍ لا نستغرب معهُ انتصار قائم بالقسط يهزّ

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٢٢ والغيبة للطوسي ص ٢٧٧ ومنتخب الأثر ص ٤٨٩ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٤.

سيف السماء، وسيف رسول الله (ص) في وثبة شعارها: أمت، أمت.. لا تقبل الجزية ولا الحياد، لأن شعارها قد أعلنهُ الخبر الشريف المروي عن النبي والأئمة (ع) الذي يقولون فيه:

وما هو ـ والله ـ إلا الموت تحت ظِل الأسنة!!![1].

فهل أعمق من ذلك في العقيدة، وأخلص من ذلك للمبدأ؟!!

لا والله.. فإن الأكثرية الساحقة من الطبقة الرشيدة ستضع نفسها في خدمة ماحي الظلم ومقيم العدل.. ويومها يتنفس المظلومون الصعداء.. إذ يرون سيف الإيمان في رقبة الكفر، ومدية الحق في ضمير الباطل.. لا يقبل حياد ولا تقبل جزية!.

ثم ماذا؟! ثم ما أدراك ان ينصر من يظنهُ الجاهلون أعزل في معركة أرضية يشاء الله تعالىٰ فيها فناء مردة الناس، ليعيد العدل إلىٰ الأرض؟

سيكون ذلك.. وستظهر عصا موسىٰ ثانية بيد حجة الله علىٰ الخلق لتصنع العجائب.

وسيقف سلاح الإمام وتابوت السكينة[2] بوجه القنابل الذرية.. والهيدروجين.. والترونية. ويصنع أعجب العجائب!!!

وسترهص الأيام القادمة ـ في عمر الأرض ـ بمشيئة الله تعالىٰ عن: يوم الخلاص.

---

(١) سورة هود: الآية ٨٦.

(٢) يقول الراغب في كتاب المفردات: «الباقي ضربان، باقٍ بنفسهِ لا إلىٰ مدة وهو الباري تعالىٰ ولا يصح عليه الفناء، وباق بغيرهِ وهو ما عداه ويصح عليه الفناء والباقي بالله ضربان: باقٍ بشخصهِ إلىٰ أن شاء الله أن يفنيه، كبقاء الأجرام السماوية وباقٍ بنوعهِ وجنسهِ دون شخصهِ وجزئهِ كالإنسان والحيوان...».

الفصل السادس عشر

قيام المهدي في مسيرة تكامل البشر

تأليف: سيد محمد مهدي الموسوي الخلخالي

بسمه تعالى

يقول تعالىٰ في القرآن الكريم: ﴿**بقية الله خيرٌ لكم إنْ كنتم مؤمنين**﴾[1].

فلو وصل إيمان البشر إلىٰ حدّ الكمال عند ذلك يدرك أن (بقية الله) والذخيرة الإلهية خيرٌ لهُ من كل شيء.

أجل، خير له من كل شيء، من كل أمل وأمنية ومن كل لذة وحاجة، ومن كل فكرة، ومن كل مذهب. عنوان (بقية الله) في القرآن الكريم رغم أنه بمعنىٰ ومفهوم كلّ شيء ينتسب إلىٰ الله العزيز، ويُعتبر ذخيرة إلهية، ولكن أكمل مصداق له الخير المطلق، الذي يتحقق بوجود (أولياء الله) ولذا ذكر في الحديث[2] آنطباق عنوان (بقية الله) علىٰ الإمام (ع).

---

(١) فانطباق (بقية الله) علىٰ إمام العصر (ع) يمكن توجيهه من وجهين: الأول: بقاؤه الشخصي طوال فترة الغيبة حتىٰ زمن الظهور، والثاني: بقاؤه النوعي ونيابتهِ وخلافته الإلهية الصادقة علىٰ عامة الأئمة المعصومين (ع).

(٢) يقول في تفسير الصافي في ذيل الآية المذكورة ج ١ ص ٨٠٩:

«في الكافي عن الباقر (ع)أنه صعد جبلاً يشرف على أهل مدين حين أغلق دونهُ باب مدين ومنع أن يخرج إليه بالأسواق فخاطبهم بأعلىٰ صوته: يا أهل المدينة الظالم أهلها أنا بقية الله، يقول الله ﴿**بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ**...﴾.

وفي هذا الحديث طبّقَ الإمام الباقر (ع) عنوان (بقية الله) علىٰ نفسه.

ففي كل عصر وزمان يكون ولي الله المطلق هو (بقية الله)، وإنّ مصداقه البارز في عصر الغيبة هو المهدي الموعود (عج). وان وجودهُ لطفٌ إلهي وخير محض، وتصدّفه بالأمور خير أكبر، حُرِم البشر منه لغيبتهِ، ويأتي هذ الحرمانُ من الناس أنفسهم، إلىٰ أن يُهيئوا أنفسهم للانتفاع بذلك الخير المطلق، وذلك عندما يجزعون من الظلم والتظلّم، ويستعدون لقبول العدل المطلق، ويدركون مفهوم الآية التي تقول: **﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾** بإيمان واعتقاد كامل.

لذا فسّرت «بقية الله» في الحديث بالإمام المهدي (ع).

ومنها عن الإمام الباقر (ع) في كتاب إكمال الدين:

«أول ما ينطق بهِ القائم عليه السلام حين يخرج هذهِ الآية **﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾** ثم يقول: أنا بقية الله وحجته وخليفته عليكم، فلا يسلم عليه مسلم إلا قال: السلام عليكَ يا بقية الله في أرضهِ»[1].

فأظهر الموعود آخر إمامٍ وأعظم قائد ثوري بعد قيام نبيّ الإسلام، ومن أوضح مصاديق «بقية الله» وأليق من الجميع بهذ اللقب وخصوصاً أنه آخر من تبقّىٰ بعد الأنبياء والأئمة (ع).

نعم، كلُّ ما هو من عند الله أفضل للبشر من كل شيء آخر، ولكن متىٰ يدرك البشر هذا المفهوم؟ يفهمه عندما يخرج من عبودية الذات إلى عبادة الله، ويصل إلىٰ الكمال.

---

(١) تفسير الصافي ذيل الآية الكريمة ج ١ ص ٨٠٩ وتفسير الأمثل ج ٩ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ نقلاً عن تفسير الصافي وفي (دعاء الندبة) خوطبَ الإمام (عج) بهذه الجمل:
«أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية».
وينقل في أصول الكافي ج ١ ص ٤١١ باب النوادر ح ٢:
عن أبي عبد الله (ع) قال: سألهُ رجل عن القائم يسلّم عليه بإمرة المؤمنين؟ قال: لا، ذلك أسم سمىٰ الله بهِ أمير المؤمنين (ع) لم يسمَّ بهِ أحد قبله، ولا يسمىٰ بهِ بعدُ إلا كافر، قلت: جعلت فداك، كيف يُسلم عليه؟ قال: يقولون السلام عليك يا بقية الله، ثم قرأ **﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾** وفي البحار ج ٥١ ص ٣٦ ح ٥ نقلاً عن إكمال الدين حديث حول التسليم علىٰ الإمام بوصفهِ بقية الله، والإكمال ج ١ ص ٣٣٠ ح ١٦.

قيام المهدي في مسيرة تكامل البشر:

إن الهدف من خلق الإنسان هو تكامله، ويتجلّىٰ ذلك في توحيد الله وعبادته الحقيقية، كما جاءَ في القرآن الكريم:

﴿وما خلقت الجنَّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾[1].

ولكن تحقيق هذا الهدف في المستوىٰ العالمي يتوقف علىٰ أمور؛ وهي:

١ ـ وجود برنامج إلهي وصحيح يهدي الناس إلىٰ الجوانب الأخلاقية والاعتقادية، وينحصر ذلك في دين الإسلام المقدس الذي أبتنىٰ علىٰ أساس العدل المطلق وأبلغ إلىٰ البشر بواسطة الرسول (ص).

٢ ـ وجود أتباع محبين وعاشقين، قبلوا ذلك وعملوا لهُ بأرواحهم وأنفسهم، ولا يبخلون ببذل مالهم وأنفسهم في نشره، وقد وجد أفراد كهؤلاء من بدء ظهور الإسلام ولا يزالون، ولكنهم قليلون. ولو أننا نشاهد صورة من الإسلام في العالم فذلك بسبب سعي وجهود هؤلاء القلّة، وإن لم يصبح الإسلام عالمياً لحد الآن فذلك لعدم الاستعداد العام.

فوجود الاستعداد العام مقدمةٌ ضرورية لتحقيق هدف الخلقة الأصلي (عبادة الله) ويتوقف تحقيق ذلك علىٰ مرور أزمنة طويلة ليواجه المسلمون وعامة البشر الامتحانات الدقيقة ويجربوا ويشاهدوا تجارب الحياة كلّها ويأسوا من كل المذاهب المختلفة غير الإسلام الصحيح.

٣ ـ وجود قائد رباني بإمكانه إقامة العدل المطلق في المستوىٰ العالمي، وينحصر ذلك في الإمام الذي تثبته معارف الشيعة أي: إمام موجود ومعصوم لكنه غائب وموعود بالظهور أسمهُ المهدي، وهو من سلالة الرسول الأكرم (ص) ذكر في القرآن الكريم بأسم «بقية الله».

وقد ثبتت ضرورة وجود الإمام وحجة الله في كل عصر عن طريق العقل والنقل وثبتت عصمته بالأدلة المحكمة والمتقنة.

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

ونضيف إلىٰ عصمة الإمام (عج) أن القائد هو الإمام الذي يحقق العدالة المطلقة بشتىٰ أبعادها في المستوىٰ العالمي، ولكل الأمم بأحسن شكل، ويظهر الأمن في كل العالم حتىٰ يعيش الذئب والشاة في مكانٍ واحد، ولا يعقل في إمام كهذا أن يكون غير معصوم؛ لأن الخطأ وإن لم يكن عن عمد وتقصير يسبب الظلم للآخرين وعلّيه لا يحصل العدل المطلق، وكيف يتحقق مفهوم «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً» في حين أن الإمام يظلمُ عن خطأ؟ فالمهدي الموعود إمامٌ معصوم تماماً، معصوم عن الذنب وعن الخطأ.

أما أنه معصوم عن الذنب فلكي لا يحرف الناس ولا ينحرف هو بسبب الرئاسة، وليتسنىٰ له إقامة العدل المطلق وأما أنه معصوم عن الخطأ، فلأنّ إقامة العدالة المطلقة لا تتلاءم مع أيّ نوع من الظلم، وإن كان عن خطأ ونسيان، فمن أدّخِرَ للعدل المطلق يجب أن يتمتع بالعصمة المطلقة أيضاً[1].

لكنّ أداء هذهِ المسؤولية (تحقق العدل المطلق علىٰ المستوىٰ العالمي) مقترنٌ بانتظار وغيبة طويلة، تهدّ القوىٰ وتكثر من الأسئلة.

لماذا سبقت ثورة بقيّة الله بهذهِ الغيبة الطويلة؟

ونقول في الجواب عن هذا السؤال: إنّ لغيبة الإمام (ع) جوانب مختلفة لكلٍ منها بحث معين.

أولاً: طُول الفترة ومجهولية يوم الثورة.

ثانياً: وجود الإمام (عج) في هذهِ الفترة الطويلة.

ثالثاً: وجودهُ بين الناس بشكل مجهول:

أما أولاً: فإن طول المدة رغم أنها مُتعبة ومؤلمة، لكنها في الوقت

---

(١) وهذا الدليل سارٍ علىٰ جميع الأئمة (ع)؛ لأنهم يشتركون مع إمام العصر (ع) في (إقامة العدل المطلق) إلاّ أنهم لم يوفقوا لذلك، لكن إمام العصر (عج) سيتوفق لهُ حتماً.

ذاته ضرورية ولا يمكن التخلي عنها؛ لأن المسلمين وكل البشر على مرور الزمن يجب أن يقعوا عرضة للتجارب الدقيقة والتغيرات الفكرية والتجريبية، ليميّزوا بين الحق والباطل حقاً، ويستيقظ الغافل؛ ويتواضع المستكبرون، ويقدم البشر ما بوسعهم، ثم يخرجوا من الساحة مكسورين خائبين معترفين بالعجز عن الحصول على السعادة بواسطة الوسائل المادية والناقصة، عند ذلك يحصل الاستعداد لقبول المنقذ والمنجي الإلهي.

وخلاصة القول: يلزم الصبر الجميل لاقتطاف الثمر اللّذيذ من هذهِ الشجرة المثمرة، ولن تنال أية ثورة، ونهضة في العالمِ الهدف المطلوب دون الاستعداد والتهيّؤ.

والجدير بالذكر أن لطول المدة وتأخير قيام المهدي (عج) أثراً تربوياً كبيراً، دونما فرق بين أن ننظر إليه من نافذة اعتقاد الشيعة في وجودهِ حيّاً (عج) طوال المدة، أو اعتقاد غير الشيعة الذين يعتقدون بالمهدي لكن لا بوجوده غائباً بل بولادتهِ فيما بعد؛ لأن الصورتين للتجربة والاستعداد في المجتمع البشري ترتبطان بوجود مذهب وخطٍ معين يُمتحن الناس بهِ من حيث الإيمان والعمل، ويقربون أو يبتعدون عنه، ويمكن تحقيق هذا الأمر على أية حال سواء كان الإمام (عج) موجوداً أو سيوجد بعد ذلك؛ لأنّ خط الإسلام معينٌ ومبلغٌ.

فطرح هذا السؤال وهو: لماذا لا يقوم المهدي (عج) مع أنه موجود ويتعهد بمسؤولية قيادة كل البشر، وهو آخر الذخائر الإلهية؟ ماذا ننتظر؟ نحن ينتظر وهو ينتظر، إننا ننتظرهُ، فماذا ينتظر هو؟ فهل ينتظر أمر الله؟ فلماذا لا يأمر الله بالثورة، ماذا ينتظر الأمرُ الإلهي؟

وجواب هذا السؤال هو: أننا ننتظر المهدي الموعود (عج)، وهو ينتظرنا، وليس ذلك ببعيد، لأنهُ لا ينتظر شخصنا، بل ينتظر استعدادنا ونحن لم نستعد لحدّ الآن، وطبعاً ليس المراد الاستعداد الظاهري واللفظي بل الاستعداد الحقيقي والمعنوي.

وأما الجانب الثاني: أي وجود الإمام بين الناس طوال المدّة ـ التي

تستلزم طول عمره (كما يعتقدهُ الشيعة أتباع مذهب أهل البيت (ع)) فإن له امتيازات خاص، تنشأ من وجود الإمام (عج) الشخصي والفعلي، لا من وجوده النوعي والمفهوم الكلي للمهدي الموعود، ولا مِن وجوده الشخصي في المستقبل كما يعتقد به الآخرون.

أ ـ الأثر التربوي والروحي:

إنّ للإيمان بالمهدي الموجود بوصفه إماماً وقائداً فعلياً ـ أعمُّ من حضوره وغيبته، وبالأخص إذا عرفنا أنه ذلك القائد الربّانيُّ والمطلعُ علىٰ أعمالنا، وشعرنا بالمسؤولية تجاههُ ـ لكل ذلك أثر تربوي وروحي خاص، كما أن للإيمان بالله والاعتقاد برقابته الذاتية علىٰ أعمالنا وسلوكنا وأفكارنا أثراً كهذا، لكن الإنسان بسبب إنسانيته والجانب الملكي فيه يشعر بالمسؤولية أكثر تجاه الإنسان الأرفع منه، ومقابل قائدهُ وإمامهُ، لذا كان بعض الأنبياء يبعثون حكاماً علىٰ الأمّة، رغم أنّ الحكومة الإلهية كانت ولا زالت موجودة.

والخلاصة: إن الإيمان بالمهدي الموجود ـ وإن كان موعوداً بالظهور ـ يسبب الشعور بوجود حاكم فعلي تجب طاعتهُ عن طريق تطبيق الأحكام الإسلامية، ووجود إيمان كهذا يَزيد من مسؤولية الإنسان، وتتجلّىٰ أهمية وجود إيمان كهذا وعدمهُ عندما ننظر إلىٰ حالة الشعب الذي مات رئيسهُ ولو لعدة أيام، فعند ذلك تحدث الفوضىٰ والفساد واللاّمبالاة عند الناس، رغم أنهم يعلمون أن للدولة قوانين تعاقب مَن يتخلف عنها، وأنه سيعيّن عمّا قريب رئيس للدولة يراقب أعمال الناس.

وإضافة إلىٰ الشعور بالمسؤولية، يَحدث شعور خاص ورابطة عاطفية بين القائد الموجود وأتباعه، ولذلك نشاهد بوضوح أن عواطف الشيعة وارتباطهم بالإمام الموجود وإن كان غائباً (أي بقية الله الأعظم) ثائرة ومستمرة، أو قد تظهر هذهِ العواطف أحياناً بشكلٍ واضح وفي حالاتِ الشدة، وهذهِ خصيصة هذا المذهب وعقيدة الشيعة الطاهرة، والراحة التي يتمتع بها الشيعة جرّاء ذلك يُحرمُ منها الآخرون، وتلك شعبة من ذكر الله

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

وإضافةً إلىٰ ذلك فإن بعض الأشخاص قد ينالون لقاءهُ أحياناً، وفي هذا اللقاء تحلُّ بعض العُقد والمشاكل، وقد تكون مثبّتة ومقويّة في بعض المراحل[1]. وهذه الحالات رغم إنها شخصية لكنها من فوائد وجوده المقدس.

فلو تقدمنا خطوة إلىٰ الأمام اتضح لنا أمرٌ آخر، وهو قوة الأمل بقيام المهدي الموجود بالنسبة إلىٰ قيام المهدي الذي سيوجد، لأن قيام المهدي الموجود ممكن في وقت وزمان، لكن قيام المهدي الموعود بالوجود يحتاج إلىٰ زمن طويل، وإن مذهب الشيعة الحق، هو الإيمان بالمهدي الموجود، وإن كان موعوداً بالظهور، خلافاً للآخرين الذين يعتبرونهُ موعوداً بالوجود والظهور معاً.

ب ـ الأثر التكويني:

أي أن وجود بقية الله الأعظم في العالم له آثار تكوينيّة بالنسبة لنفسهِ وللآخرين، بل لكل العالم.

---

(١) اليوم الجمعة ٦ رجب ١٤٠٢ المصادف ٣٦١/٢/١٠ ويوم تحرير هذه السطور اليوم الذي بدأ جنودنا الأعزاء هجماتهم في جبهة الجنوب في أطراف خرمشهر والهويزة ضد المتجاوزين العراقيين وعملاء البعث بقيادة صدام الخائن، ليخرجوهم من بلدنا العزيز الإسلامي، والآن أسمع من المذياع أن الجنود بدأوا الهجوم بأسم علي بن أبي طالب المقدس وبالتوسل بالإمام بقيّة الله الأعظم وأحكموا ارتباطهم بالإمام المهدي وقائدهم العظيم، ويشعرون بأنهم تحت لوائه، وقبلوا قيادة القائد العام للقوات المسلحة الإمام الخميني دام ظلهُ العالي، بوصفهِ نائب الإمام، وهُم يجاهدون بهذه العقيدة ويضحون بأنفسهم في سبيل الله، ويتقدمون في ساحة الحرب بكل طمأنينة وراحة بال، متسابقين إلىٰ الشهادة، وليس ذلك إلاّ بالاعتقاد بالمهدي الموجود (عج)، فإن لم يوجد هذا الإيمان وهذهِ العقيدة لم يمكنهم الثبات والوقوف أمام هذا العدوّ السفاك المجهّز حتىٰ رأسه بأفضل الأجهزة الحربية. مرحباً بهؤلاء الأعزاء وبارك الله فيهم وهم شرف الإسلام والمسلمين، وهُم الثائرون الفائزون، هنيئاً لأنصار إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجهُ الشريف.

والكلام في أستفادته هو (ع) من طول مدة غيبته ومن مضي الزمن وتجارب التاريخ والحكومات الباطلة، ليس بكلام يعتمد علىٰ دليل محكم؛ لأن القادة الإلهيين لا يحتاجون إلىٰ تجارب الزمن، وهم عالمون بكلّ شيء عن طريق الفيض الإلهي، ولكن يمكن القول: إن طول العمر المقترن بعبادة الله يسبب ارتفاع المقام والقرب الإلهي.

وأما انتفاع المجتمع البشري وكل العالم من وجود الإمام الغائب طوال فترة الغيبة فهو أمرٌ قطعي ومسلّم بهِ، بسبب أن الإمام المعصوم (ع) متمم للنظام التكويني، وعلىٰ فرض وجودهِ يمكن للهداية التشريعية أن تكمل الهداية التكوينيّة، وبدون ذلك لا يتم نظام التكوين، ويجب أن يستمر الفيض الإلهي من قبل الذات الإلهية المقدسة في كل عصر وزمان، بل في كل لحظة ودقيقة كي لا يلزم النقص في المبدأ الفياض، وإن لم يكن البشر مستعداً للاستفاضة.

ولهذا ورد في الأحاديث: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»[1].

وذلك لأن عدم وجود الإمام (ع) يسبب النقص في نظام التكوين، والنقص يسبب الفناء ولأن آخر إمام من الأئمة الإثني عشر هو «بقية الله الأعظم» المهدي الموعود، بأعتقاد الشيعة، فوجوده طوال فترة الغيبة أمر ضروري، وحافظ لنظام التكوين.

ج ـ الأثر التشريعي:

ومن الفوائد الأخرىٰ لوجود الإمام الغائب (عج) الأثر التشريعي، أي الدفاع عن الشريعة في الظروف التي يعجز الآخرون فيها؛ لأن الإمام المعصوم (عج) مسؤول عن حفظ الإسلام والمسلمين ولو لزمَ في بعض الموارد أن يتدخل الإمام للدفاع عن الإسلام، فإنه يفعل ذلك ـ وإن كان مجهولاً ـ

---

(١) أصول الكافي ج ١ ص ١٧٩ ح ١٠ باب أن الأرض لا تخلو من حجة عن أبي حمزة «قال: قلت لأبي عبد الله (ع): أتبقىٰ الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت بغير إمام لساخت» وأحاديث أخرىٰ بهذا المضمون.

ويخلص الإسلام والمسلمين وينجيهم ولو عن طريق المعجزة وخرق العادات.

وأما الجانب الثالث: أي غيبة الإمام (عج) (وجوده بشكل مجهول) طوال هذهِ المدّة، فذلك يثير الأسئلة لأنه مع وجودهُ (ع) لماذا لا يعرّف نفسه ليستفيد الناس منه أكثر.

وقد ورد الجواب عن هذا السؤال في أحاديث كثيرة، بأن الخوف من القتل سبب اختفاء الإمام (ع)، ويجب أن يكون الأمر كذلك؛ لأن وجود قائد يريد القضاء علىٰ الحكومات الطاغوتية وقطع يد الظالمين، وجودهُ ثقيل عليهم، وإنهم سيفكرون بقتله حتماً ولا مفرّ سوىٰ الاستتار والاختفاء عن الناس، وكما فعل فرعون عندما سمع من الرهبان أن حكومته ستسقط بيد موسىٰ بن عمران، فكان يشق بطون الأمهات ويذبح أطفالهُنّ، وفعل ذلك بآلاف الأشخاص، فكيف بوجود المهدي (عج) الذي أخبر عن ثورته النبي (ص) والأئمة (ع) بل الأنبياء السابقون، وحفظ الإمام (عج) عن طريق المعجزة غير ضروري مع إمكان الحفاظ عليه عن طريق الإخفاء، ويكون الإعجاز في وقت لا يوجد حلّ إلا المعجزة، ولا ينحصر الحل هنا بالمعجزة. رغم أن طول العمر الخارج عن الحدّ الطبيعي يلزمه الإعجاز، مع أنهُ وجد تفسير طبيعي له.

إننا ننتظر ذلك المحبوب لعلّنا ننال لقاءهُ أو أجر انتظاره. اللهم عجل فرجه وسهل مخرجهُ واجعلنا من أنصارهِ وأعوانه برحمتك يا أرحم الراحمين.

النصف من شعبان ١٤٠٢ مسجد الصدرية

محمد مهدي الموسوي الخلخالي

الفهرس

المقدمة ٥

الفصل الأول:

لطف الله الصافي

تجلي التوحيد في نظام الإمامة ٧

البحث الأول:

تجلي التوحيد في رسالات الأنبياء ٩

البحث الثاني:

تجلي التوحيد في الإسلام ١٤

البحث الثالث:

تجلي التوحيد في نظام الإمامة ١٦

البحث الرابع:

تجلي التوحيد في إمامة المهدي (عج) ٣٢

الفصل الثاني:

جعفر السبحاني

أثر الانتظار في بناء المجتمع ٣٧

الفصل الثالث:

علي أكبر الحسني

ولادة وحياة المهدي (عج) في مصادر أهل السنة ٥٩

الفصل الرابع:

محب الإسلام

فخذ الجراد وحضور سليمان ٧٥

الفصل الخامس:
السيد عبد الله الفاطمي
الانتظار أفضل عبادة ٩١
الفصل السادس:
محمد المحمدي الاشتهاردي
إعداد الأرضية لحكومة المهدي (عج) العالمية ٩٥
الفصل السابع:
السيد حسن سعيد
معرفة المهدي (عج) من وجهة نظر القرآن والسنة ١٠٧
الفصل الثامن:
داود إلهامي
بشرى اليوم السعيد ١٣١
الفصل التاسع:
السيد العقيقي البخشايشي ١٤٩
الفصل العاشر:
شعبان شهر التبشير بالأمن والأمان
أحمد فدائيي المهدي الموعود ١٥٧
الفصل الحادي عشر:
الدكتور كريم كيائي
صورة عن حكومة ولي الله الأعظم ١٧٩
الفصل الثاني عشر:
حسين الحقاني الزنجاني
المهدي الموعود من وجهة نظر السنة والشيعة ١٩٥
الفصل الثالث عشر:
هادي دوست محمدي ٢٠٥
الفصل الرابع عشر:
مرتضى الحائري
رسالة من آية الله الحائري ٢١٥

الفصل الخامس عشر :
مهدي بيشوائي
عوامل انتصار لثورة المهدي (عج) الكبرى ٢١٧
الفصل السادس عشر :
سيد محمد مهدي الموسوي الخلخالي
قيام المهدي في مسيرة تكامل البشر ٢٢٣